

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عَصْرُهُ - حَيَاتُهُ - أَشْكَارُهُ

فِي الْمِيزَانِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عَصْرُهُ - حَيَاتُهُ - آثَارُهُ

الدكتور شوقي أبو خليل

دار الفكر
دمشق - سورية

دار الفكر المعاصر
بيروت - لبنان

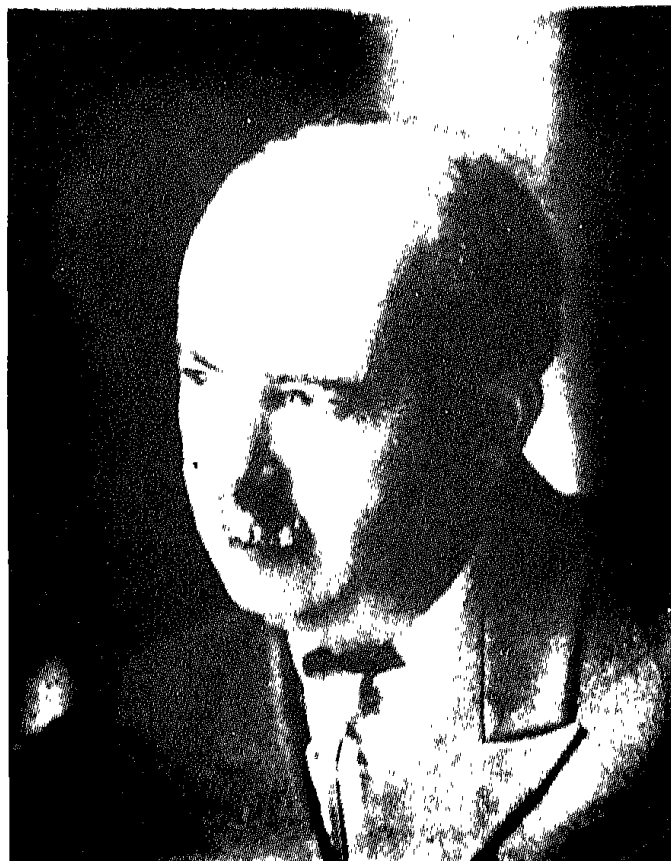
الكتاب ٨٨٧
الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ = ١٩٩٣ م
جميع الحقوق محفوظة



يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه بكل طرق الطبع والتصوير والنقل والترجمة والتسجيل المرئي والمسموع والحاسوبي وغيرها من الحقوق إلا بإذن خطي من دار الفكر بدمشق

سورية - دمشق - برامكة مقابل مركز الانطلاق الموحد - ص.ب (١٦٢)
برقياً: فكر-س.ت ٢٧٥٤ هاتف ٢٣٩٧١٧، ٢١١١٦٦ - تليكس 411745 Sy

الصف التصويري: دار الفكر بدمشق
الطباعة (أوفست): المطبعة العالمية بدمشق



الأستاذ الدكتور
بندلي صليبا الجوزي
[١٨٧١ - ١٩٤٢ م]

تنويه :

كان صلب هذا الكتاب وأفكاره الرئيسية أطروحة نلت عليها (الدكتوراه في التاريخ الإسلامي) من أكاديمية العلوم في أذربيجان ، ولقد قُدمت وعُمِّمت تحت عنوان : « تاريخ الإسلام والمقاطعات الشرقية للخلافة الإسلامية في مؤلفات بندي الجوزي » ، والنسخة العربية هذه نسخة معدلة عن الأطروحة كما قُدمت لتناسب مع سلسلة في الميزان .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُقَدِّمَةٌ :

بدأ اهتمامي بالأستاذ الدكتور بندلي الجوزي سنة ١٩٨٢ ، حين كنت في ندوة تربويّة في محافظة الرقّة (في سورية) ، فلقد صادف وجودي في مدينة الثّورة ، وجود معرض للكتاب التّقديمي فيها ، فاخترت من هذا المعرض - مساء الاثنين ٢٢ شباط (فبراير) ١٩٨٢ - كتاب : (بندلي صليبا الجوزي : دراسات في اللّغة والتّاريخ الاقتصادي والاجتماعي عند العرب) ، ثمّ حصلت على كتاب الأستاذ بندلي الأمّ : (من تاريخ الحركات الفكرية في الإسلام) بتاريخ الخميس ٣ نيسان (إبريل) ١٩٨٦ م .

لقد قرأت الأستاذ بندلي ، فأعجبني منه ثقافته الواسعة ، وشخصيته المطلّعة ، وإن كنت أختلف معه في نقاط كثيرة ، وقد تكون جوهرية ، لكن (اختلاف الرأي لا يفسد للودّ قضية) ، يكفيه أنّه لا يحمل خلفيّة الاستشراق الموظّف لخدمة التبشير ، ولا يلجأ إلى نقل النصوص محرّفة مبتورة من المصادر ليثبت استنتاجاته وآراءه . لقد نقل بأمانة ، وكتب قناعاته دون تعصّب ، وسجّل تحليلاته بهدوء ، وحاوّر معترضيه من غير عنف ، فرحت منذ سنة ١٩٨٦ أعدّ بطاقات دراسة نتاجه ، على أمل إصدار كتاب عن الأستاذ بندلي ، ضمن سلسلة (في الميزان) التي صدر أول أجزاءها سنة ١٩٨٠ تحت عنوان (جرجي زيدان في الميزان) ، ولأمر لا أستطيع تحديدها ، أو أعرف ماهيتها ، صدر لي منذ ١٩٨٦ ، وحتى بداية ١٩٩٠ : فيليب حتّي ، وكارل بروكلمان ، وغوستاف لوبون (في الميزان) ، كما صدر لي في الفترة ذاتها كتاب جامعي عنوانه : (الحضارة العربية الإسلاميّة ، وجزآن من سلسلة المعارك الكبرى ..) ، هما عموريّة ، ووادي المخازن ، ولم تصدر دراستي عن الأستاذ بندلي ، لماذا ؟ لأدري ، و

القدر خبياً لي أمراً ، وهو أن تكون أطروحتي للدكتوراه ، دراستي عن الأستاذ (بندلي الجوزي) .

الأستاذُ بندلي بين مؤيديهِ ومعارضيه :

كَتَبْتُ عن الأستاذ بندلي صحفًا ومجلاتٍ وكتبًا .. أهمها : (الأديب) البيروتية ، نيسان (إبريل) ١٩٦٨ ، و (فلسطين الثورة) ٢ شباط (فبراير) ١٩٧٥ ، العدد ١٢٨ ، و (السفير) البيروتية ٣ أيار (مايو) ١٩٧٧ ، و (البعث) الدمشقية ، ١٨ أيلول (سبتمبر) ١٩٧٧ ، و (الوطن) ٨ أيار (مايو) ١٩٨٤ ، و (أخبار الأسبوع) ٧ حزيران (يونيو) ١٩٨٤ ، و (الهدف) ٢٧ آب (أغسطس) ١٩٨٤ ، و (الاتحاد) الحيفاوية ٢٥ آذار (مارس) ١٩٨٧ ، والموسوعة الفلسطينية ١٣٨/١ و ٦٢/٢ و ٦٣ و ٦٤ ، ومصادر الدراسة الأدبية ، ليوسف أسعد داغر ٢٧٩/٢ و ٢٨٠ ، ومحاضرات في الاتجاهات الأدبية الحديثة في فلسطين والأردن ، للدكتور ناصر السديين الأسد ..

يقول الأستاذ جلال السيّد : « ولم يقف جوزي عند التفسير التقليدي للتاريخ الإسلامي ، بل نظر إليه على أساس العامل الاقتصادي والاجتماعي ، وتتبع ذلك بدراسة للجزية والخراج والضرائب المفروضة ، والتفرقة بين دافعيها ، وعزا تدهور الدول الإسلامية إلى معالجتها الاقتصادية ، وعدم المساواة في تحمّل الأعباء الضريبية ، ومهما كانت درجات الاتفاق والاختلاف حول ما طرحه جوزي في كتابه ، إلا أنه ظلّ - ولفترة طويلة - رائدًا هامًا في هذه النظرة لتاريخنا الإسلامي ، واستفاد منه كثير من المؤرخين ، بل وفتح الباب أمام دراسة (القرامطة) ، و (الزنج) ، و (الإسماعيلية) ، و (إخوان الصفا) ، وقد اختلف عن المفكرين الليبراليين بنزعتهم الماركسية وتأثره بها ، وتميّز عن القوميّين - في تلك الفترة - في بعده عن التعصّب ، مع الدعوة للوحدة العربية ، وأمله الدائم في تطوير الأمة العربية وتقديمها ، مستنداً في

ذلك إلى تاريخها وتراثها ، محذراً مما يسبب الضعف والفرقة ، متصدّياً للآراء الاستعماريّة التي تناولت تراثنا وحضارتنا والأمم الشّرقيّة جميعها ، وكان يقف ضدّ فكرة تفرّد حضارة عن أخرى ، بل ينطلق من فكرة الحضارة الإنسانيّة الشّاملة ، التي ساهمت كلُّ أمة فيها بنصيبها ، بتأثيرها والتأثر بغيرها .

ويرى الأستاذ حسين مروة : « أن تحديد الباحث موقفه على أساس من كشفه كل معطيات القضية ، مهما اختلفت وتناقضت ، ثمّ رؤية الاتجاه الواقعي لهذه المعطيات ، ثمّ النظر إلى هذا الاتجاه من منظار مصلحة التّطور والتّقدّم ، إنّ تحديد الموقف على أساس من هذا كلّهُ ، هو المصداق الفعلي لمفهوم (الانحياز) بمستواه العلمي .. ولقد كان بندلي جوزي يمارس هذا المفهوم بحذق وصدق وحماسة في دراساته التّاريخيّة كلّها ، ولا سيما دراساته في حقل التّراث الفكري العربي - الإسلامي ، وليس يعيبه - في رأينا - أن يغيب التّحليل وإصابة الاستنتاج عن بعض ممارساته في هذا الحقل ، كما في محاولته إسقاط الفكر الاشتراكي ، بفاهيمه المعاصرة ، على بعض الحركات الفكرية التي تناولها بالدّرس في كتابه الرّائد الذي نتحدّث عنه ، أي تلك الحركات التي تنتسب إلى زمن يبعد عن زمننا بنحو ألف عام .

وهذا النّقص لا يعيبه ، لأنّه صادر عن إدراك الطّروف الموضوعيّة والذّاتيّة التي هي مصدر النّقص ، وإنّ مجمل هذه الطّروف من ذروة الهرم البشري ، وبعضها في أدنى درجات الهرم ، وبعضها بين هذه وتلك .. » .

أمّا عبد اللّطيف الطّيباوي ، فيرى أنّ الأستاذ بندلي « تطرّف في التّفسير للتّاريخ الاقتصادي » . ويرى الدكتور ناصر الدّين الأسد أنّ الأستاذ بندلي : « كان من كبار علماء اللّغات والتّاريخ ، ومؤلّفاته تدلُّ على صبر وجكّد على جمع النّصوص والرّوايات وتتبعها واستقصائها ، إلّا أنّه حين يكتب عن العرب والمسلمين ، كان يميل مع الهوى ، وينحو نحواً أبعد ما يكون عن التّجرّد والعلم » .

وعلى الرغم من هذه الآراء ، التي تراوحت بين الإبداع والانتهاك ، أرى أن الأستاذ بندلي وثق في دراسات المستشرقين واعتمد عليها ، إلى درجة استقاء المعلومات الرئيسية عن تاريخ العرب ، والحركات الفكرية في الإسلام من دراسات المستشرقين ، مثل لامانس ، وفلهاوزن ، ونولدكه ، وكولنديسيهر ، ودي خوييه ... وهو الذي نبه إلى أخطائهم وتجنّبهم على تاريخ الشرق وأهله ، وهو الذي يدرك أن جهات عالمية وراء صناعة أفكارهم وطروحاتهم ونتائجهم ، وهو الذي يعلم أن الشرق مهضوم الجانب في أوربة ، فالغرب لا يعرف عن الشرق حقائقه وحقيقته ، لأن معظم ما كتب ويكتب هناك ، موجّه ضدّ الشرق وأهله ، ومشوّه له .

عوامل بناء شخصية الأستاذ بندلي :

عوامل عديدة ساهمت في بناء شخصية الأستاذ بندلي وتشكيلها ، أهمها :

١ - يثمة - الأم ثم الأب - في وقت مبكر من حياته ، فتأثر بأخيه قسطندي ، وبأختيه كاترينا وهيلانة ، وبخاله تقولا عنصر تاجر العاديات .

ولعل هذا اليتيم ، هو الذي رسم صورة الحزم الدائم ، ومسحة الحزن العميق في النفس ، التي انعكست انزواءً عن الأقران في طفولته ، والالتفات إلى القراءة والمطالعة ، حيث هناة النفس ، وراحة الفكر ، في توحيده هذا .

٢ - كما تأثر بمدارس الإرساليات الأجنبية ، لقد درس في دير (المصلبة) في القدس ، والعائد إلى الرهبان الأرثوذكس ، فتلقّى علوم اللاهوت التي أتمها في دير (كفتين) قرب طرابلس الشام .

ثم سافر إلى روسية لمتابعة دراسته التي بدأها في (المصلبة) و (كفتين) ، فاعتنق الماركسية ، ولكن هذا الاعتناق لم يبلغ أو يسمح نهائياً بالإيمان الذي كان في القلب في المرحلة المبكرة من حياته ، وظلّ بقيّة حياته (ماركسياً - مؤمناً) ، فهو يقول : (في مقالاته التي جمعت في كتاب يحمل اسمه) :

« سنُفرد للسُّفَياني وأخباره مقالة خصوصية نشرها على صفحات المقتطف إن شاء الله » ، [الصَّفحة ٦٧] .

« كما سنبيّنه في مقالة خصوصية عن القِصاص عند العرب إن شاء الله » ، [الصفحة ٢٨٩] .

وفي معرض حديثه عن كراتشكوفسكي وأشهر آثاره في خدمة الأدب العربي :
« فكّم له من أيادي بيض على بعض أفراد هذه الأمة ، وكّم له من دفاع مجيد عن مصالحها الحيويّة وحسن سمعتها ، جزاه الله خَيْرَ الجزاء ، ومدّد في عمره .. » ، [الصفحة ٣١٧] .

٣ - الأحوال الاجتماعيّة والاقتصاديّة التي سادت بلاد الشّام في أواخر القرن التاسع عشر ، ومطلع القرن العشرين ، من جهلٍ وأمّية ، وتأخّر وفاقه ، وتعصّب لكلّ ما هو تركي حتّى اللّغة ، والطّائفية المذمومة المدمّرة ، مع ظلم بعض الولاة في جباية الضرائب ...

وعلى الرغم من ذلك كلّه ، عمّت بلاد الشّام ، في القرن التاسع عشر نهضة أدبيّة وفكريّة ، كان روادها متعطّشين للمعرفة ، فجمعوا العلم إلى الأدب والفكر ، وغاصوا في ثقافة العصر ، المحلّي منها والعالمي ، وتشاء الأقدار أن يكون الأستاذ بندلي عالماً متميّزاً بين علماء بلده ، يفرح لفرحه ، ويألم لألمه ، خصوصاً وقد شهد ما لحق به من أحداث : الحرب العالميّة الأولى وانتهاء حكم العثمانيين ، ثمّ الانتداب وما تبعه من فتح أبواب الهجرة اليهوديّة على مصراعها .

« قهوة الصّعاليك » والأستاذ بندلي :

وهي مقهى شعبي يقع في باب الخليل في القدس الشّريف ، اسمه (قهوة الصّعاليك) ، كان يجتمع فيه عدد كبير من رجالات السّياسة والعلم والأدب ، كانوا

يتحلّقون حول خليل سكاكيني - مع عدد كبير من الشُّبان - يستمعون إلى آرائه في السياسة والأدب واللُّغة العربيّة .

وذكر الأستاذ خليل سكاكيني في كتابه (ماتيسّر) بعضَ إيماءات من مجالسه الأدبيّة والسياسيّة ، التي كانت تجري في (قهوة الصّعاليك) ، والتي كوّن لها مبادئ على (الصّعاليك) أن يسيروا بموجبها ، وأهمها : لا رئيس لهذا الحزب ، ولا سكرتير ، ولا أمين صندوق ، ولا ناديّ ، كلُّ صلوك للصّعاليك نسيب قريب ، ولا يقيم هذا الحزب حفلات استقبال ، أو حفلات وداع ، ولا يقبل الدّعوة إليها . وفي إحدى المواد يقول : طريق الإصلاح في نظر الحزب (التّربية والتّعليم) ، وهو يصرّ على أن المدارس تكون في يد الأُمّة .

كان المقهى مُلكاً لختار الطّائفة الأرثوذكسيّة^(١) ، التي من أبنائها الأستاذ بندلي ، وفي إحدى زواياه منضدة عليها مصنّفات أبناء الطّائفة ومعاملاتهم ، وفي زاوية أخرى عدد كبير من الصّحف والمجلّات .

هذا المقهى المتواضع ، كان ملتقىّ لعدد كبير من الأدباء والسياسيين ، وعدد أكبر من الشُّبان الذين يؤمّونه للاستفادة من الأبحاث التي كان يديرها أصحاب الرّأي ، ومن الذين كانوا يتردّدون عليه بصورة مستمرة : خليل السّكاكيني ، يعقوب فراج ، يوسف العيسى (صاحب جريدة ألف باء) ، وعيسى العيسى (مؤسس جريدة فلسطين) ، وعادل جبر ، وأنسطاس حنانيا ، ورفيق الحسيني ..

في هذا المقهى ، وفي عامي ١٩٢٨ و ١٩٣٠ ، كان الأستاذ بندلي يجتمع بصديقه خليل السّكاكيني ، فيتحلّق حوله العشرات من الأدباء والشّعراء والمحامين والأطباء والصّحفيين .. ليستمعوا إلى آرائه التّحرّريّة ، منبهاً إلى الأخطار التي تحيط بالوطن

(١) واسمه (عيسى الطّبة) مختار الطّائفة الوطنيّة الأرثوذكسيّة .

العربي عامّة ، وبفلسطين خاصّة ، ويدعو الناس أن يستيقظوا من سباتهم العميق ،
ويدرسوا قوّة عدوّهم ، الذي يسعى إلى تشريدهم وطردهم من أراضيهم .

واستناداً إلى ما سبق ، يمكن القول : إن أحداث العالم في مطلع القرن العشرين ،
وأحداث فلسطين بشكلٍ رئيسي ، كانت عاملاً هاماً في بناء شخصيّة الأستاذ بندلي
وفكره ، التي عبّر عنها بوضوح وجلاء في (قهوة الصّعاليك) ، وكان ذلك سبباً
مباشراً فيما بعد ، لإبعاده عن موطنه الأصلي (فلسطين) .

يقول الأستاذ نصري الجوزي^(١) : « كان عمّي بندلي - كما تقول عمّي الأكبر منه
سيناً - لا يحبُّ اللّعب كثيراً مع أقرانه ، ويكتفي بالقليل منه ، وحين ابتداء يعرف
القراءة والكتابة ، راح ينزوي في ركنٍ قصيٍّ للمطالعة ، وكان في كثير من الأوقات
يتأخّر عن تلبية الدّعوة إلى الطّعام نظراً لاستغراقه في القراءة .

دخل دير المصلّبة ، وهو دير كان يضمُّ عدداً محدوداً من الطّلاب الأذكياء رغبة في
ضمّهم يوماً من الأيام إلى سلك الكهنوت ، وفعلاً أرسل بندلي إلى روسية ليتعلّم
الكهنوت ، وليصبح راهباً ، ودرس اللاهوت في روسية مدّة ثلاث سنوات ، ثمّ وجد أنّ
الموضوع لا يناسبه ، وأنّ القائمين على إدارة المعهد الدّيني لا يؤدّون الرّسالة الدّينيّة
كما يجب أن تؤدّي ، فتحوّل إلى الأدب والتّاريخ ، ولعلّ الحياة التي عاشها في الدير بين
عدد من الرّهبان والطّلاب ، كان لها بعض الأثر في تحوّلها عن خرافات يظنّونها من
الدّين ، كما أن مكوثه سنوات ثلاثاً بين عدد كبير من رجال الدّين في موسكو ، كان له
الأثر الكبير في انتهاج منهج جديد ، وتغيير آرائه السّابقة .. ولا ننسى طفولته التي لم
تكن سعيدة كسائر الأطفال في ذلك الوقت ، كلُّ ذلك كان له أبلغ الأثر في حياته
المستقبليّة ، وفي الاتّجاه العلمي الذي تبعه .

(١) احتفظ بأقواله هذه مكتوبة بخطّ يده ، أمداً الله في عمره ، وجزاه خيراً .

هذه جوانب من شخصيَّة الأستاذ بندلي ، الذي كان في تحوُّله من اللاهوت إلى الماركسيَّة منسجماً مع ذاته ، فكتب قناعاته . ونحن في هذه المقدِّمة نقول :

سيصادف العام القادم مرور ١٢٠ عاماً على ولادة الأستاذ بندلي الجوزي ، أو ٥٠ عاماً على وفاته ، وبهذه المناسبة ، وإحياء لذكراه فهو شخصيَّة ليست عاديَّة ، نقدِّم هذه الدِّراسة الموسَّعة والموثَّقة عن : عصره ، وحياته ، وآثاره ، وهي دراسة لم يسبقنا إليها أحد قط ، سنذكر ماله وما عليه ، بموضوعيَّة وإنصاف ، فلقد أمرنا ألا نبخسَ النَّاسَ أشياءهم .

سنختصر أحداث عصره السياسيَّة ، لنقف مع النُّخبة التي صادفها وحاورها آنذاك ، ولنقف أيضاً مع حنينه إلى القدس الشَّريف ، مسقط رأسه ، هذا الحنين الذي تجسَّد بزياراته المتكرِّرة إلى القدس ، والجلوس في (قهوة الصَّعاليك) مطوَّلاً ، ثمَّ مغادرة بلده أسفاً حزيناً متألِّماً مضطراً إلى باكو ، مقيماً فيها حتَّى انقضاء أجله ، وحتَّى صار يعرف في الصَّحافة العربيَّة : « بندلي الجوزي (الفلسطيني - السُّوفيَّاتي) » ، بل كان يعرفه بعضهم : « (المستشرق الرُّوسي) بندلي الجوزي » .

واليوم .. إحياء ذكرى الأستاذ بندلي الجوزي له دلالاته المهمَّة ، فالمؤسَّسات الثقافيَّة الفلسطينيَّة ، وأعلام فلسطين ، يتعرَّضون إلى حرب مدمِّرة لطمس كلِّ ما هو فلسطيني ، وعلى وجه الخصوص المفكرين المثقِّفين الفلسطينيين الأعلام ، وتنبَّه إلى ذلك العرب الفلسطينيُّون في الأرض المحتلَّة ، فنشرت صحيفة (الاتِّحاد) الصَّادرة في مدينة حيفا بتاريخ ٢٥ آذار (مارس) ١٩٨٧ مقالةً عن الأستاذ بندلي الجوزي ، بعد أن جمع الأستاذان ناجي علُّوش وجلال السيِّد مقالات الأستاذ بندلي المنشورة في الصُّحف والمجلات ، وأصدرها في بيروت في كتاب عنوانه : « بندلي صليبا الجوزي ، دراسات في اللُّغة والتَّاريخ الاقتصادي والاجتماعي عند العرب » .

وهكذا .. لم يُنسَ (بندلي) ، من قِبَل أمته العربيَّة عامَّة ، وشعبه الفلسطيني

خاصة ، لقد جُمع نتاجه الفكري ونُشر ، وكتبتُ عنه الصحافةُ المقالاتَ العديدة ، وذكرته كتبُ التراجم والموسوعات .

والجديد القريب ، والحديث جداً ، تسمية شارع في عاصمة عربيّة هي عمان ، عاصمة المملكة الأردنيّة الهاشميّة ، باسم (بندلي الجوزي) ، [انظر الصورة] .

وأخيراً .. كَرَّم الأستاذ بندلي الجوزي من قبل دولة فلسطين ، بمنحه (وسام القدس للثقافة والآداب والفنون) ، وذلك باحتفال مهيب ، ضمّ عدداً كبيراً من الأدباء والعلماء .. العرب الفلسطينيين في القاهرة يوم السبت ١٣ كانون الثاني (يناير) ١٩٩٠ م ، ولقد فوّضت رسمياً من قبل منظمة التحرير الفلسطينية بدمشق ، بتسليم (وسام القدس) إلى ابنه السيّد فلاديمير بندلي الجوزي أثناء مناقشة أطروحتي هذه ، التي موضوعها :

« بندلي الجوزي : عصره ، حياته ، آثاره » .

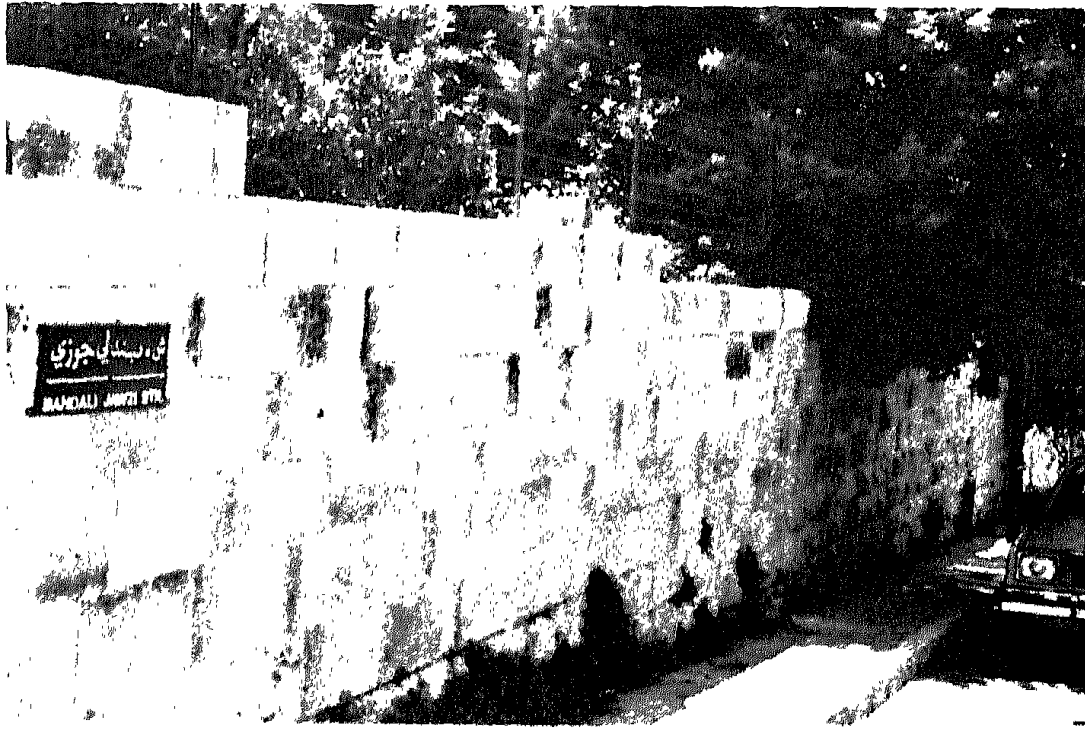
☆ ☆ ☆

ولا بُدُّ لي في ختام هذه المقدّمة ، من تقديم الشكر لكلّ من أعانني أثناء جمعي لمصادر هذه الأطروحة ، وأخصُّ بالشكر أكاديمية العلوم في أذربيجان (بَاكُو) ، التي قدّمت لي هذه المنحة ، فالشكر كلُّ الشكر للجميع ، وللدكتور المشرف الأستاذ ضياء بونياتوف ، آملاً أن تساهم هذه الدراسة في أطروحتي بإنصاف الأستاذ بندلي الجوزي ، والاهتمام بآثاره وفكره الذي قدّمه ، فاتحاً آفاق الدراسة الموضوعيّة المتجرّدة من كلِّ تحيُّز مسبق .

شوقي أبو خليل

دمشق : ١٠ رمضان المبارك ١٤١٠ هـ ،

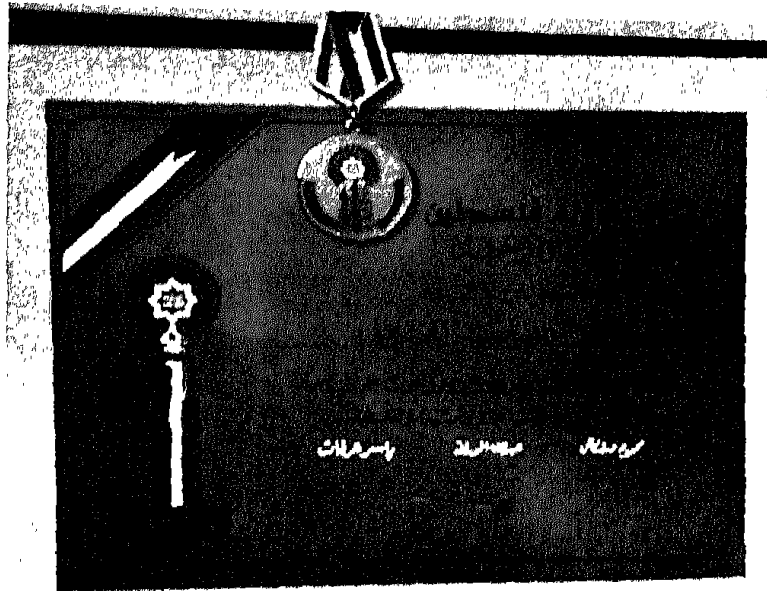
الموافق ٥ نيسان ١٩٩٠ م .



شارع باسم الأستاذ بندلي الجوزي (عمان)



الأستاذ تَصْرِي الجوزي



وسام القدس
الذي مُنِحَ للأستاذ بندلي الجوزي
بتاريخ ١٣/١/١٩٩٠ م

بَنْدَلِي الْجُوزِي
عَصْرَةٌ

فلسطين لمحة جغرافية

(فلسطين) ، ذكرها الجغرافيون والمؤرخون العرب ، بكسر الفاء وفتح اللام وسكون السين ، ثم طاء وياء ونون ، وقد عرفت خلال تاريخها الطويل بأنها الجزء الجنوبي من بلاد الشام من الوطن العربي ، في جنوبي غرب قارة آسيا ، فهي تقع بين درجتي عرض ٢٩,٣٠° و ٣٣,١٥° شمالي خط الاستواء ، وبين خطي طول ٣٤,١٥° و ٣٥,٤٠° شرقي خط غرينتش ، مشكلة جسراً بين آسيا وإفريقية .

يحد (فلسطين) بموجب اتفاقية سايكس - بيكو سنة ١٩١٧ ، ومنذ سنة ١٩٢٠ حيث خضعت للانتداب البريطاني بموافقة عصبة الأمم :

غرباً : البحر المتوسط بساحل طوله ٢٢٤ كم ، يمتد من رأس الناقورة شمالاً ، وحتى رفح على الحدود المصرية جنوباً .

وشمالاً : لبنان بحدود طولها ٧٩ كم ، من رأس الناقورة في الغرب ، وحتى قرية المطلّة في الشرق .

وشرقاً : سورية والأردن ، حيث يبلغ طول الحدود السورية ٧٦ كم ، من المطلّة شمالاً إلى بلدة الحمّة .

أما الحدود مع الأردن فتبلغ طولها ٣٦٠ كم ، وتبدأ من نقطة تلاقي نهر اليرموك بنهر الأردن جنوبي بحيرة طبرية ، ثم تسير جنوباً في منتصف مجرى نهر الأردن والبحر الميت ، ووادي عربة حتى خليج العقبة ، على بعد ميلين غربي مدينة العقبة الأردنية ، وقد عين الحدود مع الأردن المندوب السامي البريطاني لفلسطين وشرقي الأردن في ١ أيلول (سبتمبر) ١٩٢٢ م .

جنوباً : خليج العقبة ، حيث يبلغ طول ساحل فلسطين عليه ١٠ كم ، ومصر بطول ٢٤٠ كم ، من مدينة رفح ، وحتى رأس طابا على خليج العقبة .

تقع فلسطين ضمن إقليم البحر المتوسط ، الذي ينقسم إلى فصلين رئيسيين ، وهما :

- شتاء معتدل ممطر يمتد من تشرين الثاني (نوفمبر) ، وحتى أوائل نيسان (إبريل) ، والرياح الماطرة هي الرياح الجنوبية الغربية ، ويبلغ عدد الأيام الماطرة من ٤٠ إلى ٦٠ يوماً .

- وصيف حار وجاف يمتد من أواسط حزيران (يونيو) ، وحتى أواسط أيلول (سبتمبر) .

مساحة فلسطين ٢٧٠٠٩ كم^٢ ، تقسم إلى المناطق الطبيعية التالية :

١ - المنطقة الساحلية : وهي المنطقة المحصورة بين البحر المتوسط من الغرب ، والمنطقة الجبلية وهضبة النقب من الشرق ، وتقسم إلى قسمين :

أ - الساحل : ويمتد من رأس الناقورة شمالاً ، وحتى رفح جنوباً ، ويتصف بأنه ساحل رملي خالي من الرؤوس والخلجان الطبيعية ، باستثناء خليج عكا ، ورأس الكرمل .

ب - السهل الساحلي : ويلي الساحل شرقاً ، قسمه الشمالي يعرف بسهل عكا ، ويتراوح عرضه بين ٨ - ١٦ كم ، ثم يضيق عند رأس الكرمل إلى أقل اتساع له (١٨٠ م فقط) ، ثم يبدأ بالاتساع باتجاه الجنوب ، حيث يبلغ عرضه عند يافا ٢١ كم ، ويزيد عن ذلك عند غزة حيث يتداخل مع منطقة بئر السبع ، فيصل حتى ٣٢ كم .

يروى السهل نهران رئيسيان ، هما : نهر المقطع ، ونهر العوجاء .

وتختلف كمّية الأمطار في المنطقة الساحليّة بين الشّمال والجنوب ، فهي تزداد من الجنوب إلى الشّمال كما يلي : غزّة ٣٧٠ ملم ، يافا ٥٥٠ ملم ، حيفا ٦٣٥ ملم ، أمّاس حرارتها ، فهي لطيفة شتاءً ، ومتوسّطها ١٣ - ١٨ درجة مئويّة ، ومرتفعة نسبياً صيفاً ، مع رطوبة عالية .

أهمّ زراعاتها : الخُضْر والحُمضيّات ، وأهمّ مدنها : عكّا ، حيفا ، يافا ، غزّة ، طولكرم ، اللد ، الرملة ..

٢ - المنطقة الجبليّة والسّهول التي تتخلّلها : تشغل وسط فلسطين ، وتشرف في الغرب على المنطقة الساحليّة بسفوح ضعيفة الانحدار ، بينما تشرف في الشّرق على منطقة الغور الانهداميّة بسفوح شديدة الانحدار ، وتقسّم من الشّمال إلى الجنوب إلى الأقسام التّالية :

أ - جبال الجليل : وتبدأ من الحدود اللبنايّة وحتى سهل مرج ابن عامر ، وتتألّف من قسمين : الجليل الأعلى وفيه أعلى جبال فلسطين ، وهو جبل الجرمق (١٢٠٨ م) ، والجليل الأدنى : وهو أقلّ ارتفاعاً ، إذ يصل في جبل طابور إلى ٥٦٢ م .

ب - سهل مرج بني عامر : وهو سهل متطاوّل من الشّرق إلى الغرب بطول ٤٠ كم ، وعرض ١٩ كم ، ومتوسّط ارتفاعه ٦٠ م ، يجري فيه نهر المقطع الذي يصبّ في المتوسّط ، ونهر جالود الذي ينتهي بنهر الأردن .

ج - جبل الكرمل : (٥٢٦ م) قرب حيفا عند رأس الكرمل ، طوله ٢٢ كم ، وعرضه من ٦ إلى ٨ كم .

د - جبال نابلس والقدس والخليل : ومتوسّط ارتفاع جبال نابلس ٩٤٠ م (جبل عيبال) في الشّمال ، و ٨٨١ م جبل جرزيم في الجنوب ، وبينهما مدينة نابلس في وادٍ

ارتفاعه ٥٧٠ م . أمّا جبال القدس ففيها جبل تل العاصور ١٠١٦ م ، وجبل الطُور (أو الزيتون) ٨٢٦ م المطل على القدس من الشرق ، وجبل المكبّر ٧٩٥ م ويقع جنوبي القدس ، أمّا جبال الخليل (١٠٢٠ م) ، فسفوحها الشرقيّة المطلّة على البحر الميت ، شديدة الانحدار ، كثيرة الأخاديد ، جرداء .

مناخ المنطقة الجبليّة : تتراوح أمطارها من ٥٠٠ إلى ٩٠٠ ملم ، تتزايد من الجنوب إلى الشمال ، الخليل ٥٠٠ ملم ، القدس ٥٨٣ ملم ، نابلس ٦٣١ ملم ، المطلّة ٩١٢ ملم ، أمّا الحرارة ، فمعدّلها دون ١٠ درجات مئويّة شتاءً ، وصيفاً ٢٤,٧ درجة .

زراعتها : تنتج المنطقة الجبليّة : الزيتون والفواكه ، حيث تسود المنطقة حياة زراعيّة نشطة ، وخصوصاً زراعة الأشجار .

وأهم مدنها : صفد ، الناصرة ، جنين ، نابلس ، رام الله ، القدس ، بيت لحم ، الخليل .

٣- منطقة الغور : تمتدّ من سفوح جبل الشيخ شمالاً ، وحتّى خليج العقبة جنوباً ، على امتداد الحدود السوريّة والأردنيّة مع فلسطين ، ومن أهمّ تضاريسه : سهل الحولة ، بحيرة طبريّة ، غور الأردن ، البحر الميت (- ٣٩٢ م) وهي أخفض منطقة على سطح اليابسة ، ووادي عربة .

ورغم قلّة أمطار منطقة الغور ، إلّا أنّه يجري فيها أهمّ أنهار فلسطين ، وهو نهر الأردن وروافده .

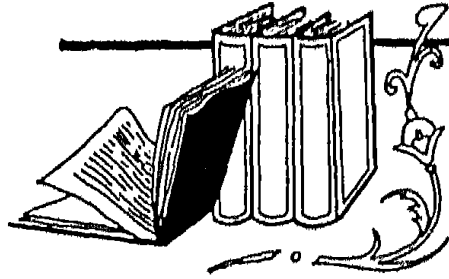
ويوصف الغور بارتفاع دائم في حرارته ، وذلك بسبب انخفاضه عن سطح البحر ، فتوسّط درجة حرارته صيفاً من ٣٦ و ٤٠ درجة مئويّة ، وتصل عند البحر الميت إلى ٥٠ درجة مئويّة في الظلّ ، أمّا شتاءً فمدافئ حيث يتراوح معدّل درجة حرارته بين ١٣ و ١٧ درجة مئويّة ، أمّا أمطار الغور ، فهي قليلة بشكل عام إذا

قيست بالمنطقة الجبلية المجاورة ، فهي في الجنوب ٥٠ ملم (في العقبة) ، وتزداد كلما اتجهنا شمالاً حيث تبلغ ٥٠٠ ملم في سهل الحولة .

نشطت في الغور الحياة الزراعية ، وخصوصاً زراعة الخضار الباكورية ، كذلك تزرع فيه أشجار المناطق الحارة ، وأهمها : الموز ، الحمضيات ، قصب السكر ، النخيل .

وأهم مدن الغور : طبرية ، بيسان ، أريحا ، العقبة .

٤ - هضبة النقب : وتشكل القسم الجنوبي من فلسطين ، متوسط ارتفاعها ٤٠٠ م ، يسيطر عليها المناخ الصحراوي ، لا تتجاوز كميات الأمطار ٥٠ ملم في الجنوب ، و ٢٥٠ ملم في الشمال عند بئر السبع ، تزرع القمح والشعير ، لكن العمل الرئيسي لسكانها فهو رعي الأغنام والإبل ، أما عاصمة النقب فهي بئر السبع .



موجز تاريخ فلسطين

في القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين
سياسياً واقتصادياً واجتماعياً

فلسطين ، مسقط رأس الدكتور بندلي الجوزي ، فيها وُلِدَ ، وفي بيئتها السياسيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة عاش ، حيث رُسمَت السمات الأولى الشخصيّة ، وعلى ذلك ، كان لا بدّ من استعراض العصر الذي عاشه سريعاً .

ولكن إلى أيّ مدى يمكننا أن نكتب تاريخاً لفلسطين ، خلال فترة معيّنة هي القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين ، حيث لم تكن هناك وحدة إداريّة بهذا الاسم ، وكانت حدود هذه المنطقة الجغرافيّة موضعاً للأخذ والرّد ؟

يقول شفيبل Schwobel : « هناك فلسطين واحدة فقط ، والكلّ يعرف أين تقع ، ولهذا فقد نظنّ أنّ إيراد معطيات أدقّ حول موقع هذا الإقليم وحدوده ، هو من فضول القول ، بيد أنّ الأمر ليس كذلك ، فالواقع أنّه لا مناص لنا من تقديم تعريف أدقّ لما نعنيه بـ (فلسطين) ، لأنّ تحديد هذا المدلول ليس واحداً في كلّ مكان مطلقاً»^(١) .

إنّ عدم وجود وحدة إداريّة ، ووحدة جغرافيّة تميّز عرب فلسطين عن غيرهم من عرب بلاد الشّام في القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين ، يجعلنا نتحدّث عن فلسطين ، ذلك الكيان السياسيّ الذي برز كوحدة قائمة بذاتها بعد تقسيم الولايات العربيّة التابعة للحكم العثمانيّ إلى مناطق نفوذ بين فرنسا وبريطانية ، بموجب اتّفاقيّة

(١) تحوُّلات جذريّة في فلسطين ، الكزاندر شولش ، صفحة ١٩ ، منشورات الجامعة الأردنيّة - عمّان : ١٩٨٨ م .

سايكس - بيكو^(١) في ربيع ١٩١٦ م ، ثم عيّنت الحدود الإقليية في معاهدات ما بعد الحرب العالمية الأولى .

وعندما رُسمت حدود منطقة الانتداب ، لم تكن نتاجاً اعتبارياً ، بل إن فلسطين كانت قد اتخذت ببطء خلال القرن التاسع عشر ، وأوائل القرن العشرين ، شكلاً محدداً في تصوّر سكانها ، ووعي الحكومة المركزية في إسطنبول أيضاً .

وكان جميع الأوروبيين تقريباً في أواخر القرن التاسع عشر ، ومطلع القرن العشرين ، يفكرون تفكيراً توراتياً تاريخياً ، وهم يحاولون تعيين حدود (الأرض المقدسة) ، وبعبارة أخرى (فلسطين) ، التي تمتد من (دان) في الشمال^(٢) حتى (بئر السبع) في الجنوب ، ومن البحر المتوسط في الغرب حتى بادية الشام في الشرق ، أي أنه كان يشمل قطعة من الأرض المسكونة على جانبي نهر الأردن .

نشرت (المقتطف)^(٣) سنة ١٨٧٨ م مقالة تحت عنوان : (خريطة فلسطين) ، وصفت فيه أعمال صندوق استكشاف فلسطين^(٤) ، الذي يسمح البلاد من (دان) إلى (بئر السبع) ، ومن الأردن حتى البحر المتوسط ، وقد ظهر المفعول السياسي الكامل لهذا التّصوّر بعد الحرب العالمية الأولى ، عندما جرت في أعقاب مؤتمر الصلح في فرساي سنة ١٩١٩ م مناقشة الحدود الممكنة لفلسطين (بريطانية - يهودية) ، وبعث لويد

(١) في آذار (مارس) ١٩١٦ قديم إلى بطرسبرغ المبعوثان الخاصان ، سايكس عن انكلترا ، وبيكوعن فرنسا ، وفي مجرى المفاوضات التي قاما بها ، وُضعت الاتفاقية المعروفة بـ (اتفاقية سايكس - بيكو) .

(٢) دان : تل القاضي ، حيث منبع نهر الدان ، بين بانياس والمطلة ، (انظر المصوّر ١) .

(٣) (المقتطف) : المجلد ٣ ، الصفحة ١٥٤ ، لسنة ١٨٧٨ م ، والمقتطف من أمّهات المجلدات العربية ، أسسها في بيروت يعقوب صروف وفارس نمر سنة ١٨٧٦ ، ثم نقلها إلى القاهرة ، توقفت عن الصدور سنة

١٩٥٢ م .

(٤) The Palestine Exploration Fund

جورج^(١) برقية إلى لندن ، طلب فيها إرسال نسخة من كتاب جورج آدم سميث^(٢) ، المعنون تحت اسم : Historical Geography of The Holy Land ، وكذلك الأطلس الملحق به ، إلى كَلِّ مشترك من المشتركين في مؤتمر الصلح ، لكي يتسنى النظر في الحدود الدقيقة التي تترتب في الواقع من (دان) ، إلى (بئر السبع) .

الحدود الغربية (البحر المتوسط) ، لم تكن تمثل مشكلة في وقت من الأوقات .

أمَّا الحدود الشرقية ، فبعض الأوربيين جعلوا نهاية الأرض المقتسمة عند نهر الأردن ، وآخرون جعلوا شرائط عريضة من الأرض في بلاد شرقي الأردن ، قلت أو كَثُرَت ، تابعة لفلسطين ، فجنوبي شرقي الأردن يتبع نابلس في نطاق سنجق البلقاء .

يُبدَى أنَّ حماية طريق الحج ، كانت تُعَدُّ على الدوام من أبرز الواجبات التي يضطلع بها حاكم دمشق ، ومن هنا كان الأمر يقتضي بالفعل الإشراف الإداري المباشر لدمشق على هذه المنطقة ، وتمَّ وضع ترتيب إداري نهائي سنة ١٨٨٧ م ، وأتجهت شرقي الأردن بوصفها الجزء الجنوبي من ولاية الشام تماماً نحو دمشق ، أمَّا المنطقة الواقعة بين نهر الأردن والبحر المتوسط ، فقد انقسمت منذ الربع الأخير من القرن التاسع عشر ، إلى قسمين : الجنوب ، وكان يتبع بوصفه سنجق القدس المستقل منذ سنة ١٨٧٤ م الباب العالي في اسطنبول مباشرة ، والشمال ، الذي أصبح تابعاً لولاية بيروت منذ سنة ١٨٨٧ م ، وبهذا المعنى الإداري ، أصبح نهر الأردن يشكل الحدَّ الشرقي لفلسطين .

(١) لويد جورج Lloyd George : [١٨٦٣ - ١٩٤٤ م] ، رجل دولة إنكليزي ، ورئيس حزب الأحرار ، رئيس وزراء : ١٩١٦ - ١٩٢٢ ، كان له دور مهم في مفاوضات مؤتمر الصلح في فرساي سنة ١٩١٩ م .

(٢) جورج آدم سميث Adam Smith : [١٨٤٠ - ١٨٧٦ م] ، أثري إنكليزي ، اكتشف في نينوى (العراق) اللوح المثلث لقصة الطوفان باللغة السامرية ، وهو الآن في المتحف البريطاني .

إنَّ غزوةً كانت تدار من القدس ، والعريش كانت تدار من القاهرة^(١) ، وكانت النقب وسيناء للبدو الذين اعترفوا للسلطان العثماني بالتبعية ، ولكنهم ما كانوا يأهون للحكام المصريين والعثمانيين سواء بسواء ، إذ كانت تحم حياتهم ونمط عيشهم قوانين أخرى^(٢) ، لكن مصر كانت لها بالفعل مصلحة في حكم سيناء ، من حيث إنَّ طريق الحج من السويس إلى مكة كان يمرُّ من سيناء

أمَّا مسألة (حدود فلسطين) الشماليَّة ، فقد وُحِدَ البابُ العالِي فلسطينَ بأكملها ، أي سناجق القدس ونابلس وعكا تحت لواء حاكم عكا ، لتعزيز الجبهة العسكريَّة والسياسيَّة في وجه أطماع محمد علي باشا^(٤) .

ومؤتمر لندن ١٨٤٠/٩/١٧ م عندما عرض على محمد علي باشا أن يحكم عكا مدى الحياة ، وأن يعهد إليه بإدارة سوريَّة الجنوبيَّة ، عيَّن خطَّ الحدود كالتالي : « هذا الخطُّ الَّذِي يبدأ عند رأس الناقورة ، على شاطئ البحر المتوسط ، سيمتدُّ مباشرة من هناك حتَّى مصبِّ نهر سيستبان في أقصى الطرف الشمالي لبحيرة طبريَّة ، وسوف يمرُّ على امتداد الشاطئ الغربي للبحيرة ، ويتبع الضفة اليمنى لنهر الأردن ، والشاطئ الغربي للبحر الميت ، ومن هناك سيمتدُّ مستقيماً إلى البحر الأحمر ، حيث يلتقي معه عند النقطة الشماليَّة لخليج العقبة ، ومن ثمَّ سيتبع الشاطئ الغربي لخليج العقبة ، والشرقي

(١) في منتصف الطريق بين غزة والعريش ، كان يرتفع نحو السماء عمودان قديمان من الغرانيت (عمود رفح) ، وهما علامة الحدود بين مصر وفلسطين - سوريَّة ، (انظر مصوِّر : ولاية الشام سنة ١٨٨٠ م) .

(٢) تحولات جذريَّة في فلسطين ، ص ٢٢ ، عن : (تاريخ بئر السبع) ومصادر أخرى .

(٣) من السويس إلى النخل Kalaat en Nachl ، فالعقبة ، حيث يتجه بعدها جنوباً إلى الحجاز .

(٤) تحولات جذريَّة في فلسطين ، ص ٢٣ ، عن :

. Abu Manneh, «The Rise of Sanjak of Jarusalem»

لخليج السويس لغاية السويس»^(١) ، وهكذا فقد كان محمد علي باشا سيتولى بوصفه حاكماً لعكا ، إدارة فلسطين حتى رأس الناقورة في الشمال ، وحتى نهر الأردن والبحر الميت في الشرق ، بالإضافة إلى النقب وسيناء .. بيد أن هذا الامتداد للحدود ، لم يتحقق لا في ظل محمد علي باشا ، ولا في ظل خلفائه .

وفي تموز (يوليو) سنة ١٨٧٢ م ، أعلن القناصل الأوربيون ارتياحهم الكبير لتوحيد سناجق القدس ونابلس وعكا في ولاية القدس ، أو في ولاية فلسطين ، فأعلن الباب العالي في إسطنبول إلغاء ولاية القدس ، وجعل متصرفية القدس تابعة لدمشق .

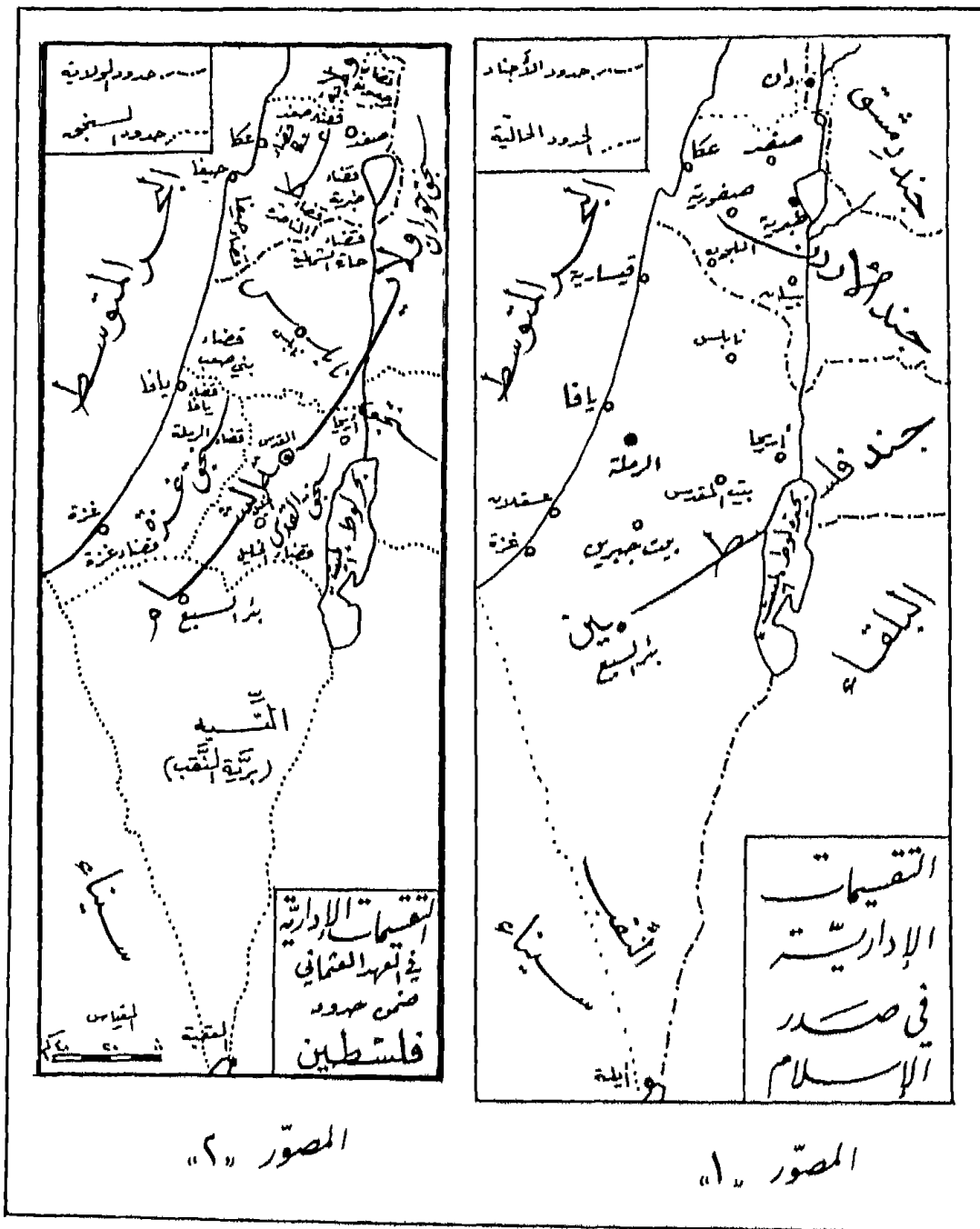
لماذا وُحِّدَتْ ؟ ولماذا فُصِّلت ؟

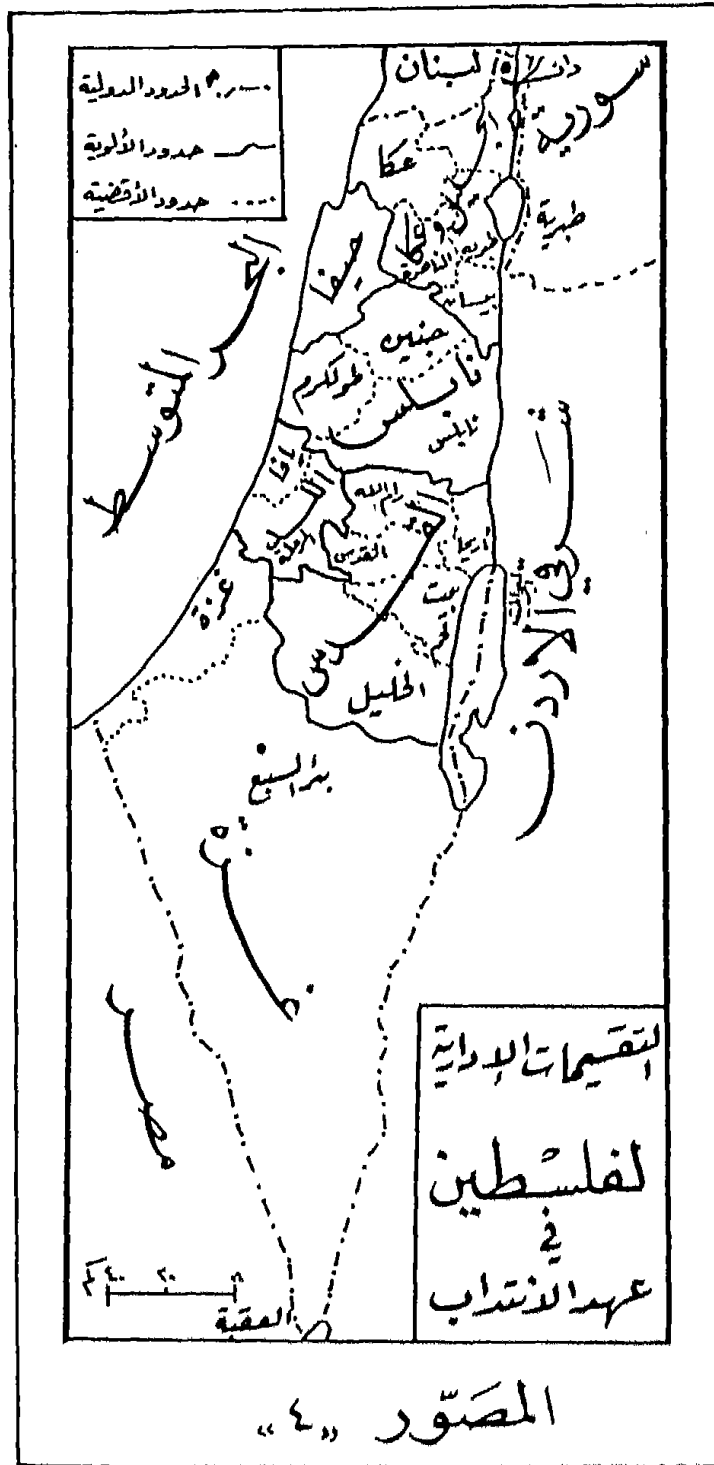
إن نظرة الأوربيين الترحيبية لإقامة ولاية فلسطين ، من حيث إنها الولاية التي شملت جميع الأماكن المقدسة (المسيحية واليهودية) ، كانت النظرة نفسها التي دعت الباب العالي إلى إلغاء الإجراء الذي اتَّخذه ، فالأوربيون يرغبون في التعامل مع حاكم واحد فقط يتبع إسطنبول مباشرة ، وأراد الباب العالي أن يقيم تقيدات إدارية في وجه التغلغل الأوربي في الأرض المقدسة .

وهكذا .. فإن الباب العالي قام منذ سنة ١٨٣٠ م بعدة محاولات لتوحيد فلسطين إدارياً ، ولحكها دون وساطة واليبي بيروت ودمشق ، ولكنه تباطأ في ذلك لكي لا يسهل الأمور أمام التغلغل الأوربي ، وهو عندما وضع القدس تحت حكم إسطنبول المباشر ، رأى في ذلك حلاً وسطاً .

وصف القنصل الألماني سنة ١٨٨٢ م فلسطين (التاريخية) ، وفلسطين (السياسية) كما يلي : « إن فلسطين التاريخية ، التي تمتد في الشمال حتى سفح جبل لبنان ، وفي الجنوب حتى حافة الصحراء ، والتي يحدُّها من الغرب البحر المتوسط ،

(١) تحولات جذرية في فلسطين ، ص ٢٣ ، عن : Hurewite, 1, 117





ومن الشرق طريق الحج الرئيس من دمشق إلى مكة ، والواقع على الجانب الآخر من نهر الأردن ، تشمل منطقة تبلغ مساحتها ٤٦٥ ميلاً مربعاً ، وتختلف عن هذه حدود ولاية فلسطين السياسية ، حدود لواء القدس اختلافاً جوهرياً ، إذ أن هذه الأخيرة تمتد شمالاً حتى مناطق نابلس ، وغرباً حتى ساحل البحر المتوسط ، وفي الجنوب تتخذ الحدود مع مصر شكل قوس كبير يمتد عبر وادي العريش حتى نقطة قريبة من خليج العقبة ، بينما يشكّل وادي عربة والبحر الميت ونهر الأردن الحدّ الفاصل من جهة الشرق ، وتضمّ هذه الرقعة التي يبلغ طولها حوالي ٣٠٠ كيلومتر ، وعرضها ١٥٠ كيلومتراً ثمانية آلاف متر مربع تقريباً من الأراضي القابلة للزراعة ، وتمثّل البرية التي تنصب فيها العشائر البدوية التي لاتعترف بسيادة دولة على مضارب خيامها ، الأرض الباقية التي تضمّ ٣٧ ألف كيلومتر مربع «^(١) .



فِلَسْطِين

في مطلع القرن التاسع عشر

تمهيداً : كانت جميع الأقطار العربية تقريباً خاضعة للسيطرة العثمانية^(٢) ، في الربع الأول من القرن السادس عشر الميلادي ، مكوّنة جزءاً من الإمبراطورية العثمانية^(٣) .

-
- (١) تحولات جذرية في فلسطين ، ص ٢٦ ، عن : Parath, The Emergence 6-9 .
(٢) مؤسس الدولة العثمانية أرطغرل بن سليمان شاه ، قائد إحدى قبائل الترك النازحين من سهول أسية الغربية إلى بلاد أسية الصغرى ، ولما توفي أرطغرل سنة ٦٨٧ هـ الموافق ١٢٨٨ م خلفه ابنه (عثمان) وإليه نُسبت (الدولة العثمانية) ، [تاريخ الدولة العلية العثمانية لمحمد فريد الحامي ، ص ١١٣ وما بعدها ، الطبعة الثانية ١٩٨٣ ، دار النفائس - بيروت] .
(٣) بدأ الفتح العثماني للبلاد العربية بشمال العراق سنة ١٥١٤ م ، ثم فتح سليم الأول بلاد الشام ١٥١٦ م ، ومصر ١٥١٧ م ، وفي سنة ١٥١٧ م أعلن خير الدين بربروساً ولاء الجزائر للدولة العثمانية ..

وكانت امتيازات الدول الأجنبية ، ضمن أراضي الإمبراطورية العثمانية ، في بادئ الأمر بمثابة تسهيلات يمنحها السلطان العثماني من جانبه - وطواعية - إلى التجار الأجانب ، وكان باستطاعته سحبها في أي وقت شاء . ومُنحت امتيازات أولى إلى التجار الإيطاليين في القرن الرابع عشر ، فحوّلتهم الإقامة في مدن الإمبراطورية العثمانية ، وتعاطي التجارة ، وممارسة طقوسهم الدينية ، وكانت الامتيازات تنص على ضمان الممتلكات ، وتحديد كميات الرسوم التي كان يتوجب عليهم دفعها^(١) .

وفي القرن السادس عشر اكتسبت الامتيازات سمة الاتفاقيات الثنائية ، ووُقعت أول اتفاقية من هذا القبيل في سنة ١٥٣٥ م بين السلطان سليمان القانوني^(٢) ، وفرنسيس الأول^(٣) ملك فرنسا ، ولم يحصل الفرنسيون بموجبها على حق التجارة فحسب ، بل وعلى جملة من الامتيازات الأخرى أيضاً ، إذ أصبح باستطاعة سفن سائر الأمم دخول الموانئ العثمانية تحت حماية العلم الفرنسي فقط ، ومُنح الزوّار الفرنسيون حرّية زيارة الأماكن المسيحية المقدّسة ، والإشراف عليها ، وحرّية ممارسة طقوسهم الدينية ، وفي سنة ١٦٠٤ م عَقِدَت اتفاقيات مماثلة مع الإنكليز وأهالي البندقية^(٤) ، الذين شرعوا بالتجارة في الدولة العثمانية تحت حماية علمهم الخاص بهم ، ثمّ مُنحت حقوق مماثلة لرعايا دول أوروبية أخرى^(٥) .

وعندما أخذ الوهن يدبُّ في أطراف الإمبراطورية العثمانية ، بدأت الدول الأوروبية تنظر إلى الامتيازات وكأنّها حقوقٌ خاصةٌ مُسلّم بها ، ولا يمكن فسخها ، ثمّ

-
- (١) تاريخ الأقطار العربية الحديث ، لوتسكي ، ص : ٢١
(٢) سليمان (الأول) القانوني ، عاشر السلاطين العثمانيين : [١٥٢٠ - ١٥٦٦ م] ، بلغت الإمبراطورية العثمانية في عهده أوجها .
(٣) فرنسوا الأول : [١٤٩٤ - ١٥٤٧ م] ، ملك فرنسا ١٥١٥ م ، أقرّ الفرنسية لغة البلاد الرسمية عوضاً عن اللاتينية .
(٤) البندقية Venezia : مدينة ومرفأ في شمالي إيطاليا على الأدرياتيك .
(٥) تاريخ الأقطار العربية الحديث ، ص : ٢١

حصلت هذه الدول على إمكانية توسيعها ، لكي تشمل أيضاً من يتعامل معها من السكان المحليين ، وبفضل الامتيازات أعفي الأشخاص الذين تمتعوا بها من الضرائب ، واستثنوا من سلطة المحاكم العثمانية الشرعية ، فغدت ممتلكاتهم آمنة من المصادرة^(١) .

واستمر نظام الامتيازات حتى مطلع القرن العشرين ، ولا غرابة أن تغتم الدولة العثمانية نشوب الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤ م ، فتسرع إلى إعلان إلغاء الامتيازات الأجنبية ، دون موافقة الدول صاحبة العلاقة^(٢) .

لقد استغل نظام الامتيازات من قبل الدول الأوربية ، كوسيلة من وسائل الاستعباد الاستعماري للبلدان العربية ، فعرقل تطوّر الرأسمال الوطني ، ووضع التجّار المحليين في موقع غير متكافئ في الحقوق مع التجّار الأوربيين ، ففي منتصف القرن التاسع عشر مثلاً ، كان التاجر الأجنبي يدفع ٣٪ ضريبة على بضاعته ، ويدفع التاجر المحلي من ١٠ - ١٢٪^(٣) .

وكان التجّار الأجانب يدفعون رسوماً جمركية تفرض على بضائعهم مرّة واحدة عند دخولها البلاد فقط ، أمّا التجّار المحليون ، فكانوا يدفعون الرسوم مرّات عديدة ، كلّما مرّت بضائعهم في دوائر الجمارك الداخلية العديدة .

(١) عندما كانت الدولة العثمانية في أوج مجدها وقوتها ، منحت بعض رعايا الدول الأوربية إعفاءً من القوانين المحلية أثناء إقامتهم في بعض الموانئ ، أو محطات القوافل للتجارة ، وأول هذه الامتيازات ما أعطاه السلطان سليمان القانوني سنة ١٥٣٥ م ملك فرنسا فرانسوا الأول ، ثمّ نالته إليزابيت ملكة إنكلترا سنة ١٥٨٠ م من السلطان مراد الثالث بلغته المتعالية : « قد أعطينا ووهبنا .. » ، لكن هذه اللهجة تغيّرت بعد قرنين ، عندما أخذت روسية امتيازات مهمة ، وسرعان ما تغيّر الغرض الأساسي من الامتيازات ، وهو تسهيل التجارة ، فلم تكتف الدول الأجنبية بعد ذلك بحماية رعاياها ، بل ادّعت فرنسا حماية النصارى الكاثوليك في جميع أنحاء الدولة العثمانية وادّعت بريطانيا حماية اليهود في فلسطين والبروتستانت في جميع الولايات العثمانية .. (الموسوعة الفلسطينية : ٢٩٤/١) .

(٢) وبقيت الامتيازات في مصر حتى سنة ١٩٣٧ م .

(٣) الموسوعة الفلسطينية : ٢٩٤/١ ، وتاريخ الأقطار العربية الحديث ، ص ٢١

حملة نابليون على سورية :

احتلّ نابليون^(١) مصر ، للضغط على بريطانية بسيطرته على طريق الهند ، ذرة التاج البريطاني ، وفي شباط (فبراير) سنة ١٧٩٩ م ، قرّر القيام بحملة على سورية بعدما انقطع اتصاله بفرنسة^(٢) ، والزحف مع جيشه نحو الشمال إلى أسية الصغرى .

استولى نابليون على العريش وغزة ويافا وحيفا دونما أي صعوبة ، واقترب في أواسط آذار (مارس) من أسوار عكا ، وفي ١٦ نيسان (إبريل) قهر نابليون عند جبل (طابور) في الجليل ، جيشاً عثمانياً ، أرسله باشا دمشق لمحاربه .

وكان يبدو سير الحملة موفقاً ، إلا أنها اصطدمت بأسوار عكا التي سدت على نابليون طريق الشمال ، ولم يكن لدى الفرنسيين ما فيه الكفاية من مدافع الحصار ، فحاولوا جلبها بحراً ، غير أن القائد الإنكليزي (سيدني سميث)^(٣) نجح في الاستيلاء عليها وهي في طريقها إلى الفرنسيين ، وعلى إثر ذلك ، دخل الأسطول الإنكليزي بقيادة سميث خليج عكا ، ليدافع عنها بنيران مدافعه ، وحاول نابليون أكثر من مرة اقتحام أسوار عكا ، إلا أن جميع هجماته منيت بالفشل ، وبعد هذا الفشل ، ومع تفشي الطاعون في جنده ، قرّر بعد مضي سبعة أيام^(٤) على الحصار ، العودة إلى مصر ، وبهذا انتهت الحملة على سورية بإخفاق الفرنسيين التام^(٥) .

(١) نابليون بونابرت Napoléon : [١٧٦٩ - ١٨٢١ م] ، ولد في أجاكسيو (كورسيكا) ، اشتهر في حملة إيطالية الأولى ١٧٩٤ والثانية ١٧٩٦ ، قاد حملة على مصر سنة ١٧٩٨ ، فانتصر في معركة الأهرام ، عاد إلى فرنسا ١٧٩٩ ليصبح القنصل الأول ، ثم إمبراطوراً سنة ١٨٠٤ م ، نفي إلى جزيرة القديسة هيلانة بعد معركة واترلو ١٨١٥ ، حيث توفي فيها .

(٢) وتحطم أسطوله في أبي قير (شرقي الإسكندرية) على يد الأسطول الإنكليزي (أول أب « أغسطس » ١٧٩٩ م) .

(٣) سيدني سميث : [١٧٦٤ - ١٨٤٠ م] ، قائد الأسطول الإنكليزي في البحر المتوسط .

(٤) استمر الحصار من ١٨ آذار (مارس) إلى ٢٠ أيار (مايو) عام ١٧٩٩ م .

(٥) تاريخ الأقطار العربية الحديث ، ص : ٥٣

فلسطين بعد مغادرة الحملة الفرنسية :

اشتدّت بصورة محسوسة قوّة أحمد الجزائر وسطوته ، بعدما عزا لنفسه شرف الانتصار على نابليون ، وبعدهما وقفت مدينة عكا بوجه جيش أوربي لم يغلب ، وصدّت هجوم جيش حديث لم يذق طعم الهزيمة .

وبعزيمة جديدة قويّة ، كان الجزائر - وهو ثمل بالانتصار - يسعى إلى وضع سوريّة برمتها تحت سلطته ، فخاض حروباً متواصلة ضدّ باشوات دمشق وطرابلس ، أملاً ضمّ ممتلكاتها إليه ، وطبيعي أن السلطان سليم الثالث ، الذي خاض معارك ضدّ ميول ولاته الانفصاليّة ، من أن يحدّد سلطة الجزائر ونفوذه بكلّ الوسائل .

وفي الوقت ذاته ، وجد الجزائر منافساً جديداً له في شخص صنيعته وتابعه بشير الثاني^(١) الأمير اللبناني ، الذي وحدّ لبنان كلّهُ تحت سلطته ، فقرّر التخلّص من هذا المنافس ، إلاّ أن الباب العالي قرّر مساندة بشير الثاني ، فأصبح خاضعاً مباشرة للباب العالي ، متخلّصاً من التبعيّة لأحمد الجزائر ، وفي سنة ١٨٠٣ م عقد معه صلحاً ، ودفع بشير الثاني له ٤٠٠ ألف قرش^(٢) ، عن الضرائب المتأخّرة للسنوات المنصرمة ، و ٥٠٠ ألف قرش كأتاوة سنويّة .

وفي نيسان (إبريل) ١٨٠٤ م توفي أحمد الجزائر ، ليحكم (سليمان باشا) - قائد جيش الجزائر - جنوبي سوريّة خمسة عشر عاماً : [١٨٠٤ - ١٨١٩ م]

واشتدّ التندّر في سوريّة ضدّ تجديدات السلطان محمود الثاني وإصلاحاته ، في العقد الثاني من القرن التاسع عشر ، خصوصاً عندما أدخل الملابس الأوربيّة ،

(١) بشير بن قاسم بن عمر الشهابي : [١٧٦٠ - ١٨٥٠ م] أكبر الأمراء الشهابيين ، ولد في قرية (غزير) بظاهر بيروت ، وعندما كبر أتصل بأحمد الجزائر فقرّبه ثمّ ولاه إمارة لبنان ، فكانت له حوادث كثيرة ، وعزل مرّات ، وأعيد ، أزر إبراهيم باشا قبض عليه الإنكليز عندما عاد إبراهيم من سوريّة ، ونفوه إلى مالطا ، ثم انتقل إلى اسطنبول وتوفي فيها ، (الأعلام ٥٧/٢) .

(٢) القرش : عملة نقدية كانت متداولة في الدولة العثمانية ، كان يعادل في ابتداء القرن التاسع عشر ١/٤ فرنك أو ١/٥ روبل فضّي .

والطربوش بدل العمامة ، فَعُدَّ ذلك (فَرَنْجَةَ لِلدَّوْلَةِ) ، وأتبع ذلك سنة ١٨٢٦ م ،
بإلغاء نظام الإقطاعيات العسكرية رسمياً ، وتصفية فيلق الانكشارية .

وسادت إضرابات في القدس ، وبيت لحم ، ونابلس .. ورفض السُّكَّان دفع
الضرائب الباهظة ، وفي سنة ١٨٣٠ م ، قامت انتفاضة أخرى في نابلس .

أدرك محمد علي^(١) باشا - والي مصر - ضعف السلطان العثماني بعد حرب اليونان
الفاشلة^(٢) ، وأن نزاعه مع السلطان ستكون سورية ميدانه الطبيعي ، فهي من أغنى
أقاليم الإمبراطورية العثمانية ، تنتج خامات الحرير ، والصوف ، والقمح ، وزيت
الزيتون ، والفواكه ، والأخشاب الضرورية لصنع السفن ... وبمقدور سورية أن
تصبح سوقاً ملائمة للصناعة المصرية النامية .

الْحَمْلَةُ عَلَى سُورِيَّة [١٨٣١ - ١٨٤٠ م] :

إنَّ حرب الشَّام تُعَدُّ حرباً دفاعية ، وحرباً هجومية ، أمَّا كونها حرباً دفاعية ،
فلأنَّ محمد علي يعلم أنَّ الدَّولة العثمانية لا تفتأ تسعى لاسترداد مركزها في مصر ما وجدت
سبيلاً إلى ذلك ، وأنَّ السلطان محمود الثاني لم يكن خالص النية نحوه ، بل كان ينظر
بعين الحسد إلى تقدُّم مصر وما كسبته من المكانة العالية ، ولم ينسَ كذلك أنَّ مصر
امتنعت عن مساعدته في حربه مع روسية سنة ١٨٢٨ م ، فحقد السلطان على محمد

(١) محمد علي بن إبراهيم أغا بن علي [١٧٧٠ - ١٨٤٩ م] : مؤسس آخر دولة ملكية بمصر ، ألباني الأصل ،
قدم مصر وكيلاً لرئيس قوة من المتطوعة الألبان نجدة لردَّ الفرنسيين ، فشهد حرب أبي قير ، وجمال
الماليك ، وعندما أرهق الماليك الشعب بالضرائب ، فقرَّر سكان القاهرة في ١٢ آذار (مارس) ١٨٠٤ م
الإطاحة بهم ، استغلَّ محمد علي الموقف ، فانحاز إلى الثَّوار فنبت شعبيته وتعاضمت ، وعندما اندلعت
الثَّورة ضدَّ الوالي العثماني (خورشيد باشا) أيار (مايو) ١٨٠٥ م وطرد الشعب الانكشارية وأطاح
بخورشيد باشا ، نادى بمحمد علي والياً على مصر ، فشرع بإنشاء جيش نظامي قوي ، [عصر محمد علي
لعبد الرُّجن الرافعي ، ص ٣٦ وما بعدها ، طبعة دار المعارف بمصر ، ١٩٨٢ م] .

(٢) الحرب اليونانية : [١٨٢١ - ١٨٢٨ م] ، ومشاركة جيش محمد علي فيها : [١٨٢٤ - ١٨٢٧ م] .

علي ، وأخذ يتربص به لينتقم منه وينتزع منه حكم مصر ، ولم يكن يحول بينه وبين ذلك سوى ارتباك أحوال الدولة العثمانية وضعفها ، فإذا ماسنحت الفرصة ، فإنه لا يتردد في التخلّص من خصمه ، فطموح محمد علي إلى فتح سورية ، كان الغرض منه أن يدافع عن مصر ، وعن مركزه فيها^(١) ، فالحرب السورية من هذه الوجهة ، كانت حرباً دفاعية .

ولكنها كانت أيضاً حرباً هجومية ، ففكرة ضمّ سورية إلى مصر كانت تختلج في نفس محمد علي منذ سنة ١٨١٠ م ، ولقد صرفه عنها انهياكه في الحرب الوهابية : [١٨١١ - ١٨١٩ م] ، ثم فتح السودان : [١٨٢٠ - ١٨٢٢ م] ، ثم الحرب اليونانية : [١٨٢٤ - ١٨٢٧ م] ، فلما انتهى من هذه الأخيرة ، أخذ يفكر في إنفاذ فكرته القديمة .

ومن الراجح الذي تؤيده الحوادث ، أن مشروع محمد علي كان يتناول إنشاء دولة عربية مستقلة في مصر ، تضم إليها البلاد العربية في إفريقية وآسية ، خصوصاً بعد فتح السودان ، وبسط نفوذه على معظم أجزاء الجزيرة العربية .

ويؤيد هذه الفكرة رجحاناً ، بعض تصريحات فاه إبراهيم باشا خلال الحرب السورية ، فقد ذكر المسيو كادلفين وبارو في كتابها أنه بينما كان الحصار مضروباً على عكا ، سئل إبراهيم باشا إلى أي مدى تصل فتوحاته إذا تم له الاستيلاء على عكا ؟ فقال : إلى مدى ما يتكلم الناس وأفهام وإيأهم باللسان العربي^(٢) .

وقابل البارون (لبوالكونت) إبراهيم باشا بالقرب من طرسوس^(٣) بالأناضول سنة ١٨٣٣ م ، بعد عودته من كوتاهية ، وكان له معه حديث طويل ، فذكر عنه : « إن إبراهيم باشا يجاهر علناً بأنه ينوي إحياء القومية العربية ، وإعطاء العرب حقوقهم ،

(١) عصر محمد علي ، ص : ٢١٧

(٢) كادلفين وبارو : حرب مصر ضد الباب العالي في سورية والأناضول سنة ١٨٣١ - ١٨٣٣ م ، ص : ٤١٢

(٣) طرسوس : مدينة بثغور الشام ، شمالي خليج الإسكندرون ، (معجم البلدان ٢٨/٤) .

وإسناد المناصب إليهم سواء في الإدارة ، أو في الجيش ، وأن يجعل منهم شعباً مستقلاً ، ويشركهم في إدارة الشؤون الماليّة ، ويعودهم سلطة الحكم كما يتحمّلون تكاليفه ، وتتجلى فكرته هذه في منشوراته ومخاطباته لجنوده في الحرب الأخيرة بسوريّة ، فإنّه لا يفتأ يذكرهم بمفاخر الأُمّة العربيّة ومجدها التّالد ، ويتّصل بهذا المعنى مجاهرته بأنّ كلّ البلدان العربيّة يجب أن تنضم تحت لواء أبيه ، وقد قال لي إنّ أباه يحكم مصر والسّودان وسوريّة ، ومن الواجب أن يضمّ العراق إلى حكمه ، وإنّ جزيرة العرب تابعة لأبيه الّذي يعمل الآن على إتمام فتحها ، وهو في صِلاتِهِ مع أهل البلاد يستخدم اللّغة العربيّة ، ويعدّ نفسه عربيّاً ، ولذلك لا ينفك يطعن في الأتراك ، وقد لاحظ عليه ذلك أحد جنوده ، وخاطبه بتلك الحرّيّة الّتي كان يشجّع رجاله عليها ، وسأله كيف يطعن في الأتراك وهو منهم ؟! فأجابه إبراهيم باشا على الفور : أنا لست تركيّاً ، فإنّي جئت مصر صبيّاً ، ومنذ ذلك الحين قد مضّرتني شمسها ، وغيّرت من دمي ، وجعلته دماً عربيّاً» (١) .

وكان لمحمّد علي باشا في فتح سوريّة أغراض اقتصاديّة ، فإنّه أراد استغلال مواردها من الخشب وخامات المعادن ، خصوصاً بعد أن أنشأ المصانع الكبرى .

أمّا السّبب المباشر للحملة ، فلقد استغلّ محمّد علي باشا الخلاف القائم بينه وبين عبد الله باشا والي صيدا (١) ، بسبب ستّة آلاف من الفلّاحين المصريّين ، الّذين كانوا قد هربوا سنة ١٨٣١ م من التّجنيد ، ولجؤوا إلى فلسطين ، وطلب محمّد علي باشا من عبد الله باشا إرجاع الفلّاحين الفارّين إلى مصر قسراً ، إلّا أنّ عبد الله باشا رفض تسليمهم إلى مصر بحجّة معقولة ، وهي : أنّ جميع السّكان بوصفهم رعيّة لعاهل واحد هو السّلطان ، يستطيعون العيش في أيّ مكان كان من الإمبراطوريّة العثمانيّة ، وعندئذ بدأ محمّد علي باشا بعمليّاته الحربيّة ، مع التّظاهر بالإخلاص للسّلطان والولاء له .

(١) كتاب مهمّة البارون ، (لبوالكونت) ، ص : ٢٤٨ - ٢٤٩

(٢) ولاية صيدا قاعدتها عكّا ، لذلك تسمّى أحياناً ولاية عكّا .

فتحت مدن فلسطين أبوابها لجيش محمد علي الذي يقوده ابنه إبراهيم باشا ، وحسب توقُّعات محمد علي الصَّائبة^(١) ، ستركز المقاومة في عكا ، ودخلت قوات إبراهيم باشا القدس ، مع خشية السُّكان أن يبيح المصريون المدينة للنهب ، ويدنسوا المقدَّسات ، ولكن إبراهيم باشا وجَّه إلى القاضي الشرعي ، والمفتي ، وشيخ مسجد عمر .. وكلِّ السُّلطات ، الكتاب التَّالي :

« في القدس معابد وأديرة وأماكن للحجِّ تأتي إليها من أبعد البلدان كلُّ الشُّعوب المسيحيَّة واليهوديَّة من مختلف الطوائف الدِّينيَّة ، وكانت تُرهبق هؤلاء الحجَّاج إلى الآن ضرائب ضخمة في أداء نذورهم ، وفرائض دينهم ، ورغبة منَّا في استئصال هذا العُسف ، نأمر كلَّ متسلمي إيالة صيدا^(٢) ، وسنجقي القدس ونابلس بإلغاء هذه الضَّرائب على كلِّ الطُّرق بلا استثناء ، يقيم في أديرة القدس وكنائسها رهبان ومنتعبدون لقراءة الإنجيل ، وأداء الطُّقوس الدِّينيَّة لمعتقداتهم ، والعدل يقتضي أن تُعفى من كلِّ الضَّرائب التي فرضتها عليها السُّلطات المحليَّة بشكل تعسفي ، ولهذا نأمر بأن تُلغى إلى الأبد كلُّ الضَّرائب التي تُجَبى من أديرة ومعابد كلِّ الشُّعوب المسيحيَّة المقيمة في القدس من يونانيِّين وفرنجية وأرمن وأقباط وغيرهم ، وكذلك الضَّرائب القديمة والجديدة التي يدفعها الشَّعب اليهودي ، ومهما كانت الذريعة أو التسمية التي تؤخذ بها هذه الضَّرائب هديَّة عاديَّة وطوعيَّة ، أو إلى خزينة الباشوات ، أو في مصلحة القضاة والمتسلمين والديوان وما شابه ذلك ، فإنها جميعاً ممنوعة منعاً باتاً ، وتلغى على حدِّ سواء الكفَّارة التي تُجَبى من المسيحيِّين عند دخول كنيسة قبر السيِّد المسيح ، أو عند التوجُّه إلى نهر الشريعة (الأردن) ، وعليكم - ما إن نقرأ هذا البيورلدي (الأمر) - أن تسارعوا إلى تنفيذ هذه كلمة كلمة ، وتوقفوا فوراً جباية كلِّ الضَّرائب المذكورة أعلاه وغيرها من

(١) سوريَّة وفلسطين تحت الحكم العثماني ، ص ١١٢

(٢) جعل إبراهيم باشا وأمره الحكوميَّة حتَّى الاستيلاء على عكا تقتصر على منطقة نفوذ عبد الله ، محاولاً بجرص أن يصوِّر للشَّعب حربه بمثابة قضية بينه وبين عبد الله باشا ، ويبعد مظهر الانتفاضة ضدَّ سلطة السُّلطان العثماني .

الضرائب القائمة على العادة ، وكلّ مطلب من أديرة القدس ومعابدها العائدة إلى مختلف الشعوب^(١) المسيحية واليهودية ، شأن الكفّارات ، كأمرٍ منافٍ للقانون ، بعد إعلان هذا الأمر سيعاقب بصرامة كلُّ من يطلب أقلّ أتاوة من المعابد والأديرة المذكورة والحجّاج ، ولتنفيذه أصدرنا هذا البيورلدي (الأمر) ، عن ديوان (مجلس) قيادتنا العليا «^(٢) .

إنّ كلمات كهذه على شفّتي باشا مسلم ، على شفّتي فاتح جريء ما إن استولى على سورية ، حتّى أخذ يحلم باستئصال الفساد ، وبعدم إرهاب الشعب بالضرائب والأتاوات ، لأمر هام ، بالإضافة إلى التدابير الأمنية السديدة ، التي اتخذها إبراهيم باشا ، والتي فتحت للحجّاج الطّريق إلى فلسطين ، ففي السّنّتين الثّانية والثّالثة من الحكم المصري ، بلغ عدد اليونانيين والأرمن الذين جاؤوا من كلّ المناطق العثمانية إلى القدس ١٠ آلاف شخص ، وقد اغتنت بهم يافا والسّكان الجبليّون الذين كانوا يعملون مرافقين ، وسكان القدس التي كان الحجّاج يمضون الشّتاء فيها ، وهذا دليل بأنّ جذب عدد كبير من الضيوف المؤمنين من خلال التسامح والأمن ، أجدى من الضرائب والأتاوات .

لقد كان تسامح إبراهيم باشا الديني قائماً من كلّ الجوانب على حساب سياسي صحيح ، لقد كان الأمر الذي أصدره من معسكره الواقع قرب عكا ، ضماناً حبّ مسبق له ، وتعلّق ثمين من جانب كلّ السّكان على اختلاف أديانهم .

إنّ تسامح إبراهيم باشا الديني ، يكاد أن يكون أهم إجراء وأرسخه لتحوّلات هامة في المنطقة ، وأساساً مدروساً بدقّة لنفوذه لدى القبائل المسلمة في سورية .

واستطاع جيش إبراهيم باشا من اقتحام أسوار عكا ، لأنّ السّلطان محمود الثّاني لم يقدّم يد العون لعبد الله باشا ، وذلك للتخلّص من عدوّ قديم استعصى عليه ، تطبيقاً لسياسة : « دار عدوّك إلى أن تحلّ ساعة قتله » ، ولكن نتيجة الحسابات كانت

(١) يقصد بالأسلوب العثماني الرسمي بالشعوب عادة : الطوائف .

(٢) سورية ولبنان تحت الحكم العثماني ، ص ١١٥ ، وعصر محمد علي ، ص ٢٢٤

خاطئة ، خصوصاً عندما تابع إبراهيم باشا الفتح واحتل سورية كلها ، واجتاز جبال طوروس متجهاً إلى قونية (انظر المصور) ، حيث خسر الجيش العثماني المعركة ، فهرع السلطان يطلب حماية عاصمته المهتدة بالسقوط من الدول الكبرى ، التي لجأت إلى الحلّ الدبلوماسي ، فطالت المفاوضات بين الباب العالي ومحمد علي ، الذي اضطرّ أخيراً إلى التخلي عن أطماعه في احتلال العاصمة ، ورضي بسورية ، فوَقعت معاهدة كوتاهية في ٤ أيّار (مايو) ١٨٣٣ م ، وتراجع إبراهيم باشا إلى جنوبي سلسلة جبال الأمانوس .

وليس هذا الاهتمام الأوربي بحماية إسطنبول من السقوط بيد محمد علي باشا ، حبا بالسلطان ودولته ، إنّه حماية لأوربة ذاتها ، فإسطنبول مفتاح شرقي أوربة ، كما أنّ سبته^(١) مفتاح غربها ، وهيئات أن يسمح الأوربيون أن يستلم مفتاح شرقي أوربة رجل قوي ، مع جيش فتي بتسليح حديث ، من جديد .

سياسة إبراهيم باشا في سورية :

كانت سياسة إبراهيم باشا في سورية ، تهدف إلى انتزاع أكثر الموارد الممكنة من القبائل الواقعة تحت سلطته ، بغية إنجاز أكثر المآرب طموحاً ، لذلك أخذ يطبّق بعنف النظامين الإداري والمالي المصريّين ، فقمع الميول الفوضوية للقبائل ، ووَزَع بالعدل عبء الضرائب التي كانت حتّى ذلك الحين موضوعة تحت رحمة الباشوات ، والحكّام المحليّين ، وكان إبراهيم باشا يتمتّع إلى جانب مواهبه العسكرية بقدرات كبيرة في مجال الاقتصاد ، فجعل وقته لاستثمار رؤوس أمواله في المضاربات التجاريّة والصناعيّة .

كما فرض إبراهيم باشا المضطّر إلى إبقاء جيش جرّار في سورية ، التّجنيد

(١) سبته : مدينة على مضيق جبل طارق على السّاحل الإفريقي ، قبالة الجزيرة الخضراء على الشّاطئ الأندلسي ، في معجم البلدان ١٨٢/٣ : سبته أقرب ما بين البرّ الإفريقي والأندلس ، ونبّه المبشر تامون لل Lull منذ سنة ١٣١٠ م إلى أهميّة المدينتين (سبته والقسطنطينية) ، وأوصى باحتلالهما قاعدتين لشنّ الهجمات ضدّ العرب المسلمين ، انظر :

Allison Peers, Rpmun Lull: A Biography, London, 1929, P. 351

الإجباري ، فنشبت ثورة شملت كل فلسطين في ربيع سنة ١٨٣٤ م ، بعد إعلان السلطات المصرية قراراً يقضي بجمع الأسلحة والمجندين هناك ، فأباد الثوار الحاميتين المصريتين في نابلس والخليل ، وحاصروا الوحدات المصرية في القدس ، ولم يرفع الحصار عنها إلا بعد الوعد بإلغاء التجنيد الإجباري ، بيد أن الحكومة المصرية لم تف بوعدها ، فتجددت الثورات^(١) .

ولم يستطع سكان المدن تحاشي التجنيد الإجباري ، فاشتد الرعب من شبحه ، وازدادت كراهية الشعب إزاء كل الإصلاحات التي وإن كانت مواتية للمنطقة من نواح كثيرة ، إلا أن ثمنها كان يدفع ضريبة دم مرهقة جداً وباهظة ، حتى وإن ١٠٠ ألف سوري هربوا من قسوة الحكم المصري ، وهذا التقلص للسكان كان محسوساً بالنسبة إلى الزراعة والصناعة أكثر من التجنيد نفسه بما لا يقاس ، ولم يستطع إبراهيم باشا مع كل صرامته ، أن يجند في سورية على امتداد خمس سنوات : | ١٨٣٣ - ١٨٣٨ م | أكثر من ٣٥ ألف رجل^(٢) .

ويمكن تلخيص أسباب الثورات في سورية ضد حكم إبراهيم باشا ، بما يلي :

وعد إبراهيم باشا السوريين بإعفائهم من التجنيد وتخفيض الضرائب ، وألاً يكلفهم إلا بدفع الضرائب الحكومية المقررة ، وبر بوعده في السنوات الأولى من حكمه ، فخفف عنهم بعض الأعباء المالية ، وأخذ في تنشيط الزراعة والتجارة ، فشر السكّان بالاطمئنان وركنوا لحكم إبراهيم باشا .

عندما زار المارشال مارمون (الدوق دي راجوز) سورية سنة ١٨٣٤ م ، أعجب بما رآه من السكينة والأمن فيها ، وكتب في رحلته يقول : « إذا بقيت أعمال محمد علي ، وبقي الأمن الذي بسطه فيما فتحه من البلاد كما صار إليه الآن من الاستقرار الذي

(١) سورية وفلسطين تحت الحكم العثماني ، ص : ١٤٣

(٢) تاريخ الأقطار العربية الحديث ، ص ١٣٤ ، بحث : (الاستياء في البلاد ، انتفاضات ضد التجنيد) .

يدعو إلى الإعجاب ، فإنّ حالة هذه البلاد سينبه شأنها ، وستتطوّر تطوّراً كبيراً»^(١) .

ويقول المسيو لويس بلان - المؤرّخ الفرنسي - في كتابه (تاريخ عشر سنوات) :
« إذا أردنا أن نعرف ما أفادته سوريّة من انتقالها من الحكم العثماني إلى حكم المصريين ، فما علينا إلّا أن نلقي نظرة على سهول أنطاكية التي اكتست بأشجار الزيتون ، وضواحي بيروت التي كثرت فيها الكروم ، والنشاط الذي انبعث في حلب ودمشق ، صحيح أنّ محمد علي أظهر جنفاً^(٢) وقسوة في حكم سوريّة ، ولكن في ظلّ هذا الاستبداد العارض الذي كان ضرورة ولزماً حيث سادت الفوضى في تلك البلاد ، قد نالت سوريّة النظام والعمران »^(٣) .

هذه الحال ما لبثت أن تبدّلت لما أصدره محمد علي باشا إلى ابنه في أواخر سنة ١٨٣٣ م ، وأوائل سنة ١٨٣٤ م ، من الأوامر التي أثقلت كاهل الأهلين بأعباء فادحة ، وهي :

- ١ - احتكار الحرير في البلاد السوريّة .
- ٢ - أخذ ضريبة الرؤوس من الرجال كافة على اختلاف مذاهبهم .
- ٣ - تجنيد الأهالي الإجباري .
- ٤ - ونزع السلاح من أيديهم^(٤) .

لقد تدمّر السكّان من هذه الإجراءات وتبرّموا ، لأنّ احتكار الحكومة للحرير من شأنه إلحاق الضرر بمنّتيه ، ومنع تنافس التّجار على شرائه وحرمان المنتجين مكاسبهم

(١) رحلة المارشال التّوق دي راجوز : ٢٨/٣

(٢) الجنف : الميل والجور ، [اللسان : جنّف] .

(٣) تاريخ عشر سنوات : ٤٢١/٥ ، وأنطاكية التي وردت في النصّ أتخذها إبراهيم باشا مقرّه العام لموقعها الحربي الهامّ .

(٤) عصر محمد علي ، ص : ٢٦٢ وما بعدها .

منه ، ونفروا من ضريبة الرؤوس وخاصة المسلمين ، لأنهم ما كانوا ملزمين بها من قبل ، وزاد من نفورهم تسخير الحكومة للأهالي في الأعمال العامّة .

وكان التجنيد ونزع السلاح أهم الأسباب المباشرة التي أفضت إلى الثورة ، فقد نفذ التجنيد بطريقة قاسية تثير الخواطر ، وكان كثير من المجندين يُرسلون إلى جهات لا يصل إلى ذويهم شيء من أخبارهم فيها ، وتوّج هذه الإجراءات التي سببت الثورات نزع السلاح ، الذي كان معظم الأهالي يحملونه ، ليدفعوا به سطوات البدو وعدوانهم ، فانزعاج السلاح من أيديهم أمر لا تقبله نفوسهم عن طاعة واختيار .

الحرب السوريّة الثانیة : [١٨٣٩ م]

ما فتئت الدولة العثمانيّة بعد هزيمتها في معركة قونية ، وإبرامها اتفريقيّة كوتاهية ، تبذل كل ما في وسعها لاسترجاع سوريّة وإقليم أضنة إلى حوزتها ، ولم يؤخرها عن امتشاق الحسام حتى سنة ١٨٣٩ م ، إلا شعورها بأنها أضعف جنداً من جند محمد علي ، فأخذت تتحين الفرصة المناسبة للثأر ، ورأى محمد علي دسائس السلطان محمود الثاني تزداد في سوريّة ، فاعتزم إعلان الاستقلال^(١) ، ليقطع آخر سبب يربط مصر بالدولة العثمانيّة ، واستدعى قناصل الدُول ، وأعلمهم بعزمه هذا في أيّار (مايو) ١٨٣٨ م ، وكان يعتقد أنّ الدُول الأوربيّة لا تعارضه في إعلان الاستقلال ، أسوة بما فعلته حيال اليونان ، إذ أزرتها في تحقيق استقلالها وانفصالها عن الدولة العثمانيّة وتأييدها في مطالبها القوميّة ، ولكن الدُول الأوربيّة تنظر إلى مصر بغير العين التي تنظر بها إلى اليونان ، فاعترضت على ما عزم عليه محمد علي باشا ، وحذّرت من عواقب قراره ، وبذلك بدأ تحيُّزها للعثمانيّين جليّاً ، مما جرّأ السلطان محمود الثاني على التحرُّش بمحمد علي باشا ، فأدّى ذلك إلى وقوع الحرب السوريّة الثانیة .

(١) كادلفين وبارو ، سنتان من تاريخ الشرق : ٢٢/١ و ٤٦

وفي صبيحة ٢٤ حزيران (يونيو) ١٨٣٩ م بدأت معركة نصيبين^(١) التي أسفرت عن خسارة العثمانيين ، وانتصار إبراهيم باشا ، الذي قضى في هذه المعركة على قوة العثمانيين الحربية ، وتوفي السلطان محمود الثاني في أول تموز (يوليو) ١٨٣٩ م قبل أن يبلغه نبأ انكسار جيشه ، وخلفه عبد المجيد الأول^(٢) في الوقت الذي تزلزلت فيه قوائم السلطنة من ضربات إبراهيم باشا ، ولم تكن سين السلطان الجديد تتجاوز السابعة عشرة ، فلم يدر كيف يعالج الأمور ، ولا كيف يتجه بين العواصف التي هبت على عرشه .

وفي الوقت ذاته ، سلم أحمد باشا فوزي الأسطول العثماني إلى محمد علي باشا ، بعدما عين السلطان خسرو باشا صدراً أعظم ، وكان بينه وبين أحمد باشا فوزي عداً قديماً ، وهكذا تسلم محمد علي باشا الأسطول العثماني الضخم ، « في تلك الفترة كان طالع محمد علي قد بلغ الأوج »^(٣) .

قدم ممثلو الدول الخمس الكبرى في إسطنبول : (إنكلترا وفرنسة وروسية والنمسة وبروسية) في ٢٧ تموز (يوليو) ١٨٣٩ م مذكرة^(٤) يطلبون بها من السلطان أن لا يبرم أمراً في شأن المسألة المصرية إلا باطلاعهم واتفاقهم .

قبل السلطان هذه الوساطة بارتياح ، ولكن محمداً علياً اعترته الكآبة عندما أبلغ

(١) تقع قرية نصيبين على الطريق الواصل بين بيرة جك (البير) وميناء الاسكندرونة ، وموقعها غربي بيرة جك القائمة على الضفة اليسرى لنهر الفرات ، وهي غير نصيبين التي بالجزيرة السورية ، جاء في (معجم البلدان ٢٨٩/٥) : « ونصيبين أيضاً قرية من قرى حلب » .

(٢) عبد المجيد الأول : [١٨٢٩ - ١٨٦١ م] .

(٣) قالها قسطنطين بازلي ، وهو شاهد عيان ، وصف بالتفصيل خيانة الأميرال العثماني ، (سورية وفلسطين .. ص ٢٠٨) .

(٤) وهي المذكرة المعروفة تحت رقم ١٥ ، تاريخ ٢٧ تموز (يوليو) ١٨٣٩ ، وهي اقتراح مترنيخ وزير النمسة الأكبر ، ووجهة نظره أن يحول دون انفراد روسية بالتدخل في المسألة الشرقية ، وإرغام فرنسا على العمل مع الدول الكبرى .

بمضمون المذكورة ، وأدرك أن إنكلترة منذ سنوات تنظر بقلق إلى قوته المتعاضمة ، وهي تطمح إلى القضاء عليه ، وطرده من سوريرة ، حفاظاً على طريق الهند ، ولكنه فرح بالخلاف بين الوسطاء ، ففرنسة تميل إليه ، ويتعاطف شعبها معه منافسةً لإنكلترة ، لذلك لم يقم بأية تنازلات .

مُعَاهَدَةٌ لِنَدْنِ الْأُولَى : [١٥ تموز (يوليو) ١٨٤٠ م] :

وَقَّعَ هذه المعاهدة كلُّ من روسية والنمسة وإنكلترة وبروسية والدولة العثمانية ، وعلى الرغم من ممانعة فرنسة ، قرَّرت الدُول الكبرى كبح جماح محمد علي باشا بالقوة ، ووضع حدود لطموحه المفرط .

وبناء على مضمون معاهدة لندن الأولى ، اقترح الباب العالي على محمد علي باشا أن يحكم مصر وراثياً ، ويدير مدى الحياة جنوبي سوريرة (أي فلسطين)^(١) ، على أن يوافق على هذا الاقتراح ، الذي أيده ممثلو الدُول الكبرى في غضون عشرة أيام ، وأن يوجّه في خلال العشرة أيام هذه الأوامر إلى جيشه ، بإخلاء بقية سوريرة وأضنة ، وكريت^(٢) ، وشبه جزيرة العرب ، مع إرجاع أسطول السلطان فوراً .

وفي حال رفض محمد علي باشا لهذا الاقتراح ، يقتصر الباب العالي على تقديم مصر يحكمها وراثياً ، ويُمنحُ مُدَّةَ عشرة أيام أخرى لقبول هذا الشرط ، تاركاً لنفسه في حال رفض محمد علي باشا ثانية حرّية العمل بالشكل الذي يراه بعد مباحثات تمهيدية مع الدُول الكبرى .

رفض محمد علي باشا مقرّرات مؤتمر لندن ، وقرّر الدُول بالسيف عمّا أخذه

(١) وفق خط يمتدُّ من رأس الناقورة على البحر المتوسط (شمالي عكا ، وجنوبي صور) إلى بحيرة طبرية ، فنهر الأردن إلى البحر الميت ، إلى العقبة على البحر الأحمر .

(٢) وهي كاندي Candie في بعض المصادر ، وكاندي مدينته في كريت ، اسمها اليوم هيراكليون : Hérakléion

بالسيف^(١) ، خصوصاً وجيشه في سورية ٧٥ ألف رجل ، وقد زوّد بكلّ ما يلزم لمدة سنة واحدة ، معوّلاً الكثير على نفوذ الأمير بشير الشهابي بين القبائل اللبنانيّة ، ومؤمناً بشفاعة فرنسة ونصرتها ، منتظراً - من ساعة إلى أخرى - العون منها للوقوف ضدّ الدّول المتحالفة^(٢) ..

اعتمد محمد علي باشا على معونة فرنسة ، إلاّ أنّها لم تفعل شيئاً سوى التهديد بالسّلاح ، فهي لم تخاطر للقيام بحرب أوريّية واسعة ، وتركت مصر في كفة الأقدار^(٣) .

استنسلّم محمد علي باشا : وفي تشرين الثاني (نوفمبر) ١٨٤٠ م قاد شارل نابير Napier عمارة إنكليزيّة إلى الاسكندريّة ، وقدّم إنذاراً إلى محمد علي باشا ، هدّد فيه بإطلاق النّار على القاعدة الرّئيسيّة للأسطول المصري .

أمام الموقف الحرج في سورية ، وشواطئ مصر على البحر المتوسّط ، رأى محمد علي باشا أن يجنح إلى السّلم ، إذ لا طاقة له بحاربة أوريّة مجتمعة ، خصوصاً بعد تخلي فرنسة عنه ، فقبل أن يتجلّو عن سورية ، وأن يرزّد الأسطول العثماني إلى السّلطان ، مقابل تخويله حكم مصر وراثياً بضمانة الدّول الأوريّة .

ويالحاح من ممثلي الدّول الكبرى ، وافق الباب العالي على خضوع محمد علي باشا ، وكانت القرارات النهائيّة للباب العالي ، التي وافق عليها في أيّار (مايو) ١٨٤١ م ممثّلو الدّول الكبرى : يتمّ التنازل لمحمد علي عن الحقّ في الحكم الوراثي لمصر والسّودان ، بمثابة والٍ مفوّض للسّلطان ، وحدّدت الوراثة لأكبر الذّكور في أسرته ، وقُلص جيش محمد علي حتّى ١٨٠٠٠ جندي ، وحُرّم من حقّ تعيين الجنرالات في جيشه ، ومن حقّ بناء

(١) تاريخ الأقطار العربيّة الحديث ، ص : ١٤١

(٢) سورية وفلسطين تحت الحكم العثماني ، ص : ٢٣٣

(٣) تاريخ الأقطار العربيّة الحديث ، ص : ١٤٢

السفن الحربيّة ، وأعاد إلى السلطان أسطوله الحربي ، واعترف بأنّه تابع للسلطان ،
وتعهّد بدفع جزية كبيرة إلى خزينته ، وأخلى سوريّة والجزيرة العربيّة وكريت .



بلاد الشام : [١٨٤٠ - ١٨٦٠ م] :

النزاع الطائفي : بدأ النزاع الطائفي في الظهور في بلاد الشام ، عندما وصل
الأمير بشير الشهابي الثاني ، فأمرآ لبنان من آل معن وشهاب وتنوخ ، كانوا قبل ذلك
يجمعون سكان جبل لبنان على صعيد واحد ، دون أن يفرّقوا بين درزي وماروني ،
أو مسلم ومسيحي .

فكر بشير الشهابي في بسط سيطرته على جبل لبنان بأكمله ، فاقضى الأمر أن
يكون مسيحياً مع المسيحيين ، ودرزياً مع الدرّوز ، وعندما اصطدمت مطامحه بمصالح
الدرّوز ، حنق عليهم^(١) ، وتعاون مع الموارنة واعتمد عليهم وسلّح بعضهم لقمع الثورة
الدرزيّة^(٢) ، فأذكى نار العداوة التي تمخّضت عن المذابح الدامية فيما بعد .

وزاد العثمانيون هذه العداوة عندما بالغوا في الإساءة إلى المسيحيين انتقاماً منهم ،
لأنّهم وقفوا إلى جانب إبراهيم باشا في حملته ، وإضعافاً لمركزهم ، ولكن الدّول الكبرى
كانت تتدخل لمصلحة المسيحيين في الولايات العثمانيّة كافّة ، وأصرّت على إبقاء الأمراء
الشهابيين ، عندما أرادت الدّولة العثمانيّة أن يكون الجبل تحت إدارتها مباشرة ،
ولكنها اتّخذت سياسة تهدف إزالة الشهابيين بعد قليل .

قساً الأمير بشير قاسم شهاب^(٣) على زعماء الدرّوز ، وعاملهم بغلظة وصلت إلى حدّ
الشتم والإهانة ، فغلّت مراجلهم ، وابتدؤوا يتشاورون في موقف الدّولة منهم ، فيأذا بها

(١) حتّى أوعز بخنق شيخهم بشير جنبلاط .

(٢) الأمير بشير الكبير ، الأب بولس قرآلي ، لبنان ١٩٢٣ : ٨٩/٢

(٣) ابن أخي بشير الثاني .

تَمَنِّيهم وتصدُّهم ، بينما كانت تشجِّع الأمير الشَّهابي ، وتطلب منه جباية الأموال الطَّائلة .

التزمت فرنسا جانب الموارنة خدمة لمصالحها السِّياسية ، وتحدّثت عن ضرورة سحق الدُّروز ، وأغرّت الأمير الشَّهابي بإغلاق المدارس الإنكليزية والأمريكية في جبل لبنان ، عندها تسلل بعض الموارنة من شُبَّان دير القمر إلى أرض الشَّيخ ناصيف أبي النُّكد ، من أكابر الدُّروز ، فتصدَّى هؤلاء لهم ، وأوسعوهم ضرباً ، ولمَّا عَلِمَ الموارنة بذلك ، كمنوا للدُّروز في طول الجبل وعرضه ، يقتلون من يصادفونه منهم .

وثارت ثائرة المسلمين في بلاد الشَّام عامَّة ، واستعدَّ والي دمشق نجيب باشا للذهاب إلى الحجِّ تخلُّصاً من المسؤولية ، فتصدَّى له قناصل الدُّول الكبرى ، وخصوصاً (ريتشارد وود) قنصل إنكلترة مع بعض العقلاء ومنعوه من الذهاب ، ونادى بالأمان ، فسكت الدُّروز ، وباتوا يرقبون تدابير الحكومة العثمانيَّة^(١) .

تلخّصت تلك التَّدابير في عزل الأمير بشير قاسم الشَّهابي من ولاية جبل لبنان ، وأرسلته إلى إسطنبول ، وعيَّنت عمر باشا النمساوي والياً على لبنان في ١٥ كانون الثَّاني (يناير) ١٨٤٢ م ، وسعى الباب العالي إلى الحلِّ الوسط ، ففي كانون الثَّاني (يناير) ١٨٤٣ عُيِّن الأمير حيدر أبو اللُّمع قائمقاماً على النُّصاري ، والأمير أحمد أرسلان قائمقاماً على الدُّروز .

ثمَّ جدَّ في الأفق الدُّولي حدثٌ جديد ، انبعثت شرارته من الشَّام ، وأطفئت نيرانه في القرم ، فقد اختلفت الطُّوائف المسيحيَّة في القدس ، وكانت خلافاتها كثيرة يزيدُها تعقيداً تدخل الدُّول الأوربيَّة ، وبات الحرس العثماني يحفظ النُّظام والأمن في بيت لحم طوال أيَّام عيد الفصح^(٢) ، نتيجة لاختفاء نجمة مرصَّعة بالفضَّة من كنيسة المهد ، ثمَّ

(١) تاريخ سوريَّة في العصور الحديثة ، د . نادر المطار : ١٩٩/١

(٢) تاريخ الشُّعوب الإسلاميَّة ، كارل بروكلمان ، ص : ٤١

عاد الخلاف مرّة أخرى حول مفاتيح الكنيسة المذكورة ، ولم يكن هناك نظام أو عرف مكتوب لحلّ أمثال هذه الخلافات ، ففضى الباب العالي بإعطاء اللّاتين مفاتيح ثلاثة من الأبواب الهامّة ، والممرّات تحت الأرض ، وأبقى مفتاح الباب الرّئيسي في حوزة الأرثوذكس ، وانتهى هذا الخلاف بقيام الحرب الّتي عرفت بحرب القرم بين روسية والدّولة العثمانيّة ، وانحازت فرنسا وإنكلترا إلى جانب الدّولة العثمانيّة ، وانتهت الحرب بعقد معاهدة باريس في آذار (مارس) ١٨٥٦ ، الّتي ضمنت سلامة الامبراطوريّة العثمانيّة .

ولكي تضمن الدّول الكبرى اجتناب مثل هذه الحوادث في الشّام ، أجبرت السّلطان عبد المجيد الأوّل على إصدار أمر يحفظ حقوق النّصارى في الولايات العثمانيّة ، فأثار ذلك مخاوف المسلمين ، لأنّهم لمسوا إلى أيّ حدّ بلغ تدخل الدّول الأوربيّة في شؤون الدّولة العثمانيّة ، وزاد هذا الشّعور تدخلات قنصل فرنسا ، وبعض تصرفاته ، وتأييده للموارنة ، وعندما توفي قائمقام الموارنة سنة ١٨٥٧ ، عُيّن الأمير بشير أبو اللّمع مكانه ، وكذلك عندما مات بطريرك الموارنة خلفه من كان أشدّ تعصّباً منه ، فاستشار قومه ضدّ الدّروز والبروتستانت والأرثوذكس على السّواء ، فانفجرت في كسروان ثورة سنة ١٨٥٧ ، واغتصبت كنائس الأرثوذكس ، وخربت مدارس البروتستانت ، ولجأ كثيرون إلى بيروت ، وشعر الدّروز بالخطر من جديد فتجمّعوا حول زعمائهم الرّوحيين ، واستعدّوا لمجابهة الطّوائى الّتي لم يكن منها بدّ .

وهكذا تهيّأت أسباب الحوادث المشؤومة : تحدّ مستمر من قبل الموارنة ، وسياسة عثمانيّة تشجّع الخلاف ، وتدخل أوربي يثير أعماق جذور التعصّب في النّفوس^(١) .

وصل الدّروز إلى بيروت حيث صارحوا خورشيد باشا ، والي بيروت ، بقلقهم ومخاوفهم ، فإذا بالوالي يشاركهم شعورهم ، ويخشى من تغلغل النّفوذ الفرنسي على

(١) تاريخ سوريّة في العصور الحديثة ، ص : ٢٠٦

أيدي هؤلاء الرعايا الذين جاھروا في كل أن يجبھم لفرنسة ، وتعلقهم بها ، وشاطر الباب العالي ممثلها والدروز آراءهم ، فأصدر في نيسان (إبريل) ١٨٦٠ أوامر سرّية إلى خورشيد باشا بدعم الدروز .

أمّا الموارنة فقد اعتمدوا على دعم قناصل الدّول الكبرى ومآزرتهم في كل عمل يقومون به ، فتجمّع حوالي ثلاثة آلاف مسيحي في زحلة ، وزحفوا إلى (عين دارا) إحدى القرى الدرزيّة القريبة منهم ، فقابلهم ستمائة من سكّانها وصدّوهم عنها ، وهنا تحقّقت مخاوف الدروز ، ورأى زعماءهم الخطر يهدّد يافنائهم وطردهم من الجبل ، خطر الموارنة الذين يفوقونهم عدداً ، بالإضافة لتأييد فرنسة لهم ، وكانت فكرة إجلاء الدروز إلى حوران تشكّل الحلم الجميل للموارنة منذ سنة ١٨٤٠ م ^(١) .

فأرسل سعيد جنبلاط إلى زعيم دروز حوران إسماعيل الأطرش ، يشرح له الموقف الخطير ، فأمدّه بثلاثة آلاف درزي ، ساروا إلى حاصبيّا ^(٢) ، حيث دخلوها صباح الأحد ٢٠ أيّار (مايو) ١٨٦٠ م ^(٣) ، وفي يوم الثلاثاء ٢٩ أيّار (مايو) دخلت قوآت الدروز راشيّا ، لتبدأ أحداث دبر القمر التي دخلها الدروز يوم الأربعاء ٢٠ حزيران (يونيو) ١٨٦٠ ، مع مذابح أخرى في بيت السّدين ، والمتن ، وصيدا ، وجزيّن وزحلة ^(٤) .

وحوادث دمشق نجمت عن حرب القرم وإصلاحات السّلطان التي أفقدت المسلمين الكثير من امتيازاتهم ، وشحن الجوّ حين تدخل القناصل طالبين للمسيحيين المزيد من

(١) Souvenirs of Syria, Expedition Française de 1860, Paris 1902, P.26

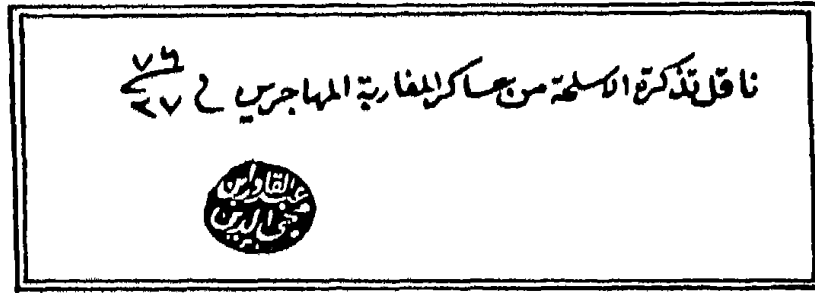
(٢) أهم مدن وادي التيم (انظر المصور) .

(٣) توفي في هذه الحملة كنج أبو صالح ، شيخ قرية مجدل شمس متأثراً بجراحه ، وشيخ جثمانه في جوّ محوم غلب عليه حب الثأر والانتقام .

(٤) تاريخ سوريّة في العصور الحديثة ، ص ٢٠٩

الامتيازات ، وعندها وصلت أنباء المجازر في لبنان ، فهوجمَ الحيُّ المسيحي الذي عاش مع إخوانه المسلمين مئات السنين بصفاء وأمان .

هرع المسيحيون إلى دار الأمير عبد القادر الجزائري^(١) ، ففتح لهم الأمير أبواب داره ، وقدم لهم الحماية والطعام ، وبعد أن اجتمع لديه حوالي ١٢٠٠٠ نفس ، رجا الوالي أن يجير الفائض منهم في قلعة دمشق ، فلبى الوالي رجاه ، وحشد الأمير رجاله المغاربة حول الدار ، وهدد الغوغاء بالموت إذا حاولت اجتياح المنزل والإساءة إلى لاجئيه ، (انظر وثيقة حمل السلاح التي أصدرها باسمه) .



(رخصة) حمل السلاح ، أصدرها الأمير نفسه لمن وقف معه من أهل الرأي لوقف الفتنة

أرسل السلطان فؤاد باشا للتحقيق في الحوادث^(٢) ، واتخاذ ما يراه من التدابير ، بعد أن تجاوز الأمر الحدود الموضوعة له ، بعد إعطائه صلاحيات مطلقة في التصرف كنائب عن السلطان ، وأرسل برقية لنابليون الثالث والملكة فيكتورية يعدهما فيها بمعاينة المذنبين ، وإيصال كل ذي حق إلى حقه .

(١) عبد القادر بن محي الدين بن مصطفى الحسني الجزائري : [١٨٠٧ - ١٨٨٢ م] أمير مجاهد ، حارب الفرنسيين خمسة عشر عاماً ، استسلم سنة ١٨٤٣ م ، وبعد سجنه في فرنسا أطلق نابليون الثالث سراحه ، فاختار دمشق مقراً له ، توفي فيها ، له ديوان شعر ، وذكرى الماقل ، والمواقف ثلاثة أجزاء في التصوف . (الأعلام ٤/٤٥) .

(٢) جاء في (حسر اللثام عن نكبات الشام) ص ٢٣٥ : نتائج فتنة ١٨٦٠ م : ١٢٠,٠٠٠ قتيل ، ١٥٠,٠٠٠ متشرد ، و ٧٠٠٠ بيت أحرق .

سجن فؤاد باشا خورشيد باشا وكاتم سره ، وبعض مؤيديه .

وفي دمشق أعدم واليها أحمد باشا في ٢٩ تموز (يوليو) ١٨٦٠ م ، ثم أتبعه بمئة وسبعة وستين من المسلمين ، بما فيهم قائد حامية حاصبيا ، وقائد حامية راشيا .

أمّا في بيروت ، فأعدم سبعة من زعماء الدرّوز في ١٢ أيلول (سبتمبر) ١٨٦٠ م ، وحكم على خورشيد باشا وبعض أعوانه بالسجن المؤبد^(١) .

وفي ١٦ آب (أغسطس) ١٨٦٠ م ، وصلت قوّة فرنسيّة^(٢) ، بتفويض من الدّول الكبرى ، إلى الساحل السوري ، لمساعدة السلطان في نشر الاستقرار في سورية ، على ألاّ تطول إقامتها أكثر من ستة أشهر^(٣) ، وأسرع فؤاد باشا إلى لقاء الفرنسيين في بيروت ، وأقنع الجنرال (بوفور) قائدهم العام بأن لا ضرورة لزحفه إلى دمشق ، لأنّه قام هناك بما يجب اتّخاذه من التدابير ، فاكتفى الفرنسيون بالوصول إلى البقاع ، حيث شارك الجند الفرنسيون بترميم البيوت الخربة بسبب الفتنة .

مؤتمر بيروت : ٥ تشرين الأوّل (أكتوبر) ١٨٦١ م : عقّد مؤتمر في بيروت ، ضمّ فرنسا وإنكلترا وروسية والنمسة ، لحلّ أزمة النزاع الطائفي ، وإقرار التعويضات ، ومعاقبة المذنبين .

وأهمّ ما بحثه المؤتمر (نظام لبنان الجديد) ، مع أسباب الحوادث ، وطال الجدل ، حتّى انتقل المؤتمر إلى إسطنبول في ١٠ أيّار (مايو) ١٨٦١ م ، لعرض نتائج مباحثاتهم على سفراء الدّول ، وعلى الباب العالي ، وبعد جدل تقرّرت في ٩ حزيران (يونيو) ١٨٦١ نقاطاً أربع ، هي :

(١) تاريخ سورية في المصور الحديثة ، ص : ٢١٥

(٢) تعدادها ١٢,٠٠٠ جندي .

(٣) نجحت فرنسا في تمديد أجل الاحتلال حتّى ٥ حزيران (يونيو) ١٨٦١ م .

١ - يعيّن السلطان لإدارة جبل لبنان حاكماً مسيحياً ، يتبع مباشرة إسطنبول ، يساعده موظفون محليّون في الجبل ، ويعيّن القضاة ، ويتولّى تنفيذ قراراتهم ، كما يترأس اجتماعات المجلس الكبير المؤلّف من ١٢ عضواً ، يمثّلون طوائف الجبل كلّها .

٢ - ينقسم الجبل إلى سبعة أقضية ، وتقسّم هذه إلى نواح ، تشرف على القرى المحدّدة لها ، على أن يكون لكلّ قرية مختار ، ينتخبه سكّانها ، يوافق عليه حاكم الجبل ، وللمختار صلاحيّات إداريّة .

٣ - تلغى جميع امتيازات الإقطاعيّين والحكّام ، ويقرّ مبدأ المساواة بين الجميع ، وخضوعهم للقانون ، وقرارات الحاكم ، وهذه المحاكم في الجبل على درجات ثلاث ، ويعيّن مجلس قضاء أعلى في مركز إدارة الحكومة ، يتألّف من ستة قضاة ينتخبهم المتصرّف من الطوائف الستّ .

٤ - يستعين الحاكم لتنفيذ أحكامه بفرقة من الأهلين ، يُجمعون بنسبة سبعة عن كلّ ألف ، ويخصّص الأموال المحبّية من الجبل لإدارة شؤونه ، ويرسل ما زاد إلى الخزينة المركزيّة ، ويعمل على إحصاء نفوس أهل الجبل ، مع مسح أراضيه المزروعة ، وتنظيم مخطّط مساحة لها ، وحدّدت مدّة حاكم الجبل بثلاث سنوات ، وجعل مستقلاً عن باشوات بيروت ودمشق ، يتخذ دير القمر مركزاً لإدارة الجبل ، وهكذا .. جرّدت الأرستقراطيّات الدرزيّة والمارونيّة على السواء من امتيازاتها ، وألغى النّظام الإقطاعي .

وكان أوّل حاكم للبنان (داود باشا) المدير العام للبريد في إسطنبول ، فاشترى أراضي الدرّوز تباعاً ، فرحل أكثرهم إلى حوران ، ووزّع داود باشا الأراضي المشتراة على المسيحيّين . تعويضاً لهم عن خسائرهم السابقة ، وأتخذ الجبل - منذ ذلك الحين - هذا الطّابع المسيحي ، الذي بقي سائداً حتّى سنة ١٩١٤ ، أي حتّى قيام الحرب العالميّة الأولى .

نتائج النزاع الطائفي : زالت الملكية الواسعة من جبل لبنان ، كما بدأت الدول الأوربية سلسلة من التدخلات الجديدة في الدولة العثمانية ، بحجة حماية المسيحيين ، وأصبحت قضية الأقليات مع الزمن صعبة زادتها الدول الكبرى تعقيداً لتستثمرها في صيانة مصالحها السياسية والاقتصادية على أوسع نطاق ، واعتقد الساذجون من مسيحيي بلاد الشام بإخلاص فرنسة لهم ، فتعلقوا بها ، وتكلموا لغتها ، واتخذوا عاداتها ، فازدادت نعمة الدولة العثمانية عليهم ، وعدّهم واسطة للتدخل الأجنبي .

ومسؤولية هذه المذابح تقع في قسم منها على كبار الملاكين في جبل لبنان ، لأنّ فلاحي الجبل - من كلا الطرفين - كانوا يجيئون حياة قاسية ، فعمدوا إلى الثورة ، وبدأت الفتن ، ولكن الثورة تحوّلت من حركة اجتماعية إلى نزاع ديني .

ولكن المسؤولية الأساسية تقع على عاتق الدولة العثمانية (الرجل المريض) ، التي ظنّت أنّها إذا أوقعت بين الدروز والموارنة ، تأمين شرّ الطرفين معاً ، وتعيد حكم الجبل إليها ، بعد أن تبيّن للملأ نتيجة استقلاله ، وتجبر الدروز على الطاعة ، وتزيل أسباب تدخل الدول الأوربية ، وتتجنب حروباً صعبة - كحرب القرم - في المستقبل .

وعلى عاتق فرنسة يقع عبء كبير من المسؤولية ، لأنّها كانت توغر صدور العثمانيين على الموارنة بشكل غير مباشر ، بضغطها على ولاة الدولة ورجالها حفظاً لمصالحها السياسية ، حتى إنّ القنصل الفرنسي في بيروت ، كان يجبر المسلمين على الوقوف احتراماً له عندما يمرّ بعربته ، فإذا لم يفعلوا ، ترجل من عربته ، وأهلب أجسادهم بسوطه ، وكان الموارنة أنفسهم يفخرون بتأييد فرنسة لهم ، ويملؤون الجبل زينات وزغاريد ، عندما يزوره أحد قناصل هذه الدولة .

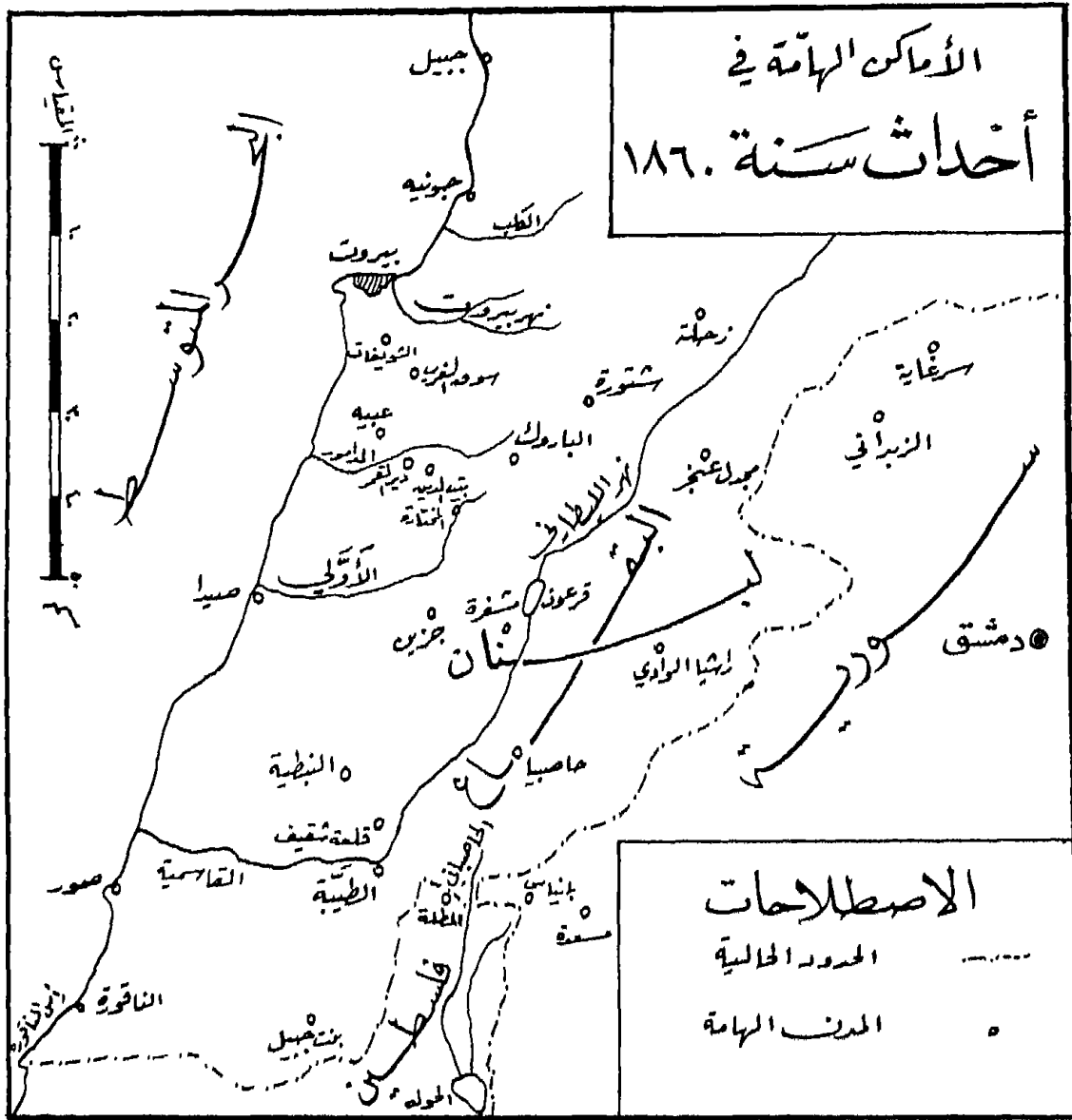
أمّا الدول الكبرى الأخرى ، فتتحمّل شيئاً من المسؤولية ، كانت روسية تؤيّد الأرثوذكس ، كما تؤيّد فرنسة الموارنة ، وإنكلترة الدروز ، وكلّ طائفة كانت تؤمن بقوة الدولة التي تحميها ، فلما استفحلت المنافسة الدولية ، انعكس أثرها في سورية ، وكانت سبباً غير مباشر ، في تسطير هذه الصفحة المؤسفة من تاريخ بلاد الشام .

أثرُ فِتْنَةِ ١٨٦٠ على فِلَسْطِينِ : صَوَّرَ القناصلُ الأوربِيُّونَ صدمةَ ١٨٦٠ مَ مذبحةَ واحدةٍ كبرى موجَّهةً للمسيحيِّينَ في كلِّ بلادِ الشَّامِ ، وتوقَّعوا أسوأَ الأشياءِ من السُّلطاتِ العثمانيَّةِ ، لكن هذه المخاوفُ لم يكن لها أساسٌ على الإطلاقِ ، فأهلُ القدسِ مثلاً كانت مصلحتهم الماديَّةُ في الحجاجِ أكبرَ من أن تسمحَ لهم بإثارةِ القلاقلِ ، رغمَ قلقهم وقلقِ سكَّانِ فلسطينِ جميعاً من طوفانِ الأوربِيِّينَ الوافدينَ من الأصنافِ كلِّها .

« وكان من أثرِ أحداثِ سنة ١٨٦٠ في جبلِ لبنانِ ودمشقِ أنَّ الأوربِيِّينَ في (الأرضِ المقدَّسةِ) وضعوا على عيونهم من الآن فصاعداً نظَّاراتٍ غيرَ مرئيَّةِ ، كانوا يتبيَّنون من خلالها في مشاجرةٍ تحدثُ في حيفا سنة ١٨٨٠ مثلاً - وفي مغالاةٍ عجيبيةٍ - بدايةً لمذبحةٍ محتملةٍ للمسيحيِّينَ ، فيدعون لهذا السَّببِ إلى إرسالِ سفنٍ حربيَّةٍ أوربيَّةِ ، ومع ذلك فإنَّ العلاقةَ بين الطوائفِ الدِّينيَّةِ لم تختلِ اختلالاً قوياً ، رغمَ الأحداثِ المؤسفةِ في الشَّمالِ ، ورغمَ لجوءِ الأوربِيِّينَ في البلادِ إلى إقامةِ الحدودِ الطَّائفيَّةِ ، وكان قيامُ الجمعياتِ الإسلاميَّةِ والمسيحيَّةِ بوصفها أجهزةً تمثيليةً سياسيَّةً للفلسطينيِّينَ بعد الحربِ العالميَّةِ الأولى تعبيراً أيضاً عن هذه الحقيقةِ .. »^(١) ، حقيقة التَّسامحِ الكاملِ بين الطوائفِ الدِّينيَّةِ في البلادِ العربيَّةِ ، وعيشها مع بعضها في وئامٍ وأخوةٍ ، لولا اليدُ الأوربيَّةُ العابثةُ بين حينٍ وآخر .



(١) تحوُّلات جذريَّة في فلسطين ، ص : ٣٣٥



الأماكن الهامة في
أحداث سنة ١٨٦٠

الدَّوْلَةُ العُثْمَانِيَّةُ أواخر القرن التاسع عشر

وَبدايات القرن العشرين

ارتقى السُّلطان عبد الحميد الثاني على عرش الخلافة سنة ١٨٧٦ م ، بعد خلع مراد الخامس ، وذلك في وقت حرج للغاية ، فأوربّة كلها تتدخل في أمور الدَّولة العثمانية ، فكان لا بدّ من إصلاحات في الدَّولة ترضي الرعيّة ، وتكبح انتقادات أوربّة ، فعين السُّلطان مدحت باشا^(١) صديراً أعظم ، الذي أعلن الدُّستور في ٢٤ كانون الأوّل سنة ١٨٧٧ م ، واجتمع مجلس المبعوثين لأوّل مرّة ، ولكنّه لم يكفد ينتظم لينظر في شؤون الدَّولة ، حتّى صدرت الإرادة السُّلطانية بفضّه ، فبدأ كثيرون العمل على الإطاحة بالسُّلطان عبد الحميد الثاني^(٢) .

عقدت (جمعية تركية الفتاة) سنة ١٩٠٢ م أوّل مؤتمر لها في باريس ، وغدت (جمعية الأتّحاد والتّرقّي) القوّة الدّافعة في أوساط (تركية الفتاة)^(٣) ، وفي ٢٥ تموز (يوليو) ١٩٠٨ أجبر السُّلطان على إعادة الدُّستور ، وأجريت انتخابات لمجلس المبعوثين ، وحاول السُّلطان عبد الحميد الثاني في ١٣ نيسان (إبريل) ١٩٠٩ القيام بحركة مضادّة للتخلّص من الجمعية ، ومن الدُّستور ، ومن المجلس ، عندئذٍ زحف الجيش من سالونيك إلى إسطنبول ، وأعاد إلى جمعية الأتّحاد والتّرقّي نفوذها ، وخلع السُّلطان ، ونفاه إلى سالونيك ، ونصّب أخاه محمد رشاد سلطاناً باسم محمد الخامس ،

(١) مدحت باشا بن حاجي حافظ أشرف أفندي : [١٨٢٢ - ١٨٨٣ م] ، أبو الأحرار ، تقلّب في الوظائف حتّى كان والياً على الدّانوب (الطّونة) ، ثمّ والياً على بغداد ، ثمّ تولّى منصب الصّدارة العظمى ، ثمّ ضيق عبد الحميد الثاني عليه ، فسافر إلى أوربّة ، واستقرّ في لندن إلى أن صدر أمر بتعيينه والياً على الشّام ، ثمّ نقل إلى إزمير ، حيث اعتقل وحوكّم ، وحكم عليه بالإعدام ، واكتفى السُّلطان بنفيه إلى قلعة الطّائف وفيها مات ، (الأعلام ١٩٥/٧) .

(٢) تاريخ الدَّولة العليّة العثمانية ، ص ٧٠٣

(٣) جمعية الأتّحاد والتّرقّي ، هي فرع من جمعية تركية الفتاة .

وبذلك أصبحت السيطرة المطلقة في الدولة لجمعية الأتحاد والترقي ، التي اتجهت إلى تطبيق سياسة مركزية شديدة ، أساسها سيادة العنصر التركي ، فأثار ذلك استياء العرب ، وتهيأت بذلك التربة الصالحة ، كي تنمو بذور الحركة العربية وتترعرع^(١) .

بدأ العرب يفكرون في مستقبل بلادهم ، وأخذ زعمائهم يبدون مخاوفهم من الأتحاديين بسبب دور يهود الدولة الفعّال في الإعداد لزحف الجيش من سالونيك وخلع السلطان عبد الحميد الثاني^(٢) ، مع تركيز الإعلام الصهيوني على إبداء مشاعر الود تجاه الحكم الجديد في إسطنبول ، وتوقع المؤتمر الصهيوني التاسع ، الذي انعقد في هامبورغ في ٢٦ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٠٩ م ، أن تطوّر الدولة العثمانية الهجرة اليهودية وتزيل الإجراءات القانونية التي تحدّ من الهجرة ، واتخذ زعماء جمعية الأتحاد والترقي مواقف متعاطفة مع الهجرة اليهودية إلى الأقاليم العثمانية .

ولما تسلّم الائتلافيون الحكم بعد انقلاب عسكري في تموز (يوليو) ١٩١٢ ، انتهز الرأي العام فرصة إزاحة الأتحاديين ليوجه إليهم الاتهام الصريح عن ارتباطهم بالصهيونيين ، وشنّ حملة عليهم ، ولكن ذلك لم يغيّر من مواقف السلطات المحلية في فلسطين ، التي كانت تتصرّف وفق أهواء المتصرّفين ، بعيداً عن رقابة الحكم المركزي .

وعندما عاد الأتحاديون إلى الحكم إثر انقلاب ٢٣ كانون الثاني (يناير) ، ضمت وزارتهم ثلاثة وزراء يهود - وزير التجارة والزراعة ووزير المالية وناظر النافعة - واستغلت الصهيونية ظروف الحرب التي تخوضها الدولة العثمانية في البلقان ، وحاجتها إلى المال للحصول على تنازلات من الأتحاديين ، فيما يتعلّق بالمهجرة إلى فلسطين ، وملكية الأراضي .

(١) الموسوعة الفلسطينية : ٧٦/١

(٢) كلمة دونمة Donmé كلمة تركية بمعنى المنشقين ، تطلق على طائفة من اليهود ممن اعتنقوا الإسلام في القرن الثامن عشر ، علما على إسقاط عبد الحميد الثاني وإلغاء الخلافة ، (القاموس الإسلامي ٤١٢/٢)
الطبعة الأولى : ١٩٦٦ م .

وبعد نشوب الحرب العالميّة الأولى سنة ١٩١٤ م ، وجّهت الدّولة العثمانيّة قدراً كبيراً من اهتمامها إلى أوضاع اليهود في فلسطين ، بسبب ما يحيط بوجودهم من ملاسبات دوليّة ، ولتتمّع معظمهم بالحماية الأجنبيّة ، ومع إلغاء الدّولة لنظام الامتيازات ، سهّلت إجراءات الحصول على الجنسيّة العثمانيّة لليهود بشكل جماعي^(١) .

وعندما عُيّن جمال باشا^(٢) أحد أقطاب الاتّحاديّين ، قائداً عامّاً للجيش الرّابع في الشّام مع صلاحيّات مطلقة ، اتّبع سياسة قمع وإرهاب تجاه السّكّان ، وعطف على اليهود ، وعيّن بعض زعمائهم في مراكز حكوميّة مسؤولة ، كما زار جمال باشا نفسه المؤسّسات والمستعمرات الصّهيونيّة ، ومنح اليهود أراضي الدّولة ، وكان مدير مركز التّجارب الزراعيّة في عتليت (آرون أرونسون) من الأصدقاء المقربين إليه ، ويذكر أن مفاوضات جرت في صيف ١٩١٥ م بين جمال باشا ووفد صهيوني في القدس ، من أجل إقامة وطن لليهود في منطقة من فلسطين تعيّنها الحكومة العثمانيّة ، على أن يخضع اليهود فيها لقوانين البلاد مع تمتّعهم بالاستقلال في الإدارة البلديّة ، مقابل تعهّد اليهود بمساعدة الدّولة العثمانيّة في تسديد ديونها ، وتقديم القرض اللازم لذلك .

وكان وعد بلفور في تشرين الثّاني (نوفمبر) ١٩١٧ م^(٣) ، وفي ٢ كانون الثّاني (يناير) ١٩١٨ أصدر الصّدر الأعظم طلعة باشا^(٤) تصريحاً عن عزم الحكومة العثمانيّة - نظراً لصدقتها الطّويلة لليهود - على أن تساعد الاستيطان اليهودي بالسّماح بالهجرة الحرّة ، والاستيطان ضمن حدود مقدرة البلاد على الاستيعاب ، ومنح الحكم الذاتي طبقاً لقوانين الدّولة .

(١) الموسوعة الفلسطينيّة : ٧٦/١

(٢) جمال باشا : [١٨٧٢ - ١٩٢٢] القائد العام للجيش العثماني الرّابع ، أعدم طائفة من الوطنيّين في دمشق وبيروت اتّهمهم بالخيانة (أيّار - مايو ١٩١٦) ، قتل في تفليس سنة ١٩٢٢ م .

(٣) بلفور (آرثر جيس) Balfour : [١٨٤٨ - ١٩٣٠ م] سياسي إنكليزي ، رئيس الوزراء ١٩٠٢ ، ثمّ وزير الخارجيّة ١٩١٧ ، أصدر وعده الذي ضمّه حقّ اليهود بإنشاء وطن قومي في فلسطين ١٩١٧ م .

(٤) طلعة باشا : [١٨٧٢ - ١٩٢١] ، سياسي تركي ، أحد زعماء حزب تركية الفتاة ، تصدّر الوزارة ١٩١٧ - ١٩١٨ ، اغتيل في برلين .

رفض ممثلو الحركة الصهيونية في فلسطين العروض التركية ، بحجة أنها تجعل الاستيطان ضمن حدود قدرة البلاد على الاستيعاب ، والتي ستحددها الحكومة التركية نفسها ، وفي خطوة أبعد ، تولّى طلعة باشا نفسه في برلين بحث مسألتي تنظيم الهجرة والاستيطان مع لجنة من اليهود الألمان ، ووافق على اقتراح الحكومة التركية والطائفة اليهودية ، وبالتالي تكوّن الإدارة والإطار لتنظيم الهجرة والاستيطان ، وتفوض بمنح الحكم الذاتي البلدي الموسع للطوائف اليهودية في فلسطين ، وفي جميع أنحاء الدولة العثمانية^(١) .

وفي آب (أغسطس) ١٩١٨ جرت محاولة أخيرة لتشكيل لجنة لحل الخلافات بين الدولة العثمانية والمنظمات الصهيونية ، لكن الدولة العثمانية انهارت قبل عقد الاجتماع .

وبين عامي ١٩١٨ - ١٩٢٠ م ، أتمت القوات البريطانية بقيادة الجنرال ألنبي^(٢) احتلال فلسطين ، ووضعت تحت الإدارة العسكرية المباشرة في تشرين الأول (أكتوبر) ١٩١٨ م ، فقسّمت إلى ثلاثة عشر لواء ، على رأس كل لواء حاكم عسكري بريطاني ، وجميعهم مرتبطون بحاكم عسكري في القدس ، كان بدوره مرتبطاً بالقيادة العامة للجيش البريطاني في القاهرة ، ثم تقلّص العدد إلى عشرة سنة ١٩١٩ م^(٣) .

(١) الموسوعة الفلسطينية : ٧٨/١

(٢) ادمنون ألنبي Allenby : [١٨٦١ - ١٩٣٦] ضابط بريطاني ، دخل فلسطين ١٩١٧ م ، وحكم مصر ١٩١٩ - ١٩٢٥ م .

(٣) وفي سنة ١٩٢٠ خفّض عدد الألوية العشرة التي كانت في عهد الإدارة العسكرية إلى سبعة ، ثم إلى أربعة ، ثم صدر في سنة ١٩٢٢ منشور التشكيلات الإدارية (المادة ١١ من مرسوم دستور فلسطين) ، فقسّمت إلى ثلاثة ألوية :

١ - لواء القدس : قاعدته القدس ، ويضمّ أفضية بيت لحم والخليل والقدس وأريحا ورام الله .

٢ - اللواء الشمالي : قاعدته حيفا ، ويضمّ أفضية عكا وبيسان وجنين وناבלس والناصرة وصفد وطبرية وطولكرم .

٣ - اللواء الجنوبي : قاعدته يافا ، ويضمّ أفضية بئر السبع وغزة ويافا والرملة .
زيدت ألوية فلسطين إلى ستة ألوية في ١ تموز (يوليو) ١٩٣٩ ، وهي ألوية : الجليل ، وحيفا ، وناבלس ، والقدس ، واللّد ، وغزة ، وظلّ هذا التقسيم قائماً حتى نهاية الانتداب سنة ١٩٤٨ م .

لقد هيأت هذه الإدارة العسكرية السبيل لقدم البعثة الصهيونية العالمية برئاسة وايزمن إلى فلسطين في أواخر الحرب العالمية الأولى ، لإرساء أسس إقامة الوطن القومي .

وفي تموز (يوليو) ١٩٢٠ م تمّ الانتقال من الإدارة العسكرية إلى إدارة مدنيّة سمّيت (حكومة فلسطين) ، وأصبح الصهيوني البريطاني هربرت صموئيل أول مندوب سام بريطاني في فلسطين ، وبتاريخ ٩ شباط (فبراير) ١٩٢٢ م ، نُشر مشروع الدستور في فلسطين (القانون الأساسي) ، الذي وضعته الإدارة المدنيّة ، ووافقت عليه الحكومة البريطانيّة ، بعد التشاور مع ممثلي الحركة الصهيونيّة ، دون أخذ رأي اللجنة الاستشاريّة الإسلاميّة - المسيحيّة ، التي ألفت لهذا الغرض ، وتضمّن مشروع الدستور اعترافه بوعده بلفور ، وتركيز السُلطة في يد المندوب السّامي ، ومنحه سلطة مطلقة لنقض أي قانون يقرّه المجلس التشريعي ، وحقاً في إبطال مواد الدستور ، وفي الإضافة إليها .

وبتاريخ ٢٤ تموز (يوليو) ١٩٢٢ م أقرّ مجلس عصبة الأمم سكّ الانتداب ، مخوّلاً في مادّته الأولى الدّولة المنتدبة ، السُلطة التّامة في التشريع والإدارة ، مؤكّداً في مادّته الثّانية مسؤوليّة الدّولة المنتدبة عن وضع البلاد في أحوال سياسيّة وإداريّة واقتصاديّة ، تضمن إنشاء الوطن القومي اليهودي ، معترفاً في مادّته الرّابعة بالوكالة اليهوديّة هيئة عموميّة لإسداء المشورة إلى الإدارة ، وللتعاون معها في الشؤون الاقتصاديّة والاجتماعيّة ، وغير ذلك من الأمور التي تؤثّر في إنشاء الوطن القومي اليهودي .



اقتصاديّاً : عاشت بلاد الشّام في حالة إملاق منذ القرن السّادس عشر ، فهل تتحمّل الدّولة العثمانيّة وحدها كلّ المسؤوليّة عن الانهيار الاقتصادي للمنطقة في غضون القرون الثلاثة الأخيرة ؟

النظام الحكومي العثماني - نظام الالتزام - ساعد أكثر من أي شيء آخر على التدمير السياسي للمنطقة ، ولكن نظرة إلى التاريخ في القرن الخامس عشر الميلادي ، تعلمنا أن بلاد الشام وإن حُرمت من سراج العلم الذي توهَّج فيها مراراً منذ القديم ، ازدهرت تجارتها وصناعتها الفاخرة ، ولم تتوقَّف عن الازدهار والنمو ، ودليل ذلك تلك الثروات التي نهلت منها الجمهوريات البحرية في إيطاليا .

لقد أخذت بلاد الشام تذبذب ، لتصل صناعتها وتجارها إلى عياء مطلق ، قُبيل دخولها في قوام الإمبراطورية العثمانية ، وذلك حينما فتح البحارة الغربيون طرقاً جديدة للتجارة العالمية ، وانتزعت من الساحل الشرقي للبحر المتوسط ، ذلك الاحتكار الذي لا يقدر بثمن للاتصالات بين الغرب ، وبين بلدان الشرق الداخلية والهند وفارس ، فليس سيف سليم الأول وخيَّله ، بل بوصلة فاسكودي غاما^(١) هي التي وضعت حدّاً لرخاء بلاد الشام ، لذلك قيل : لقد كانت أولى الكوارث التي حلّت بالعرب في تاريخهم الحديث ، وصول أسطول البرتغالي إلى المياه الهندية في ربيع سنة ١٤٩٨ م ، ثم مهاجمة السفن العربية والموانئ الهندية من قبل الأسطول البرتغالي ، وفرض حصار على مدخل البحر الأحمر ، والخليج العربي ، لمنع السفن العربية من إيصال التوابل إلى أسواق سورية ومصر^(٢) .

وكانت أسواق مصر وسورية سنة ١٤٩٨ م مלאى بالتوابل التي لا تجد لها مشترياً ، ولكن سفن البندقية لم تجد بعد أربع سنوات إلا أربع (بالات) توابل ، وعادت هذه

(١) فاسكودي غاما Vasco da Gama [١٤٦٩ - ١٥٢٤ م] : بحار برتغالي ، أبحر من لشبونة في ٨ تموز (يوليو) ١٤٩٧ ، فوصل المياه الهندية في ربيع ١٤٩٨ ، وعاد إلى بلاده فوصل لشبونة في أيلول (سبتمبر) ١٤٩٩ ، ثم قاد حملة ثانية وثالثة ، وهاجم السفن العربية والموانئ الهندية ، [في طلب التوابل ، سونيا هاو ، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها ١٩٥٧ ، ص ١٨٠] .

(٢) تاريخ العرب الحديث ، عبد الكريم محمود غرايبة : ٩/١ ، مطبعة جامعة دمشق - ١٩٦٠ م .

السفن من السواحل العربيّة دون حمولة سنة ١٥٠٤ م^(١) ، في حين كانت السفن البرتغاليّة تفرّغ آلاف الأطنان في لشبونة ، لتوزّع على أقطار أوربّة ، وهكذا حلّت الكارثة بالأسواق العربيّة خلال فترة لا تزيد عن ستّ سنوات .

وعجز الممالك عن ردّ هذا الخطر البرتغالي ، خصوصاً بعد تحالف البرتغاليين مع الدوّلة الصّفويّة^(٢) ، التي تنازلت لهم عن مضيق هرمز ، مقابل وعدهم بمساعدتها ضدّ العدو المشترك - العثمانيّين .

وبعد مرج دابق^(٣) تقرّر مصير الوطن العربي لأربعة قرون ، وطوال القرون الثلاثة الأولى تحقّق حكم مقبول من الشعب ، مع حماية من الاعتداءات الخارجيّة ، وضمان مقدار العدالة - حسب مفاهيم العصر - وإذا ما نظرنا إلى واقع الأمور في البلاد العربيّة قطراً قطراً ، لوجدنا الأحوال فيها قد استقرّت وهدأت وتجمّدت ، ولاة عديدون ، يروحون ويحيئون ، فلا يختلف - إلى حدّ بعيد - غير الاسم .

لقد حرمت المنطقة من تلك الثروات التي كانت تصبّ في شرايينها من الخارج ، فصارت تذوي منذ ثلاثة قرون ، وعندما فتح إبراهيم باشا سوريّة ، وطّد الأمن والنظام في ربوعها ، وشكّل في كلّ مدينة يزيد سكّانها على عشرين ألف نسمة مجلساً يسمّى (ديوان المشورة) يتراوح عدد أعضائه بين ١٢ و ٢١ عضواً ينتخبون من بين أعيان البلد وتجارها ، وتنظر هذه المجالس في مصالح كلّ بلدة .

وفتح إبراهيم باشا (الأرض المقدّسة) فلسطين أمام تغلغل أوربة السّياسي والديني والثّقافي ، خلال الحكم المصري لبلاد الشّام : [١٨٣١ - ١٨٤٠ م] ، وبالتّحديد سنة

(١) أحرق البرتغاليون عشر سفن مصريّة سنة ١٥٠٠ م ، وهاجموا عدن ، وأحرقوا ونهبوا سفناً عربيّة في مينائها سنة ١٥٠٢ ، ثمّ وصلوا جدّة .

(٢) إيران وعلاقتها الخارجيّة في العصر الصّفوي ، نصر الله فلسفي ، دار الثّقافة - مصر ، ١٩٨٩ م .

(٣) مرج دابق شمالي مدينة حلب ، كانت المعركة بتاريخ : الأحد ٢٤ آب (أغسطس) ١٥١٦ م .

١٨٣٨ م ، وفي هذه السّنة حلّ في القدس أوّل قنصل أوروبي ، ألا وهو القنصل البريطاني^(١)

وبعد سنة ١٨٤٠ م دخل المزيد من القناصل الأوربيّين^(٢) ، ووقعت فلسطين بصورة مباشرة في دوّامة تضارب المصالح بين الدّول الأوربيّة الكبرى في إطار (المسألة الشّرقيّة) ، ففرنسة مثلاً ترى أن النّفوذ الاقتصاديّ المناسب ، يضمن لها نفوذاً سياسياً نامياً ، ومركزاً جديداً موطّداً ، لا في الشّرق فقط ، بل وفي حوض البحر المتوسّط أيضاً ، تجارياً واستراتيجياً .

وعندما تنبّه الرّوس للنّفوذ الاقتصاديّ الفرنسي ، أسّسوا سنة ١٨٥٦ م شركة (الملاحة التجاريّة الرّوسية) ، لتزاحم خطوط البحر المتوسّط الفرنسيّة والنّمساويّة ، وانتزعوا من فرنسة بشكل خاصّ أشغال نقل الحجّاج الرّوس إلى فلسطين ، الّذين كانوا يشكّلون الفصيل الأكبر في سيل الحجّاج السنويّ إلى الأرض المقدّسة ، حتّى بلغ عددهم حدّه الأعلى سنة ١٩٠٠ ، حينما وصل إلى ١١,٠٠٠ حاج ، فاقترح إرسال مبعوث إلى القدس يجمع في شخصه بين صفة ممثّل شركة الملاحة ، وصفة قنصل روسية^(٣)

وعلى إثر إفلاس الدّولة العثمانيّة سنة ١٨٧٥ م ، طالب رجل الصّناعة البريطاني إدوارد كازاليت Edward Gozalet بإقامة محميّة بريطانيّة في فلسطين يكون هدفها إعادة اليهود ، وربط البلاد بصورة واضحة بإنكلترا^(٤) ، واقترح تشارلز وارن

- (١) تحولات جذريّة في فلسطين ، الكزاندر شولس ، ترجمة د . كامل العسلي ، عمّان ١٩٨٨ ، منشورات الجامعة الأردنيّة ، ص : ٦٠
- (٢) افتتحت بروسيّة قنصليّة لها سنة ١٨٤٢ ، وفرنسة سنة ١٨٤٣ ، وأمريكة سنة ١٨٤٤ ، والنّمسة سنة ١٨٤٩ م .
- (٣) تحولات جذريّة في فلسطين ، ص : ٧٢
- (٤) وهذه الدّعوة حركة دينيّة تعود في جذورها التاريخيّة إلى القرن السّابع عشر في إنكلترا ، وأخذت هذه الحركة اسم (شهوديّه) ، وهدفها : تحقيق نبوءات التّوراة ، وفي مقدّماتها تنفيذ الوعد الإلهي المقدّس ، بتليك أرض الميعاد لإبراهيم وبني إسرائيل إلى الأبد . وقالت : إن المسيح المنتظر سيعود =

Charles Warren أن تسلّم الأرض المقدّسة نظراً لإفلاس الدّولة العثمانيّة لمدة عشرين سنة إلى شركة على غرار شركة الهند الشّرقيّة ، تضمن للدّولة العثمانيّة إيرادات الضّرائب المتحصّلة من فلسطين في ذلك الوقت ، وتدفع لدائنيها (أي دائني الدّولة العثمانيّة) جزءاً من الفوائد المستحقّة لهم .

إنّ المساعي الأوربيّة في فلسطين لم تكن ذات طبيعة اقتصاديّة في الدّرجة الأولى ، فلم تكن هناك مصالح اقتصاديّة خاصّة وبارزة في فلسطين ، فقد كانت هذه مندرجة في سياق التّغلغل الاقتصادي العام في الشّرق الأدنى ، إلّا أنّ التّغلغل الأوربي في فلسطين ، وفي هذا الإطار حجم التّجارة المتنامي أيضاً ، كان لهما تأثيرات هامّة على التّطوّر الاقتصادي للبلاد ، وبالتالي على الهيكل الاجتماعي فيها .

أمّا ماذا كانت فلسطين تستطيع أن تقدّمه إلى أوربة في القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين ، وبعبارة أخرى ، ما أهمّيّتها بالنّسبة للأوربيين ؟ فقد تجلّى ذلك بصورة مجسّمة في المعرض العالمي الّذي أقيم في فيينا سنة ١٨٧٣ م ، لم يكن هناك بطبيعة الحال جناح خاص بفلسطين ، إذ كانت منتجات فلسطين مندرجة ضمن معروضات الدّولة العثمانيّة ، ومع ذلك فقد أفرز مكاناً خاصاً للحديث عن (فلسطين في المعرض العالمي) إلى الجمهور النّاطق بالألمانيّة ، وكان ذلك قد تمّ للمرّة الأولى بالفعل منذ بداية تلك العروض الّتي أقامتها أوربة الأخذ في التّصنيع لنفسها في لندن سنة ١٨٥١ ، وذلك تلبيةً للاهتمام المتزايد على الدّوام بـ (الأرض المقدّسة)^(١) .

= ويجمع اليهود في جزيرة - إنكلترة - وينطلق بهم إلى أرض الميعاد حيث يقيم هناك مملكة السّراب ، والّتي ستدوم ألف سنة ، أهم كتبهم : الاستماع إلى المعلم الكبير ، الحقّ الّذي يقود إلى الحياة الأبديّة ، يمكنكم أن تحيوا إلى الأبد في الفردوس على الأرض (الطّبعة العربيّة ١٩٨٥ : Brooklyn, New York : U.S.A.) .

(١) تحوّلات جذريّة في فلسطين ، ص : ٩٣

لقد ساهمت فلسطين ، وبفضل فائضها الزراعي ، في توين المناطق المجاورة ، وخصوصاً مصر ولبنان وساحل أسية الصغرى الغربى ، وأكثر من ذلك ، فهي قد قامت بفضل صادراتها إلى أوربة ، ومحدودية وارداتها ، بدور ملموس في تحقيق التوازن في الميزان التجاري لبلاد الشام بأسرها^(١) .

صدّرت فلسطين : القمح والشعير والسّمسم والذرة والبقول والتبغ والزيت والصابون وخشب الزيتون والأواني الصّديّة والزجاجيّة . (انظر الجداول في الملحق :

- أهم سلع التصدير من ميناء يافا .

- تصاعد الصادرات الرئيسيّة من يافا .

- قيمة أهم ثلاث سلع من سلع التصدير من يافا .

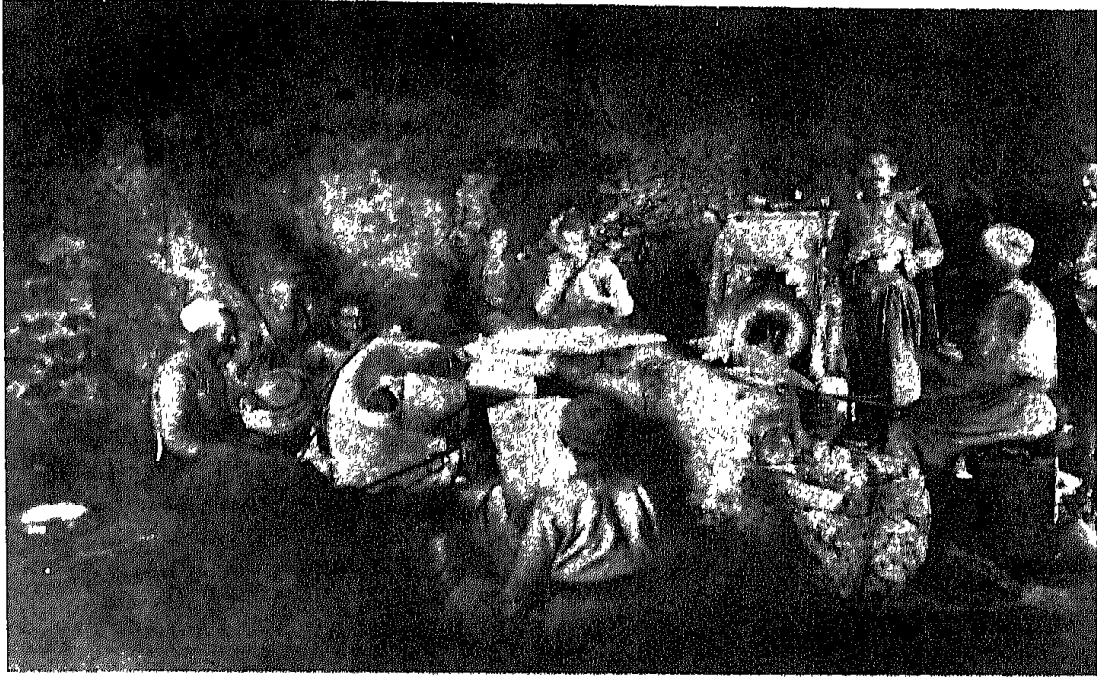
- عدد السفن القادمة إلى يافا .

واستوردت فلسطين : الأرز من إيطاليا ومصر ، والسكّر من فرنسا وإنكلترا ، والبن من أمريكا الجنوبيّة واليمن ، والمصنوعات القطنيّة من إنكلترا وسويسرا ، والأقمشة من سويسرا وألمانيا ، والمصنوعات الحديدية ولوازم الخياطة من ألمانيا وإنكلترا والنمسة وفرنسة ، والأخشاب من أسية الصغرى ورومانية ، والبترول من أمريكا ، والفحم الحجري من إنكلترا .

ولم يكن للقدس بالنسبة للاقتصاد الفلسطيني أهميّة كبيرة ، لا كموقع تجاري ، ولا كمركز للإنتاج الحرفي ، فقد كانت المدينة تعيش في المقام الأوّل من أجل (الأماكن المقدسة) ، ولكنها كانت مدينة نابضة بالحياة ، بما يؤمّها من الحجّاج والسّيّاح من مختلف أنحاء العالم ، وكانت يافا ثغرها على البحر المتوسّط^(٢) .

(١) المرجع السابق ، ص : ١٣٠ (بتصرف) .

(٢) بدأ تشغيل خط حديدي بين يافا والقدس سنة ١٨٩٢ م .

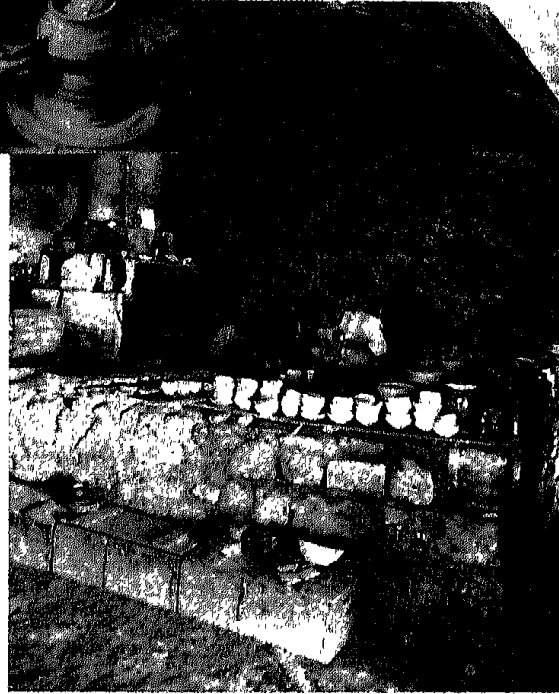
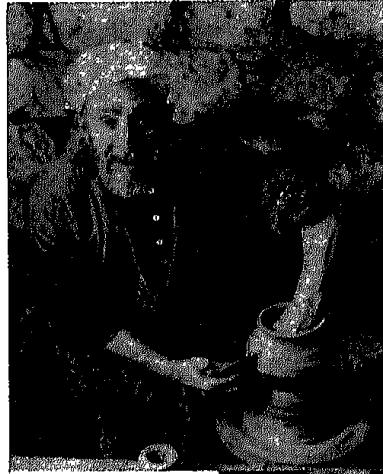


معمل زجاج في مدينة الخليل



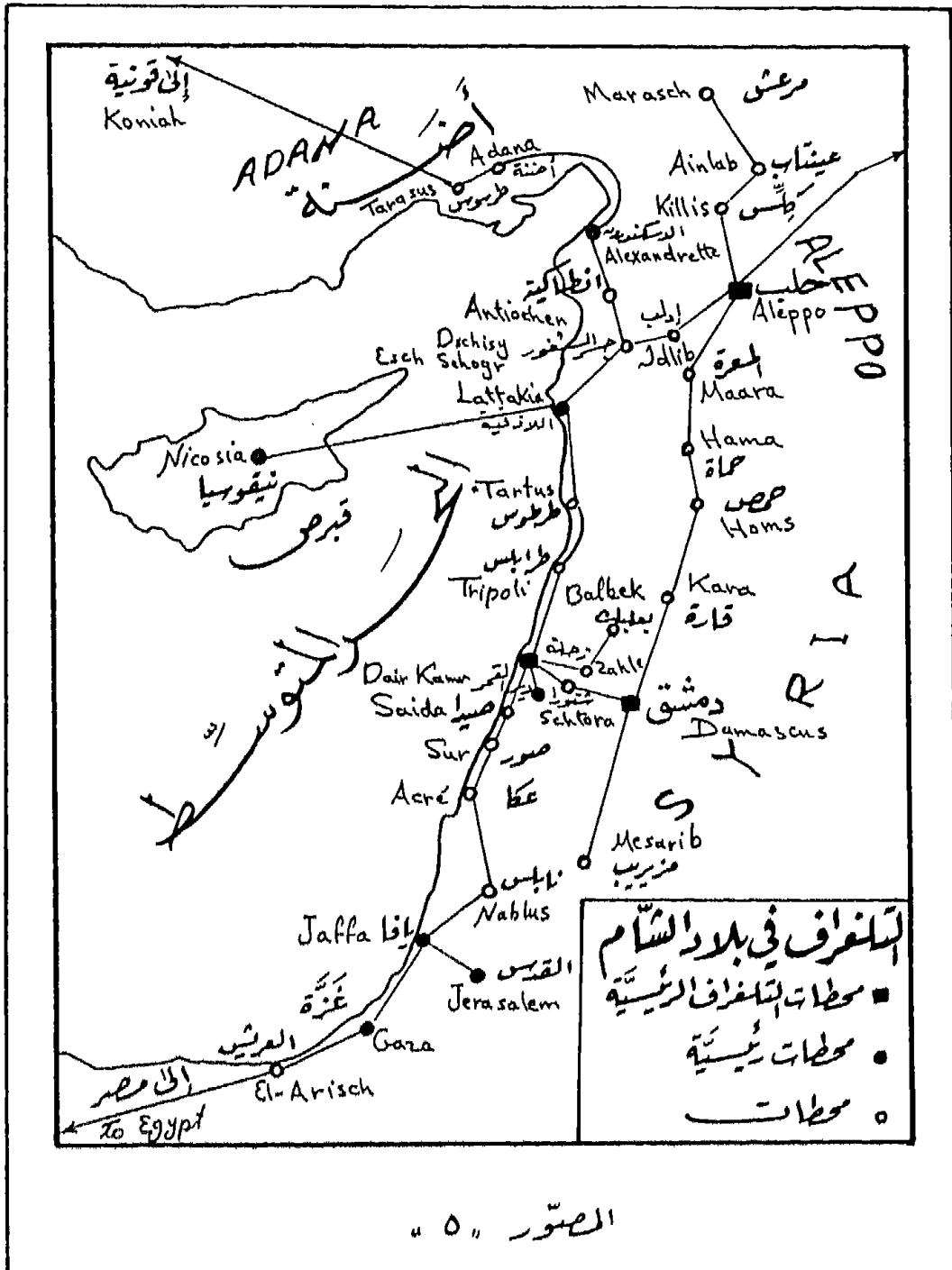
مصنع صابون في مدينة نابلس

☆ صانع الأواني الفخاريّة



☆ الأعمال الخزفيّة في القدس

بعض المهن اليدويّة في فلسطين



الصورة " ٥ "

ولقد عاش سگان فلسطين على الزراعة وبعض الحرف ، التي أهمها صناعة الصابون ، والفخار ، والسلال ، والتجارة ، والحداة ، والحياكة .. وصنع التحف السياحية . (انظر صورة صناعة السلال ، وصورة صناعة الفخار) .



اجتماعياً : كان يسكن في فلسطين سنة ١٨٥٠ م زهاء ٣٥٠,٠٠٠ نسمة ، وكان حوالي ثلثي السگان يعيشون في ٦٥٧ قرية ، وزهاء الثلث في ١٣ مدينة أو بلدة ، وكان ٨٥% من السگان من المسلمين ، وشكل المسيحيون ١١% ، تركنوا في مدن : القدس ، بيت لحم ، يافا ، اللد ، الرملة ، حيفا ، عكا ، الناصرة ، وكان حوالي ٤% من السگان من اليهود الذين عاشوا في القدس والخليل وصفد وطبرية ، (انظر جدول تطوّر سگان فلسطين : ١٨٥٠ - ١٩١٩ م ، وجدول التطور السكاني لمدن فلسطين : ١٨٠٠ - ١٩٢٢ م . وجدول عدد السگان التقديري سنة ١٨٤٧ م - فلسطين الوسطى والشمالية - وجدول سگان القدس بين ١٨٤٠ - ١٨٩٠ م) .

عاش سگان فلسطين في دور قديمة ، عبارة عن منشور حجري ، نوافذها قليلة وضيقة ، وسقفها مكّسة على الغالب ، قد تلاصق بعضها ببعض ، ولهذا لا يمكن أن يوجد بين الدّور فسحة صغيرة ، أو جدار ، أو سياج ، أو شجرة ، والأزقة التي تؤدّي إلى الدّور أزقة ضيقة^(١) .

وبعض الدّور ذات طبقتين ، ودور أشادتها الثروة الجديدة بكل عناية ، وفرشت بالمرمر ، أو الأحجار المصقولة ، وأقيم في وسطها حوض صغير يتدفّق منه الماء الزلال ، وأمام الحوض غرفتان ، أو دائرة ، ويطلقون اسم (ديوان) على الهيئة العموميّة لهذه

(١) الخزانة التّاريخيّة ٩ ، ولاية بيروت والقسم الجنوبي ، دار لحد خاطر ، الطّبعة ٣ - ١٩٨٧ ، ص ١١٠ وما بعدها .

الحالة ، والدَّوَّابِّين^(١) منفصلة تماماً عن جناح النساء ، لأنَّها مختصَّة باستقبال الزَّائرين من الرِّجال .

ومن السَّهل معرفة قواعد الفرش في أبنية الدُّور ، سواء المبنية على الطَّراز القديم أو الحديث ، ويغلب على السُّكَّان المحافظة على القديم ، فهم يحافظون على ما تركه لهم آباؤهم ، فطرز الفرش المتَّبَع في عموم الشَّرْق متَّبَع أيضاً هنا ، فترى في وسط الغرفة حصير أو سجَّادة ، وفوقها فُرْشٌ ، من ورائها وسادتان أو أكثر ، وإذا كانت الحالة مساعدة ، زادت مفروشات الغرفة مرآة أو خزانة صغيرة ، وعدَّة قناديل وفناجين صينيَّة وصحوناً وأقداحاً .. ويعلِّقون على الجدران لوحات كتب عليها بعض الآيات الكريمة .. وهذا كافَّة ما هو متَّبَع من الأصول بفرش الدُّور .

ومع هذا ، فإنَّ الدُّور الَّتِي فُرِشَتْ على الطَّرِيقَة الشَّرْقِيَّة ، لا تخلو منها آثار التُّجَدُّد أحياناً ، فترى أنَّ المقاعد مرتفعة قليلاً ، وفي الغرفة بعض الكراسي ، وفي وسطها خوان^(٢) .

وفي مطابخ أفقر الأهلين الشَّيء الكثير من الأواني النُّحاسيَّة ، والكثير من الحبوب ، وفي بعض الدُّور آبار ، وفي بعضها (صهاريج) تُمَلَأ بماء الشَّتاء .

أمَّا (الزَّوَّاج) : فقد جرت العادة أنَّ الأُسْر المعروفة بشرفها ، لا تزوِّج إلاَّ بعضها ، ولا يمكن لأحد أن يتزوِّج بأبنة شريفة إلاَّ إذا كان من تلك العائلات ، حتَّى لو كان غنيّاً وصاحب ثروة ، وكان الغلُوّ يشتدُّ أحياناً بينهم ، حتَّى إنَّ بعض الأُسْر كانت تحصر تزويج بناتها بأفرادها الذُّكور فقط .

(١) يعلِّقون في سقف الدِّيوان فانوساً كبيراً بسلسلة ، حيث يتحلَّقون بلا تصنُّع ليشرَّبون (الأراكيل) تحت أشعة ضئيلة يرسلها عليهم الفانوس المعلق .

(٢) الخوان والحِوان : الَّذِي يُوْكَل عليه ، (اللسان : خون) .

ولا تُظهِر الشَّرِيحة الشَّعبِيَّة العريضة صعوبات في مسألة الزَّواج ، فهناك من لا يملك إلا مئة قرش وتراه يُقدِّم بكلِّ بساطة على الزَّواج^(١) .

وللزَّواج تقاليدُه ، فبعد الخطبة يَتِمُّ تجهيز العروس بشراء بعض الثياب والحاجيات ، ويجري الزفاف في موعده المتَّفَق عليه ، وفي اللَّيلة التَّالية لليلة السَّمر (التَّعليلة) ، حيث يقيمون أيَّام العرس المآدب وحفلات الغناء والرَّقص (الدَّبْكة) .

التَّعليمُ : يرجع تنظيم التَّعليم في فلسطين إلى قانون التَّعليم العثماني الصَّادر سنة ١٨٦٩ م ، وقد ترسَّخ نظام التَّعليم في قانون سنة ١٩١٣ ، الّذي وضع لتقوية إشراف الدَّولة على المدارس ، وعلى الرِّغم من ذلك ظلَّت غالبية المؤسَّسات التَّعليمية في متصرفية القدس بيد الإرساليات الأجنبيَّة ، بعيداً عن رقابة الدَّولة^(٢) .

اعتمد التَّعليم العثماني النَّمُودج الفرنسي ، وكان مجانياً وإلزامياً - ولو نظرياً - وكانت اللُّغة التُّركيَّة لغة التَّعليم ، وكانت الدَّراسة في المدارس العموميَّة (الحكوميَّة) تتكوَّن من أربع مراحل :

١ - ابتدائية دنيا^(٣) : التَّعليم فيها إجباري ومجاني ومدَّته أربع سنوات ، وكانت كلُّ قرية كبيرة ، أو مجموعة قرى صغيرة متجاورة ، تحتوي على مدرسة من هذا النوع .

٢ - ابتدائية عُليا (رشيديَّة)^(٤) ، مدَّتها أربع سنوات أيضاً ، والتَّعليم فيها مجاني ، وقد وجدت هذه المدارس في المدن الصَّغيرة نسبياً .

٣ - مدارس ثانويَّة دنيا (إعداديَّة) مجانيَّة ، ومدَّة التَّعليم فيها ثلاث سنوات ، وكان في فلسطين ثلاث من هذه المدارس في القدس ونابلس وعكَّا .

(١) ولاية بيروت ، القسم الجنوبي ، ص ١٢٤ و ١٢٥

(٢) الموسوعة الفلسطينيَّة : ٥٢٩/١

(٣) وقد تسمَّى : (صبيانيَّة) .

(٤) نسبة إلى أحمد رشيد متصرِّف القدس ، (الموسوعة الفلسطينيَّة ١٧١/٤) .

٤ - مدارس ثانوية عُليا (سلطانية) ، مدّة التّعليم فيها ثلاث سنوات ، وكان في فلسطين مدرسة واحدة من هذا النوع في القدس ، والدراسة في هذه المرحلة ليست مجّانية ، إلاّ أنّ السُّلطات كانت تقوم بدفع الأقساط عن الطُّلاب الفقراء ، وتضمُّ هذه المرحلة قسماً داخلياً اختيارياً يعيش الطلبة فيه .

وألزم القانون المدارس الخصوصية ، سواء أكانت وطنية تشرف عليها هيئة أو جماعة محلّية أم أجنبية تشرف عليها مصالح أجنبية ، التّقيّد ببرامج التّعليم المتّبعة في المدارس الحكومية العمومية فيما يتعلّق بالمناهج التربوية ومقتضيات تأهيل المعلمين .

المدارس الأجنبية (الإرساليات) : وجدت المدارس الأجنبية في فلسطين منذ القرن التاسع عشر تقريباً ، وكان منها الأمريكية والألمانية والإنكليزية والفرنسية والإيطالية والروسية ، ويعود تأسيس هذه المدارس إلى اهتمام تلك الدّول بالأراضي المقدّسة ، وكانت الدّولة العثمانية قد منحت كلّ طائفة من الطوائف الدّينية ، من غير المسلمين ، امتيازات في كلّ ما يتّصل بالشؤون الدّينية والتّعليمية ، كما منحت هذه الدّول حقّ تأسيس المدارس وإدارتها ، وكانت هذه المدارس تبشيرية ، يشرف عليها ما يسمونه (الإرساليات الدّينية) التي كانت تحميها الدّول التابعة لها .

وكان للروس في فلسطين قبل الحرب العالميّة الأولى عدّة مدارس ابتدائية^(١) ، وعدّة معاهد ثانوية ودار للمعلمين ، وأخرى للمعلّات ، ومن الدّوافع الرئيسيّة التي دعت إلى وجود هذه المدارس وانتشارها ، أنّ روسية أخذت ترى نفسها حامية لطائفة الأرثوذكس .

وامتازت المدارس الروسية في فلسطين باهتمامها باللّغة العربيّة ، لهذا أسّس الروس داراً للمعلمين وأخرى للمعلّات من أجل إعداد المعلمين باللّغة العربيّة ، وكان بعض

(١) أرسلت روسية إلى فلسطين إرسالية برئاسة الأرشمندريت بورفيري أوسپنسكي Porfiri Uspenski : (١٨٤٣ - ١٨٥٤) كانت مهمّتها أن تتفحصّ الوضع ، وأن تشدّ أزر العرب الأرثوذكس ، وأن تقيم مركزاً متواضعاً لروسية في فلسطين (تحولات جذريّة في فلسطين ، ص : ٧١) .

مدّرسي المدارس الروسيّة من العرب الذين أنّوا دراستهم العُليا في روسية ذاتها ، وجرت العادة أن يؤخذ الطُّلاب المتفوّقون الذين يتخرّجون من هذه المدارس إلى روسية لاستكمال دراستهم العالية فيها .

وقد كان مقرّ دار المعلمين الروسيّة في مدينة النّاصرة ، وضمت في إحدى السّنوات ٢١٠ طُلاب ، معظمهم في القسم الدّاخلي ، أمّا دار المعلّّات الروسيّة فكان مقرّها مدينة بيت جالا^(١) . ومن الطُّلاب الذين تخرّجوا من المعاهد الروسيّة في فلسطين ، وعلموا فيها فيما بعد ، وكان لهم التأثير في الحركة الفكرية والأدبية فيها : إسكندر الخوري ، وخليل بيدس ، وسليمان قبايعين ، وفضيل النّمر ، وناصر عيسى ، ونعمة الصّبّاغ ، وأتاحت المدارس الروسيّة في فلسطين الفرصة أيضاً أمام الطُّلاب العرب من خارج فلسطين للدراسة فيها ، إذ تخرّج منها : نسيب عريضة ، وميخائيل إسكندر ، وميخائيل نعمة .

أوصدت المدارس الروسيّة أبوابها بعد انتهاء الحرب العالميّة الأولى .

الأدبُ الفيلسطيني : جاء في (الموسوعة الفلسطينية ١٣٤/١) : « من يتتبع حركة النّقد الأدبي الفيلسطيني الحديث في النّصف الثّاني من القرن التّاسع عشر ، يكاد لا يظفر بشيء ذي بال ، فقد كانت هذه المرحلة ، مرحلة تقاريط ساذجة ، ومن أمثلة ذلك ما عمد إليه عبّاس الحّماش من نابلس من تقريظ مجلّة (الجنان) للمعلّم بطرس البستاني^(٢) ، وما فعله أبو السّعود أحد علماء القدس الشّريف بكتاب (سرّ اللّيال) لأحمد فارس الشّدياق ، وما فعله يوسف أسعد (بالجوائب) أيضاً ، وما فعله كذلك يوسف النّبّهاني (بالجوائب) و (سرّ اللّيال) .

(١) بيت جالا : بلدة تقع على بُعد كيلين إلى الشّمال الغربي من مدينة بيت لحم (معجم بلدان فلسطين) ، محمد محمد شرّاب ، ص : ١٨٠ ، دار المأمون دمشق .

(٢) بطرس البستاني [١٨١٩ - ١٨٨٣ م] أصدر منفرداً أو مع ابنه سليم ، أربع صحف هي : نفير سوريّة ، الجنان ، الجنّة ، الجنينة .

وكانت قفزة مع مطلع القرن العشرين في حركة النقد الأدبي في فلسطين ، وذلك بظهور كتاب روجي الخالدي المقدسي : (تاريخ علم الأدب عند الإفرنج والعرب و فيكتور هوغو) ، فقد كان هذا الكتاب سبقاً في عالم النقد الأدبي العربي الحديث ^(١) ، وفي حين كان النقد الأدبي العربي الحديث في مطلع القرن العشرين يكتفي بالمطالبة بالجدد ، دون أن يبيّن عن فكر أدبيّة متبلورة ، جاء كتاب روجي الخالدي يحمل هذه الأفكار .

وارتاد النقد الأدبي الفلسطيني بعد كتاب الخالدي أفاقاً واسعة تضاهي أفاق النقد الأدبي المتقدّمة ، فبرز نشاط الأستاذ خليل بيدس في مجلّته (النّفايس العصريّة) منذ سنة ١٩٠٨ م ^(٢) ، وظهرت بوادر النقد الأدبي الفلسطيني في هذه المرحلة في الصّحف أكثر من ظهورها في كتب نقدية .

وعرف الفلسطينيون أدب الرحلات ، لأنهم ترجموا ثمرة اتصال فلسطين بكثير من بلدان العالم ، وثمره اتّصلهم هم أنفسهم بتلك البلدان ، وقد برز منهم الشيخ خليل الخالدي ^(٣) ، الذي شدّ الرّحال إلى العالمين العربي والإسلامي ، وطاف في دور الكتب

(١) بدأت طباعة هذا الكتاب وظهر للجمهور ما بين سنة ١٩٠٢ و ١٩٠٤ م ، (الموسوعة الفلسطينية ١٣٤/١) .

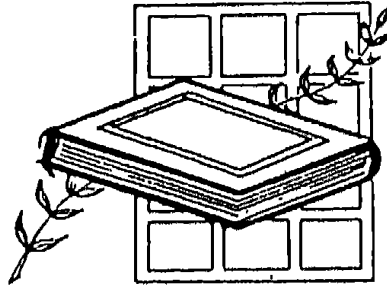
(٢) كما صدر العدد الأوّل من المجلّة الاجتماعيّة نصف الشهرية (الأصمعي) في القدس بتاريخ ١٩ آب (أغسطس) ١٩٠٨ م ، وهي تعدّ أوّل مجلّة عربيّة صدرت في فلسطين ، سّمّاها صاحبها حسناً عبد الله العيسى (الأصمعي) لولعه بالأصمعي ، وقد عالجت المجلّة الموضوعات الاجتماعيّة والسياسيّة والتربويّة والأدبيّة ، طبّعت (الأصمعي) في القدس ، في مطبعة جورج حبيب حنانيا صاحب جريدة (القدس) ، أمّا مكاتب إدارتها فكانت في يافا ، صدر منها أحد عشر عدداً ، توقّفت عن الصدور بعد وفاة صاحبها بتاريخ : ١٩٠٩/٩/١٢ م . شارك في تحريرها والكتابة فيها : خليل السكاكيني الذي تكلّم بأبي الطيّب لولعه بالمتنبّي ، ومحمد إسعاف النّشاشي الذي تكلّم بأبي الفضل ، لولعه بيدس الزّمان الهمداني ، (الموسوعة الفلسطينية : ٢٦١/١) .

(٣) خليل جواد بن بدر الخالدي [١٨٦٦ - ١٩٤١ م] ، جاء في الأعلام ٣١٦/٢ : « كان من أعلم النّاس

القائمة في العواصم آنذاك ، ووقف على تلك الخزانات وما احتوته من كتب مخطوطة وآثار محفوظة ، ونسخ شاردة ، واجتمع له من هذا كُله أن أصبح ثقة العالم الإسلامي في التُّراث العلمي الإسلامي ، الممثل في الكتب والمدونات والسجلات والمكتبات والكراريس والمخطوطات^(١) .

وعندما زار روهي الخالدي الأندلس ، دوّن كتاباً عنوانه (رحلة إلى الأندلس) ، وصف فيه آثار تلك البقعة النادرة في طبيعتها وآثارها .

وبندلي الجوزي الذي ألف كتاباً عنوانه : (رحلة البطريرك مكاريوس ابن عم الزعيم إلى بلاد الكرّج) .



= بالمخطوطات وأماكنها ، ولي القضاء الشرعي في كثير من المدن ، ولد بالقدس ، وتوفي بالقاهرة ، له : الاختيارات الخالدية في الأدب ، نحو ٣٠ كراسة ، وقيل له (مذكرة) في نحو خمسين جزءاً ، في ذكر ما وقف عليه من الكتب والمكتبات التي زارها .

(١) الموسوعة الفلسطينية : ١٣٨/١

بندلي الجوزي
حياته

بندلي الجوزي

حياته

وُلدَ بَندلي بن صليبا الجوزي يوم الأحد ٢ تموز (يوليو) سنة ١٨٧١ ميلادية^(١) ، في مدينة القدس من عائلة عربيّة ، تعود في أصولها إلى قبيلة (غَسَّان)^(٢) ، وتوفي يوم الإثنين ١٩ كانون الثاني سنة ١٩٤٢ ميلادية^(٣) ، في مدينة باكو^(٤) .

توفيت والدته أثناء الوضع ، وكان والده نجّاراً ، توفي وبندلي في السادسة من عمره ، فاهتمت بأمه أسرته ، وخصوصاً خاله (نقولا عنصره) - تاجر العاديات - وأخوه (قسطندي) ، وأختاه (كاترينا) ، و (هيلانة) .

تقول أخته (مريم) : كانت طفولة بندلي هادئة على وجه العموم ، ولكنه عندما أصبح قادراً على المشي ، كان يحبُّ اللّعب والرّكض ، وعندما بلغ سنّ العاشرة تقريباً ، كان يعتزل رفاقه ، ويخرج إلى سطح الدّار ، التي تُطلُّ على أسوار مدينة القدس القديمة ، وينتحي ناحية قصبة ، ويستمتع بقراءة القصص التي كانت رائجة في تلك الأيام .

(١) الموافق : ١٤ ربيع الثاني ١٢٨٨ هجرية .

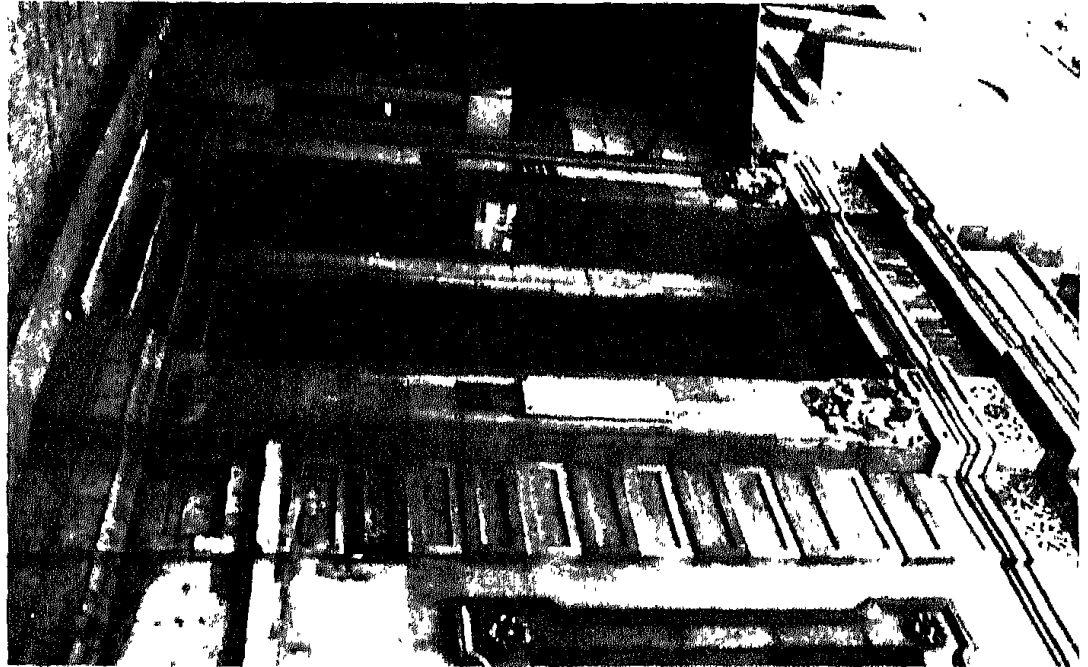
(٢) كما أعلمني الأستاذ نصري الجوزي ، فيكون الأصل بذلك (يني) .

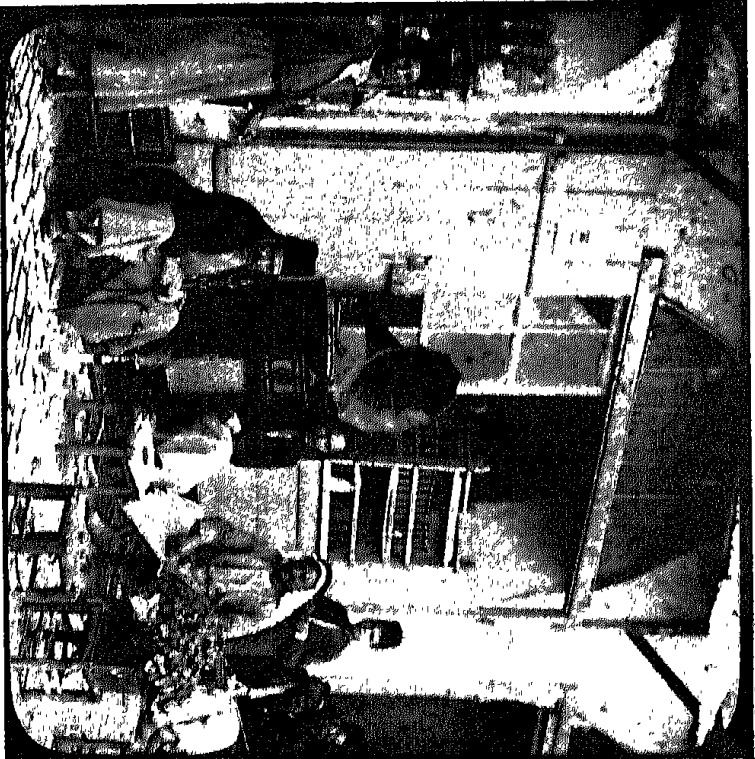
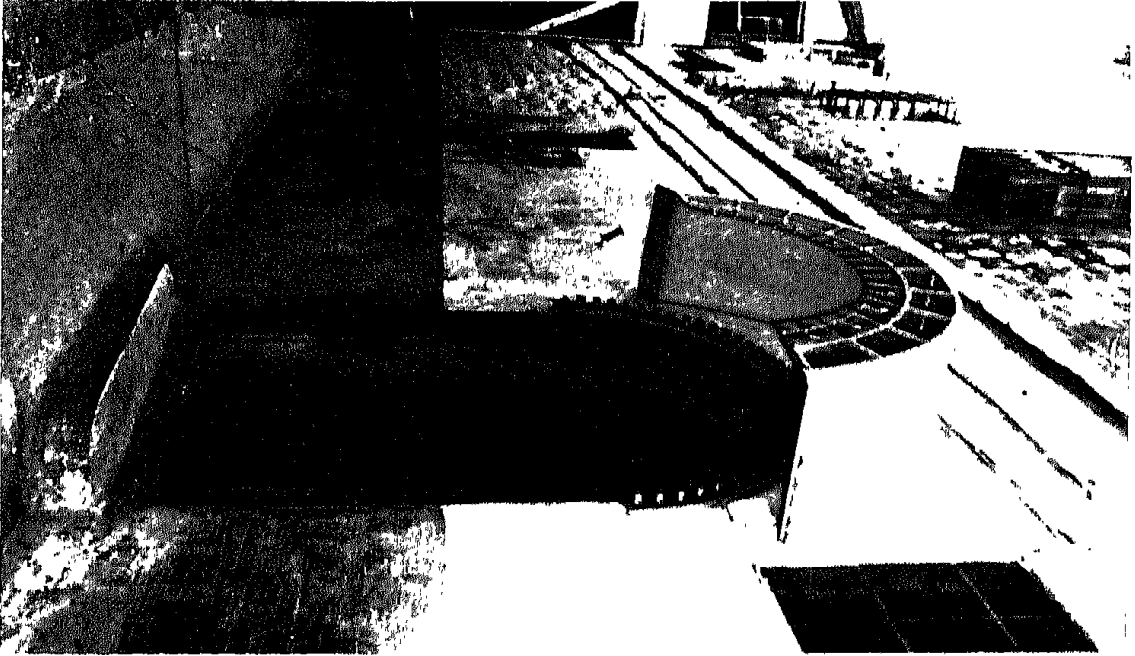
(٣) الموافق : ٢ المحرم ١٣٦١ هجرية .

(٤) باكو : مدينة على شاطئ بحر الخزر (قزوین) الغربي ، عاصمة أذربيجان .



☆ كنيسته المسكونية
(القدس)





مبنى شعبي في فلسطين

☆ بطريركية الروم الأرثوذكس
(القدس)

سبب تسمية (بندلي) ، ومعنى هذا الاسم :

تسلّلت بعض الدُّول الغربيّة ، في القرن التّاسع عشر الميلادي ، وأوائل القرن العشرين ، إلى منطقة الشّرق الأوسط ، حفاظاً على الطّوائف المسيحيّة ظاهراً ، ومحاولة اقتسام تركّة (الرّجل المريض)^(١) ، أي الإمبراطوريّة العثمانيّة باطناً .

فراحت فرنسا تفرض نفسها حامية للمسيحيّين الكاثوليك^(٢) .

أمّا روسية القيصريّة ، فقد نصّبت نفسها حامية للمسيحيّين الأرثوذكس^(٣) ، وأخذت تفتح المدارس ، ودور المعلّمين والمعلمات حتّى تفوز بقصب السّبوق .

وأقبل النّاس على الأسماء الأجنبيّة الجديدة ، فكثرت أسماء : كلود ، وجان ، ومادلين ، وجورجيت ، وجوزفين ..

كما نقل الرّوس إلى منطقة الشّرق الأوسط أسماء القديسين والقديسات ، مثل : قسطنطين ، وهيلانة ، وإسير (إسبيريدون) ، ونقولا ، وبندلي ..

وبندلي اختصار (بندلايمون) ، و (بندلايمون) اسم قديس يوناني ، ومعناه (الرّجل النّاصح)^(٤) .

رحلته في طلب العلم :

تلقّى بندلي علومه الابتدائيّة والإعداديّة في مدينة القدس ، في دير للرّوم

(١) The Sick Man

(٢) الكنيسة الكاثوليكية (أي الجامعة) : وهي الجماعة التي أسسها السيّد المسيح ، ورثب مؤمنيا تحت سلطان الرّسل والأساقفة من بعدهم ، يرأسهم القديس بطرس ، يرأسها اليوم (البابا) المقيم في الفاتيكان .

(٣) أرثوذكس تعني (الفكر المستقيم) .

(٤) أخذ هذا التّفسير من أحد رهبان دير الرّوم الأرثوذكس .

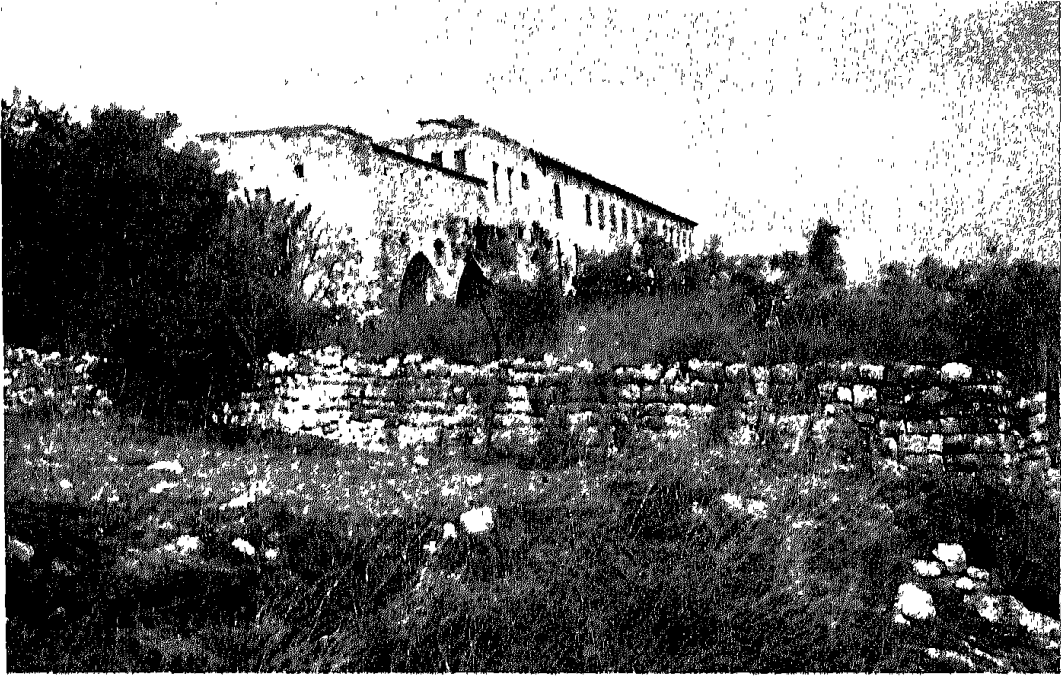
الأرثوذكس ، اسمه (دير المصلبة) ، وهو في ظاهر القدس إلى الغرب ، بالقرب من
كثيئة (تيرسانطة)^(١) ، في شارع الملك جورج .

وتجمع آراء المؤرخين ، أن هذا الدير بُني في القرن العاشر الميلادي ، بناه راهب
كُرْجِي اسمه (بروخوروس) ، ويقول المرحوم عارف العارف في كتابه (المسيحية في
القدس)^(٢) ، إن في مكتبة دير الروم الأرثوذكس بالقدس وثيقة كرجية ، يفهم منها
أن هذا الدير بُني سنة ١٠٣٨ م .

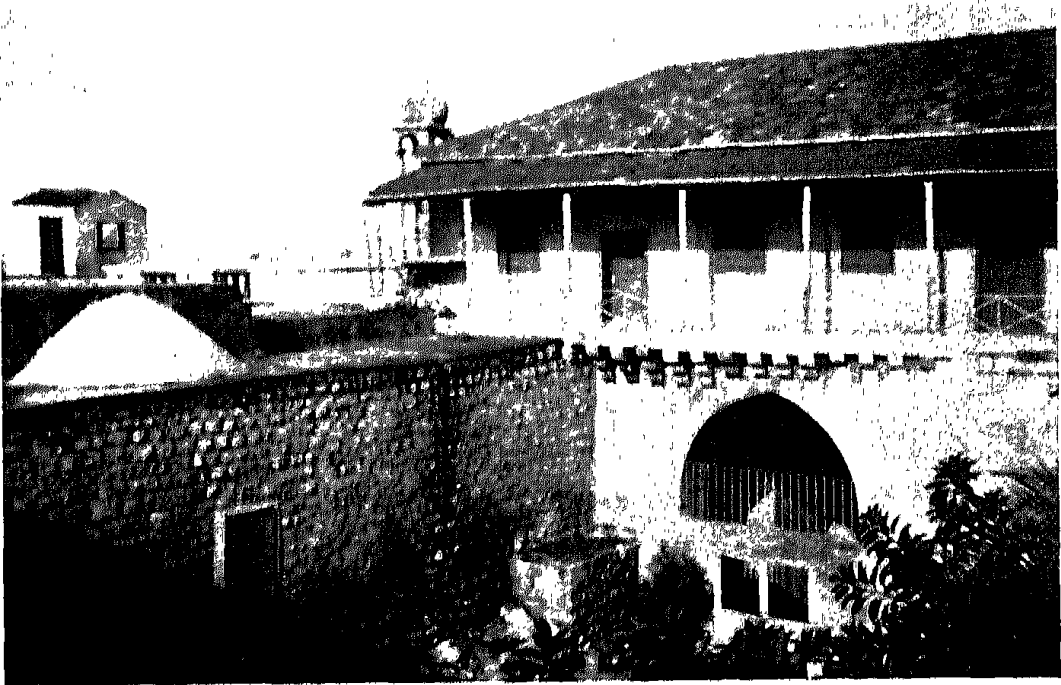
ويذكر المؤرخ اليوناني (بنيامين يوانيدس) : في ظاهر القدس إلى الغرب ، وعلى
بعد خمسة كيلومترات من مقبرة (ماملأ ، أي مأمّن الله) دير من ديارات الروم
الشهيرة والقديمة ، قيل إنَّ الذي أنشأه هو الأمير (ماريام الكرجي) ، وكان ذلك
حوالي سنة ٣٣٠ م ، وفي أيام الملك قسطنطين^(٣) ، أهدى ملك الكرج^(٤) ماريام المكان
الذي يقوم عليه ، وذلك عند زيارته للقدس بين سنتي ٣٤٢ و ٣٧٥ م ، ولكن هذا
القائل لم يستطع أن يجزم فيما إذا كان الدير قد بُني يومئذ ، في ذلك المكان أم لا ، غير
أنه أكد أن الأمير مروانوس الكرجي عندما زار القدس في أوائل القرن الخامس
الميلادي ، وترهب ، بنى دير الكرج بجانب برج داود .

وفي أواخر القرن العاشر الميلادي هبط مدينة القدس ، راهب كرجي اسمه
(بروخوروس) بنى دير المصلبة الحالي .

-
- (١) تيرسانطة : الأرض المقدسة ، كلمة إيطالية ، فتيرا تعني : الأرض .
(٢) المسيحية في القدس ، عارف العارف ، طبعة ١٩٥١ م ، مطبعة دير الروم الأرثوذكس - القدس ،
ص : ٤٧ ، والكتاب في دار الكتب الظاهرية الأهلية بدمشق ، تحت رقم : و . ٧٢٩٦
(٣) قسطنطين بن قسطنطينوس كلورس : [٢٧٤ - ٣٢٧ م] ، إمبراطور روماني [سنة ٣٠٦ م] هزم خصمه
ماكسانس على أبواب روما سنة ٣١٢ م ، وأطلق الحرية للدين المسيحي ، أسس عاصمة جديدة سماها
القسطنطينية ، ودشنها سنة ٣٣٠ م .
(٤) الكرج (أو جورجيا) Géorgie : من جمهوريات الاتحاد السوفياتي ، شرقي البحر الأسود ، عاصمتها
تفليس .



منظر جانبي لدير كفتين



دير كفتين من الداخل



الطريق إلى دير كفتين



دير كفتين

وحوالي سنة ١٣٠٠ م ، جاءت ثلاث مائة أسرة أرثوذكسيّة من لدن ملك الكرج ، وسكنت كلّها في هذا الدّير ، وقيل إنّ فريقاً منها استوطن يومئذٍ قرية (المالحه) من أعمال مدينة القدس .

فظلّ الدّير بيد الكرجيّين المهاجرين ، حتّى أواخر القرن السّابع عشر الميلادي ، ونظراً لانتقاع الإعانات التي كانت ترد على الدّير من بلاد الكرج ، وقع رهبان الدّير تحت طائلة الدّيون الثّقيلة ، واضطرّ فريق كبير منهم للرّجوع إلى بلادهم ، فانتهز الفرصة بطريرك القدس (دوستيوس) : [١٦٦٩ - ١٧٠٧ م] ، فسدّد الدّيون المطلوبة ، واشترى الدّير ، وأصبح من أملاك الرّوم الأرثوذكس ، وفي سنة ١٨٥٥ م حوّل البطريرك (كيرلس) هذا الدّير ، إلى مدرسة لاهوت ، لتعليم أصول الدّين المسيحي على المذهب الأرثوذكسي^(١) .

أغلقت هذه الكلّيّة سنة ١٩٠٩ م بسبب ضائقة الدّير الماليّة ، ولا تزال مغلقة إلى يومنا هذا ، وليس في الدّير اليوم سوى راهب واحد ، وفيها مكتبة قيّمة تحتوي على ما يقرب من ثمانية آلاف كتاب ، ويعيش في الدّير الآن فريق من مهاجري الحرب اليونانيّين ، الذين هبطوا بيت المقدس ، خلال الحرب العالميّة الثّانية : [١٩٣٩ - ١٩٤٥ م] .

في هذا الدّير - دير المصلّبة - والذي كانت تديره فئة من الرّهبان اليونانيّين ، ومعلّمون من العرب ، تلقّى بندلي دروسه الابتدائيّة والأهوتيّة ، ويبدو أنّه قضى سبع سنوات في دير المصلّبة ، ثمّ انتقل إلى دير آخر في (كفتين)^(٢) في طرابلس الشّام ،

(١) الموسوعة الفلسطينيّة : ٥٢١/٣

(٢) جاء في كتاب (البعثات اليسوعيّة ، مهمّة إعداد النّخبة السّياسيّة في لبنان) ، د . طلال عترسي ، طبعة الوكالة العالميّة للتّوزيع ، الطبعة الأولى : ١٩٨٧ م ، صفحة ١٨٩ : بذل المنسنيور غرينغوريوس جهوداً كبيرة لمضاعفة عدد مدارس الرّوم الأرثوذكس في لبنان ، وحاول الحصول على مساعدة Saint Synode الروسي ، والجمعيّة الرّوسيّة في فلسطين لتحقيق ذلك ، ولكي يواجه مدرسة الفرير ، أسّس مدرسة للصّبيان في (كفتين) على بعد ساعتين من طرابلس سيراً على الأقدام . زرت دير كفتين يوم الجمعة ١٩٩٢/١٢/٢٥ ، وهو يبعد ٩ كم عن طرابلس (انظر الصور على الصفحتين السابقتين) والتي التقطتها بالتاريخ المذكور .

وقضى هناك ما يقرب من أربع سنوات ، ليسافر بعدها إلى روسية ، لإكمال تلقّي علومه اللّاهوتيّة ، وكان ذلك في سنة ١٨٩١ م .

بندلي في روسية :

درس بندلي العلوم اللّاهوتيّة المتقدّمة في الأكاديميّة الدّينيّة في (موسكو) لمدة ثلاث سنوات^(١) ، حصل خلالها على الشّهادة الجامعيّة في الأكاديميّة الرّوحانيّة في موسكو .

ثمّ عزف بندلي عن الموضوع ، إذ لم ترقه الأوضاع الدّينيّة التي كانت سائدة في تلك الأوقات^(٢) ، فانتقل إلى أكاديميّة مدينة (قازان)^(٣) سنة ١٨٩٥ م بعد جهود جبّارة بذلت في هذا السّبيل ، حيث حضر لدبلوم في المصادر العربيّة الموجودة في مكتبة هذه الأكاديميّة ، وأنهى عمله سنة ١٨٩٦ م ، فعمل معيداً في الأكاديميّة ، ومعاوناً للبروفيسور المختص في اللّغة العربيّة والبحث .

وفي سنة ١٨٩٩ م ، دافع بندلي عن أطروحة الماجستير في التّاريخ والبحوث الإسلاميّة ، وفي (قازان) قدّم أطروحته المؤلّفة من مئتين وتسع وستين صفحة ، وحصل على مرتبة محاضر في اللّغة الفرنسيّة ، وكان موضوع الأطروحة : (المعتزلة : البحث الكلامي التّاريخي في الإسلام) .

وفي سنة ١٩٠٠ م سافر بندلي إلى القدس ، إلى مسقط رأسه ، بقصد البقاء فيه ، ولكن عدّة عوامل^(٤) دفعته مضطراً إلى العودة إلى قازان ، حيث تزوّج سنة ١٩٠٣ م من (ليودميلا زوييفا) ، المولودة في يوم الإثنين : ٢٥ تشرين الأوّل (أكتوبر) ١٨٨٠ م ، والتي توفّيت في باكو يوم الثلاثاء : ٣٠ حزيران (يونيو) ١٩٣١ م .

(١) ما بين ١٨٩٢ و ١٨٩٤ م .

(٢) أو لأنه اعتنق مبادئ (الماركسيّة) .

(٣) قازان : مدينة في قلب الاتّحاد السّوفياتي ، انظر المصوّر ص : ٩٤

(٤) ستشرح في حينها في هذه الأطروحة .

الأستاذ بندلي الجوزي
في شبابه
[١٠ آذار - مارس - ١٩٠٨ م]



بندلي الجوزي واقفاً
وإلى يمينه
كراتشكوفسكي
ومستشرق على يساره
لعلّه تلميذ
كراتشكوفسكي السيّد :
بيليايف

دّرس بندلي من سنة ١٩١١ م ، وحتّى سنة ١٩١٧ م في كُليّة الحقوق في جامعة قازان ، وحصل على درجة علميّة أقل من Ph.D^(١) (الدكتوراه) ، وبسرعة أنهى هذه الدّراسات الحقوقيّة ، وانتقل إلى كُليّة التّاريخ والآداب في جامعة قازان سنة ١٩١٧ م ، حيث دّرس تاريخ شعوب الشّرق الأوسط حتّى سنة ١٩٢٠ م ، وفي هذه السّنة دُعي - من قبل وزارة المعارف - لاستلام منصب في لجنة اللّغة العربيّة والآداب في جامعة أذربيجان الحكوميّة في مدينة باكو ، فانتقل بندلي سنة ١٩٢٠ م مع عائلته إلى باكو (الكليّة الشّرقية) ، الّتي صار عميدها سنة ١٩٢٥ م ، فساهم مساهمة فعّالة في إنشاء الأبدية الجديدة للغة الأذربيجانيّة .

وفي سنة ١٩٢١ م ، حصل على الدكتوراه في الأدب العربي واللّغة العربيّة .

وفي سنة ١٩٢١ م ، ذهب بندلي في بعثة علميّة إلى إيران ، ومن هناك جلب عدداً كبيراً من المخطوطات العربيّة والفارسيّة ، زوّدها بمكتبة الجامعة .

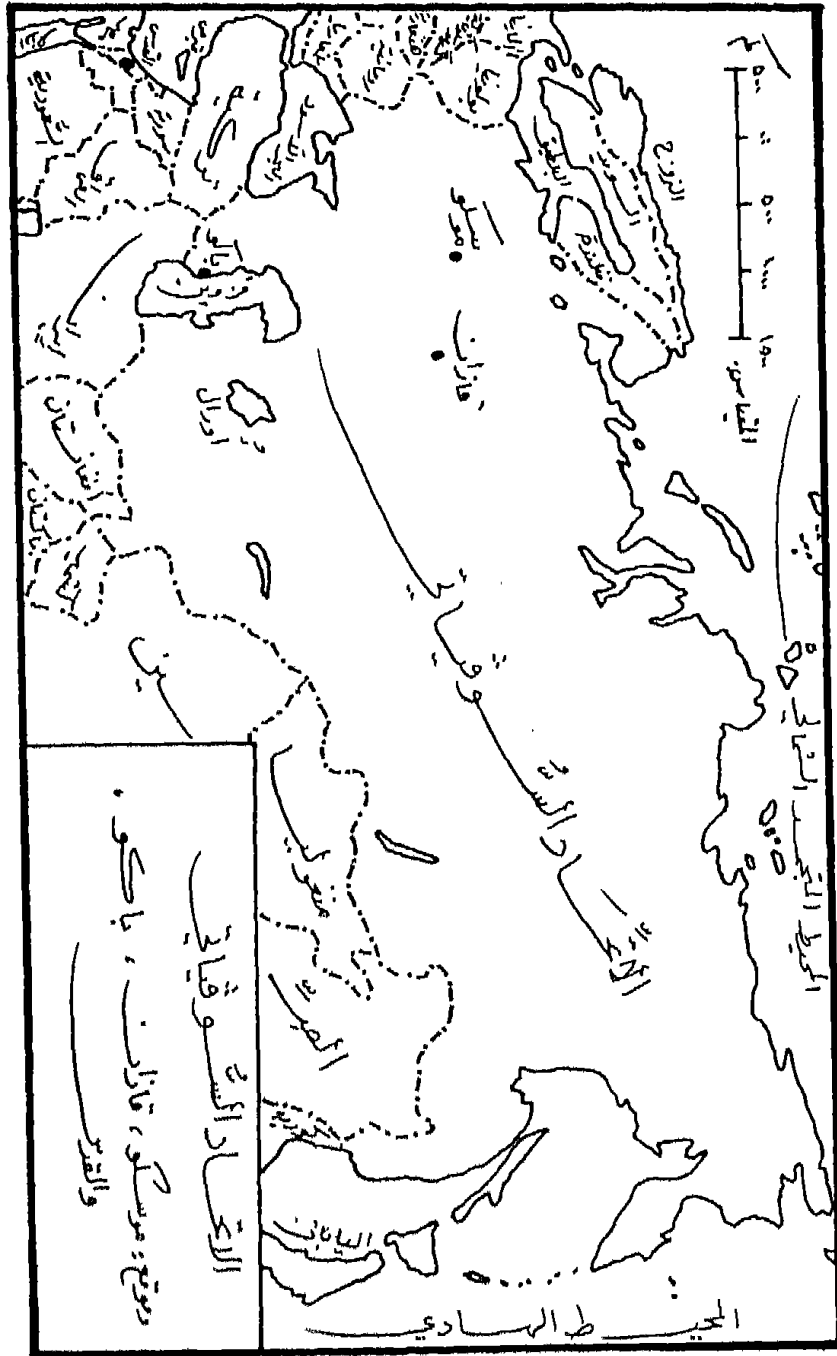
وفي سنة ١٩٢٤ م زار فلسطين وسوريّة ولبنان للاطلاع العلمي .

وفي سنة ١٩٢٧ م حصل على بعثة - أو منحة - لسنة واحدة إلى الشّرق الأوسط ، فزار إيران والعراق وسوريّة وفلسطين ومصر ، وفي هذه الزيارة ألّف كتاباً في القدس باللّغة العربيّة ، عنوانه : (من تاريخ الحركات الفكرية في الإسلام)^(٢) ، وألقى العديد من المحاضرات والخطب ، وفي تشرين الأوّل (أكتوبر) ١٩٢٨ م عاد إلى باكو ، حيث ترأس سنة ١٩٣٠ م كرسي اللّغة العربيّة وآدابها في جامعة باكو ، وفي سنة ١٩٣١ م منحه المجلس العالمي لجامعة باكو شهادة دكتوراه شرف في اللّغة وآدابها .

وما بين سنتي ١٩٣٢ م و ١٩٣٧ م لم يعمل أي عمل ، لمرض أصابه في قلبه .

(١) Doctor of Philosophy: Ph.D ، دكتور في الفلسفة .

(٢) وهو موضوع دراسة ونقد في فصل كامل من هذه الأطروحة ، لأهميته في مجالات بحثه ، وميدان دراسته . ولقد ألّف هذا الكتاب سنة ١٩٢٨ بعد الانتهاء من زيارته للتلّول المذكورة .



الاتحاد السوفياتي

وموقع : موسكو ، قازان ، بأكو ، والقدس

وفي سنة ١٩٣٨ م ترأس العمل في الأكاديمية العلمية ، فكتب أكثر من خمسين مقالة للموسوعة الأذربيجانية .

وفي سنة ١٩٣٨ م أُحيل إلى المعاش ، حيث توفي في مدينة باكو بتاريخ ١٩/١/١٩٤٢ م^(١) .

يقول خليل السكاكيني : « قرأتُ اليوم في مجلّة (المجتمع العربي) التي تصدر في لندن ، أن صديقي وأستاذي بندلي الجوزي قد مات من عهد قريب ، فاستعظمتُ المصابَ ، يالللخسارة ، يالللخسارة ، لقد كان رحمه الله من كبار العلماء الذين يحقُّ للشَّرق بأن يفخر بهم ، كم كنتُ أترقّب رجوعه إلى فلسطين ، فنقضني بقية العمر معاً .

ومما أذكره هنا أنه حين كان في القدس لآخر مرّة ، وقد أقام بيننا نحو سنة ، انتدبته الحكومة ليُلقِي دروساً في مدرسة الحقوق ، فسألت الطُّلاب عنه ، فقالوا : لانحسُّ أننا أمام أستاذ كبير ، إلا في درسيه ، ولم تكن تمرُّ ليلة ، إلا اجتمعنا في بيتنا أو بيته ، أو بيت أحد الأصدقاء .

كان من كبار علماء اللُّغات ، فما كان يجيء إلى القدس ، إلا لزمته في ليالي ونهاري^(٢) .

أُسرة بندلي الجوزي :

تزوَّج بندلي سنة ١٩٠٣ م من (ليودميلا لورنيشيغنا زويفا) ، المولودة سنة ١٨٨٠ م ، كان والدها تاجراً ، اسمه (لافرانتيين زاخرافيتش زويفا) ، وأمُّها السيِّدة بربارة بافلوفيتنا ، والأب والأم من الروس الأرثوذكس .

(١) قال لي الدكتور بونياتوف : حبسَ بندلي الجوزي سنة في أواخر حياته بتهمة تجسُّسه لصالح الإنكليز ، وبعد خروجه من السِّجن بسنة واحدة توفي في باكو .

(٢) عن كتاب خليل السكاكيني : (كذا أنا يادنيا) ، صفحة : ٤٣١

أتمت ليودميلا دراستها في المدرسة النسائية في وارسو ، ورزق منها بنديلي سبعة أولاد ، ثلاثة ذكور ، وأربع بنات ، اهتم بتربيتهم وتعليمهم ، فاحتلوا مراكز علمية مرموقة في الجامعات السوفيتية ، وهم ، الذكور :

١ - فلاديمير : ولد سنة ١٩٠٤ م في مدينة قازان ، حيث درس في مدرسة قازان المتوسطة ، ثم أكمل تعليمه في كلية الرياضيات الفيزيائية في جامعة أذربيجان ، وحصل على الدكتوراه في العلوم الفيزيائية والرياضية .

تزوج من الدكتورة غالينا ، ولم ينجب ، وهو حي يرزق ، مقيم في مدينة باكو .

٢ - جورجي : ولد سنة ١٩١١ م في مدينة قازان أيضاً ، حيث أنهى دراسته في كلية الجيولوجيا في معهد (البوليتكنيك) في أذربيجان سنة ١٩٣٣ م ، عمل جيولوجياً .

قُتِل سنة ١٩٤٢ م ، خلال الحرب العالمية الثانية .

٣ - بورييس : ولد سنة ١٩١٣ م في مدينة قازان أيضاً ، درس في كلية التنقيب الجيولوجي في معهد أذربيجان الصناعي ، وتخرّج منه سنة ١٩٣٩ م ، فشغل وظيفة : رئيس قسم الفلزات الطبيعية غير المعدنية في وزارة الجيولوجيا في الاتحاد السوفياتي .

تزوج من جوزفين ، فأنجب منها : تانيا ، التي أنجبت ديمتري . وتوأمين هما : أولغا^(١) التي أنجبت : أندريه .

وفلاديمير : وهو عالم فيزيائي ، تزوج لودميلا^(٢) ، فأنجب منها : مارينا .

أمّا الإناث ، فهنّ :

(١) اختصاصها : تاريخ واقتصاد ، واسم زوجها : ستانيلان .

(٢) اختصاصها : تاريخ .

٤ - أنستاسيَا : ولدت في قازان سنة ١٩٠٥ م ، درست أولاً في قازان ، ثم انتقلت مع أسرتها إلى باكو سنة ١٩٢٠ م ، فأنتهت دراستها في جامعة أذربيجان الحكوميّة فرع الرّياضيّات والفيزياء .

وفي مدينة لينينغراد ، دافعت عن أطروحتها لنيل درجة الماجستير سنة ١٩٣٩ م ، وفي سنة ١٩٥٩ م حصلت على الدكتوراه .

تزوّجت من قسطنطين ماركوف ، وهو أكاديمي في الجغرافية ، فأنجبت : آسيا سنة ١٩٤٣ م ، وهي عالمة جيولوجية ، تحمل درجة الدكتوراه ، موظّفة في معهد الأبحاث الجغرافيّة في موسكو .

وآسيا متزوّجة ، ولها ولد اسمه (سيرجي Serje) ، أنهى دراسته الثّانويّة سنة ١٩٨٤ م .

توفيت أنستاسيا سنة ١٩٨١ م .

٥ - ألكسندرة : ولدت سنة ١٩٠٧ م في قازان ، وبدأت دراستها فيها ، وتابعت دراستها سنة ١٩٢٠ م - وما بعدها - في مدينة باكو لانتقال أسرتها إليها ، حيث أنهت كئيّة التّربية في علوم التّاريخ العام ، من جامعة أذربيجان الحكوميّة سنة ١٩٣٠ م .

٦ - تامارا : ولدت سنة ١٩٠٩ م في قازان ، درست في قازان وباكوا ، حيث أنهت سنة ١٩٣١ م كئيّة التّكنولوجيا في جامعة أذربيجان في مجال الاختصاص : (الفيزياء والكيمياء) ، دافعت عن أطروحتها لنيل درجة P.H.D سنة ١٩٣٨ م ، وحصلت سنة ١٩٤٩ م على شهادة دكتوراة في العلوم .

أنجبت تامارا : ألكس ، وناتالي Natalé ، وكاتيا ، وألكسندر^(١) .

(١) وتامارا حيّة ترزق ، تعيش في مدينة موسكو ، رأيت بطاقة معايدة بمناسبة رأس السنة (١٩٩٠ م) بخطّ يدها ، أرسلتها إلى الأستاذ نصري الجوزي بدمشق .

٧ - أولغا : ولدت في قازان سنة ١٩١٥ م ، انتقلت إلى باكو مع أسرتها حيث أتمت دراستها المتوسطة ، ثم أتمت علومها العالية في جامعة لينينغراد ، قسم البيولوجيا ، وباختصاص أعمال التعدين ، حصلت على درجة الماجستير سنة ١٩٥١ م ، حصلت على درجة الماجستير سنة ١٩٥١ م ، كما حصلت على شهادة الدكتوراه (Candidate) في العلوم البيولوجية .

تزوجت من عالم الأغذية بيدرو ، ولم تنجب .

رحلاته إلى فلسطين :

زار بندلي الجوزي مسقط رأسه ثلاث مرّات ، وذلك في السنوات التالية : ١٩٠٩ ، ١٩٢٨ ، ١٩٣٠ م .

تقول ابنة الأستاذ بندلي (أنستسيا) في صدر إحدى رسائلها إلى ابن عمها نصري الجوزي^(١) : « لم يكن والدي قد تزوّج سنة ١٩٠٠ م ، وعند زيارته الأولى إلى مسقط

(١) نصري بن قسطندي الجوزي : ولد سنة ١٩٠٨ م في القدس ، حيث تلقى علومه الابتدائية والثانوية بمدرسة (سان جورج) ، يحمل دبلوم صحافة ، ومارس مهنة التعليم ما بين سنتي ١٩٣٢ و ١٩٤٨ م . لجأ إلى سورية سنة ١٩٤٨ م ، ولا يزال حياً مقيماً بمدينة دمشق .

عُيّن سنة ١٩٥٤ م مراقباً عاماً للمكتبة الأميركية في دمشق ، فراقب مطبوعات سنة ١٩٥٦ م ، في مكتب الإعلام الأميركي ، ثم أصبح رئيساً لقسم انتقاء الكتب الأميركية وترجمتها إلى اللغة العربية ، والإشراف على طباعتها .

كتب الأستاذ نصري عدداً من المسرحيات التمثيلية ، والقصص القصيرة ، منها : الحق يعلو ، فؤاد وليلى ، الشموع المحترقة ، صور من الماضي ، أشباح الأحرار ، حياة تحطمت ، عشاق التنايل ، أمة تطلب الحياة ، حفلة عشاء ، باسم الحداد مع هارون الرشيد ، معجون الحب ، على الباغى تدور الدوائر ..

وكتب للطلبة عشرات الفصول المسرحية أثناء قيامه بالتدريس والإدارة منها : جابر عثرات الكرام ، أنا لأحارب من أجل عمر ، عيد الأم ، ذكاء القاضي ، لأبيع أرضي أو تراث الأبناء ، الطرف الثلاث ، الوفاء ، عيد الجلاء ..

كما ساهم الأستاذ نصري في تأسيس النادي الرياضي العربي في القدس ١٩٢٥ - ١٩٣٠ م ، وجمعية الفنون والتمثيل ، وفرقة الجوزي التمثيلية الإذاعية .



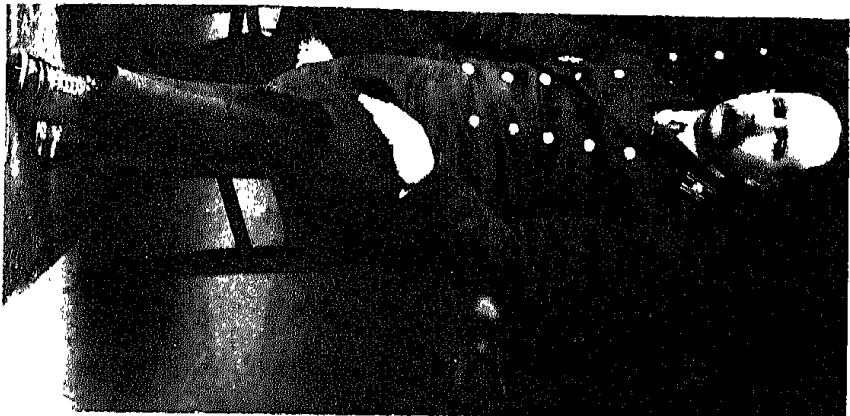
قلعة القدس سنة ١٨٣٩ م للرّسّام الاسكتلندي (روبرتس) .



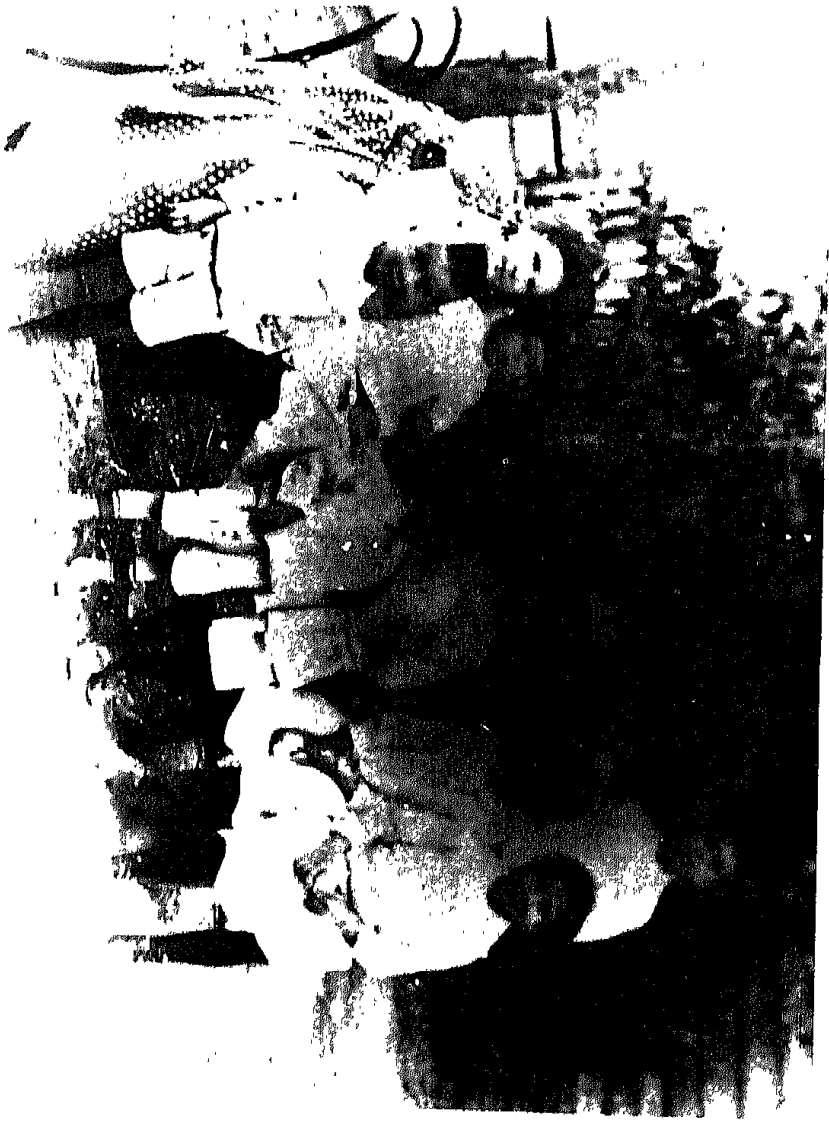
يوم عمل



جانب من مقهى شعبي



☆ الأستاذ بندلي الجوزي
في جامعة (قازان)
يرتدي لباس الأستاذية



☆ الأستاذ بندلي الجوزي
وزوجه وأبناؤهما
(صورة في قازان)

رأسه فلسطين ، كان يعتزم أن يبقى بين أهله وأصدقائه ، فقد بلغ الحنين به مبلغاً شديداً ، ولكن والدي ، لا يستطيع أن يعيش في جو مليء بالدسائس والعبوديّة « ، فعاد إلى قازان .

الزيارة الأولى (١٩٠٩ م) : أشرف بندلي في هذه الزيارة على بعثة علميّة لمدة سنة ، وكان كل أعضاء هذه البعثة العلميّة من الرُوس ، زارت فلسطين حباً في الاطلاع على معالمها الأثريّة ، ورغبة في معرفة البلاد التي نشأ فيها أستاذهم ، ولتعلم اللّغة العربيّة .

ومما يذكر ، أنّ السيّد قسطندي ، اغتم وجود أخيه بندلي بين ظهراي العائلة في القدس ، فطلب إليه أن يكون عَرَّاب^(١) ابنه نصري في المعموديّة ، وراح أفراد العائلة يفكّرون في الاسم الواجب إطلاقه على الطّفل ، فاقترحت أسماء أجنبيّة لا تمت إلى الواقع العربي بصلة ، فانبرى بندلي لهم - وهذا ما روته أخته - وقال : إلى متى سنظلمُ تبعاً ؟ إلى متى سنظلمُ في ركاب الإرساليّات حتّى في الأسماء ؟ نسبر في ركاب غبرنا من الشعوب ، ولدينا أسماء عربيّة رنانة !!؟! وسّمّاه (نصري) .

جاء في (الموسوعة الفلسطينيّة)^(٢) خبرٌ رواه الكاتب الرّوسي (تيودروف) في صحيفة (ريتش) ، قال فيها : اجتمعت ببعض أدباء القدس في منزل الخواجاجا بندلي الجوزي ، أستاذ الآداب العربيّة في كليّة قازان ، وكان معي الخواجاجا كراتشكوفسكي^(٣) - المستشرق الرّوسي - وكان قد جاء الشّرق في مهمّة علميّة ، فأقام في مصر وسوريّة وفلسطين لهذه الغاية ، سنة ونصف السنّة ، فأتقن اللّغة العربيّة ، وتخلّق بأخلاق

(١) عَرَّاب : الأب الرّوحي له .

(٢) الموسوعة الفلسطينيّة : ٦٢/٢ ، الطّبعة الأولى ١٩٨٤ م .

(٣) أجناطي يوليا كراتشكوفسكي : [١٨٨٣ - ١٩٥١ م] Ajnuij Julianovic Krackovskij ، يمدُّ أبرز المختصّين بالدراسات العربيّة من بين المستشرقين الرّوس ، ولد في مدينة فلنا Wilna ، عاصمة جمهوريّة لتوانيا ، انتقل والده بأسرته إلى طشقند ، وهنا في العاصمة الفكرية للمقاطعات الإسلاميّة أمضى أجناطي

العرب وعاداتهم ، أما الأدباء الذين أشرت إليهم ، فهم : الأستاذ خليل سكاكيني ، والشاعر الكاتب محمد إسعاف النشاشيبي ، وأرستقراطي من سلالة الفاتحين جميل الخالدي^(١)

وكان حديثاً بعضه بالفرنسيّة ، وبعضه بالإنكليزيّة ، وأكثره بالعربيّة ، وكان رفيقي المستشرق وصاحب المنزل يترجمان الحديث ، وكنت أسمع وأنا مسرور مرتاح ، حديث هؤلاء الشبان المتقدمين ذكاء وحماسة ووطنية ، وقد علمتُ أموراً كثيرة مما لا نعلمه نحن الأوروبيين عن هذه الأمة العظيمة بتقاليدها وتاريخها وآدابها ، ولا يخفى أن جمهور السّياح الأوروبيين إذا كتبوا شيئاً عن سوريّة وفلسطين ، إنما يلتقطون ذلك من أفواه الحوذيين^(٢) والحمالين والباعة المتجولين .

إلى أن يقول : كنتُ جالساً أسمع اللهجة العربيّة ، وكأني أسمع أنغاماً موسيقيّة جميلة ، يستشفُّ منها القوّة والعناد ، وكأنّ تلك الألفاظ نار تستعر حدّة .

ثمّ يقول : وبعد أن قضي هزيع^(٣) من الليل ، اقترحتُ على النّشاشيبي أن يسمعنا

= طفولته ، فتعلّم اللغة الأوزبكيّة ، وتركت الحياة في طشقند وإقليم التركستان أثراً عميقاً جتاً في نفس الفتى ، كان من شأنه أن يولد فيه النّزعة إلى الشرق والولوع باللّغات الإسلاميّة . وبعد خمس سنوات ، عادت الأسرة إلى بلدها الأصلي (فلنا) ، حيث بدأ أجناتي في تعلّم قراءة الرّوسيّة ، وكان جدّه قد جمع مكتبة غنيّة وضعها في ضيعة صغيرة له في الرّيف ، فولد ذلك شغف أجناتي بالاطّلاع واقتناء الكتب ، كما قال هو عن نفسه في تقرير بعنوان : (جولات في الشرق) ص ٤١٨

أمّا ثقافة أجناتي ودراسته العليا وأثاره ، فلها مكان آخر في هذه الأطروحة ، [انظر : موسوعة المستشرقين ، د . عبد الرّحمن بدوي ، طبعة : دار العلم للملايين - بيروت ، الطّبعة الأولى ١٩٨٤ ، صفحة ٣٢١ وما بعدها] .

(١) ستمترجمة هؤلاء الرّجال الأعلام في حينها .

(٢) حاذ إبلة يحوذها خوذاً : ساقها سوقاً شديداً ، [اللسان : حوذ] ، وتطلق على سائق العربية التي تجرّها الخيل .

(٣) هزيع : أي طائفة من الليل ، نحو ثلثه وربعه . [اللسان : هزيع] .

شيئاً من شعره ، فأنشدنا قصيدة في الحرِّيَّة (ذكرى فتاة مكدونيا)^(١) ، ارتختُ إليها كلَّ الارتياح ، وأكبرتُ المعنى العربي العظيم في اللَّفظ العربي الفخيم ، وختلتُ كأني أسمع أصوات جمهور لا فرد ، كان هذا الشَّاعر يقرأ قصيدته ، وفي كلِّ نبرة من نبراته معانٍ عظيمة ، وقد ظهر لي وهو يقرأ نشيطاً عنيداً متحمّساً ، هذا الشَّاعر عربي قبل كلِّ شيء ، مسلم ، ولكنه ممتزج مع إخوانه المسيحيين امتزاج الرّاح والماء .

أخطري اليوم في الرُّبوع اختيالاً لا تخافي من العدو اغتيالاً
لا تخافي من كيده لا تخافي إنَّ كيد العدو ولى وزالاً

إلى أن يقول :

إنَّ ذا العصرَ عصرُ علمٍ وبحث ليس فيه لجاهلٍ من هناء

الزيَّارةُ الثَّانيَّةُ : وكانت سنة ١٩٢٨ م ، بعد أن برَّح به الحنين إلى مسقط رأسه (القدس) في فلسطين ، وإلى عائلته وأصدقائه ، فشدَّ الرِّحال ، وجاء إلى القدس ليقم في بيت أخيه قسطندي^(٢) ، ولقد باشر وقتئذٍ بتأليف كتابه الهام الشَّهير : (من تاريخ الحركات الفكرية في الإسلام) ، وقد أهداه :

« إلى الشَّيبة العربيَّة النَّاهضة .

إلى الذين حرَّروا عقولهم من تأثير الخرافات الاجتماعيَّة والدينيَّة والقوميَّة^(٣) .
إلى أصحاب العقول السَّليمة والضَّائر الحيَّة .

(١) مكدونيا Mecédoine : بلاد في شبه جزيرة البلقان ، فتحها العثمانيون سنة ١٣٧١ م ، تقاسمها بعد الحرب العالميَّة الأولى كلُّ من بلغارية ، ويوغوسلافية ، واليونان .

(٢) قال لي الأستاذ نصري الجوزي : « كان عمي يشاركني في الغرفة التي أنام فيها » .

(٣) تحرير العقول من الخرافات الاجتماعيَّة أمر ضروري مقبول ، ونبذ الخرافات التي ليست من الدين بشيء أمر مقبول أيضاً ، أمَّا الخرافات القوميَّة فنقف أمامها متسائلين : ما الخرافات القوميَّة التي عناها الأستاذ ؟ أهي (الشُّوفيَّة) التي اشتقت من اسم نيقولا تشوفين Chauvin الذي كان معجباً بنابليون =

أهدي هذا الجزء من كتابي : (من تاريخ الحركات الفكرية في الإسلام) .
وقد وقف على طبع الكتاب الأستاذ خليل السكاكيني (شيخ الصعاليك) ،
وطُبع في مطبعة (بيت المقدس) - القدس في ١٠ آب (أغسطس) سنة ١٩٢٨ م .
وكانت أول شحنة من الكتاب قد أرسلت إلى المجاهد الفلسطيني محمد علي الطاهر ،
صاحب صحيفة (الشورى)^(١) ، والذي كان يقيم في القاهرة ، وكان عدد النسخ المرسلة
ثلاث مئة نسخة ، فبيع معظمها بعد زمن قصير ، فأخذت الصحف والمجلات تعلق
تعليقاتها حسب نظرتها سلباً أو إيجاباً .

يقول الأستاذ محمد علي الطاهر : كتب إلينا أن العلامة الفلسطيني الأستاذ بندلي
الجوزي قد وصل إلى باكو في الروسية ، وأخذ يباشر أعماله التدريسية في جامعتها ،
وينشغل الأستاذ الآن بوضع كتابه الثاني (الحركات الفكرية السياسية في الإسلام)
ليكون تمة لكتابه القيم : (من تاريخ الحركات الفكرية في الإسلام) ، الذي طُبع في
الصيف الماضي^(٢) .

وعُلفت صحيفة (الشورى) قائلة : إنه ليعزُّ على أبناء فلسطين حرمان وطن
الأستاذ مسقط رأسه من الانتفاع بعلمه وفضله ، لقد عاد الأستاذ إلى دار الغربية حزيناً

= ومتعلقاً به ، واستعملت هذه اللفظة لوصف الروح القومية المتطرفة الأنانية ، والتي ترى الشعوب كلها
دونها ؟ وهذا مقبول أيضاً ، أم تراه يعني القومية التي هي الانتماء إلى قوم يشعر بأنه جزء منهم يعيش
حاضرهم وأملهم وطموحهم .. ؟ وهذا غير مقبول ، لقد أثبتت الأحداث العالمية منذ مطلع القرن الحالي
أن القومية شيء موجود مقبول ، ضمن النظرة الإنسانية .

(١) التي كانت تصدر بالقاهرة .

(٢) لم يكتب الأستاذ بندلي تمة لكتابه : (من تاريخ الحركات الفكرية في الإسلام) .

كثيباً ، ولا شك ، وكيف لا يكتب ، ولا يجزن ، وهو يرى وطنه وقد أصبح نهياً مقسماً بين أطماع فئة طرأت تحم غير بلادها ، وتتصرف في غير دارها ؟!

لقد قام الأستاذ بندلي بنشاط واسع ضد الانتداب البريطاني ، مما حدا بالسلطات المنتدبة أن تطلب إليه أن يغادر البلاد ، إن فئات أربعاً حالت دون بقائه في القدس ، وهي :

- ١ - الانتداب البريطاني .
- ٢ - بعض الزعماء الفلسطينيين التقليديين .
- ٣ - الصهاينة المقيمون في فلسطين وخارجها .
- ٤ - والذين عدوا أفكار الأستاذ بندلي (التحررية) خطراً وبدعة من البدع ، عليهم أن يقفوا في وجه صاحبها ، وأن يحاربوها .

وأثناء إقامته في القدس ، أصبحت دار أخيه قسطندي - حيث إقامته - مركزاً لعدد من أساطين العلم والأدب والسياسة ، ومنهم : خليل السكاكيني ، وعادل جبر ، وإسعاف النشاشيبي ، وأحمد سامح الخالدي ، ومفتي الديار الفلسطينية الحاج أمين الحسيني^(١) ، وخليل بيدس ، ورفلة عبد النور ، وجريس الخوري أيوب ، وجورج خميس ، وفخري النشاشيبي ، وحسن صدقي الدجاني ، وراغب النشاشيبي .

(١) محمد أمين بن محمد طاهر بن مصطفى الحسيني : [١٨٩٣ - ١٩٧٤ م] زعيم فلسطين السياسي في عصره ، ولد وتعلم بالقدس ، وأقام سنتين بين الجامع الأزهر ودار الدعوة والإرشاد التي أنشأها محمد رشيد رضا بمصر ، وتخرج ضابطاً احتياطياً في اسطنبول ١٩١٦ م ، وعاد إلى القدس بعد الحرب العالمية الأولى ، انتخب ١٩٢٢ م مفتياً أكبر لفلسطين ، وكان من أوائل من نبه إلى خطر تكاثر اليهود في فلسطين بعد وعد بلفور ١٩١٧ م ، وجاء بلفور مع المندوب السامي البريطاني ١٩٢٥ م يريدان زيارة الحزم ، فنع دخولها ، ولم تقم حركة وطنية في فلسطين أو من أجلها إلا كان هو مسدبها في الخفاء أو في العلن ، دفن في بيروت إثر عملية جراحية ، له (مذكرات) ، (الأعلام ٤٥/٦) .

وكانت أهم الأبحاث التي تناولها الأستاذ بندي وناقشها :

- فكرة توحيد الصفوف ، والعمل يداً واحدة للوصول إلى أهداف الشعب الفلسطيني^(١) .

- توضيح خطر الصهيونية العالمية ومراوغتها للوصول إلى ما تريد تحقيقه .
- سياسة الحكومة البريطانية المتتوية ، والنّيّات السيئة المبيّنة للعرب .
- تأليف جمعيات ولجان شبيبيّة تستطيع أن تحرك دماً جديداً ، في الأوساط الشبيبيّة ، والشبابيّة ، والقوى الوطنيّة عامّة .

وكان يقول لوجهاء العمل الوطني في وجه الأخطار هذه : انسوا الخلافات وحبّ الكراسي ، وليتكم تعملون وتقلّلون من الثرثرة والكلام الفارغ ، كلّمكم يسعى لخدمة الوطن كما تقولون ، فلتكن أعمالكم المجدية إذاً في سبيل سموّ هذا الوطن ورفعته .

وأثناء إقامته هذه طلّب إليه أن يحاضر في معظم مدن فلسطين ، فكان يلبيّ النداء عن طيب خاطر ، فيضع رؤوس أقلام على ورقة صغيرة ، ويلقي خطاباته بصوت جهوريّ ، وبلهجة قويّة ، مندداً بكلّ قبيل في الحياة ، كالاستعمار ، والصهيونيّة ، والاستغلال .

وكان ابن أخيه الأكبر (صليبا) ينّبّه عمّه الأستاذ بندي إلى أنّ عيون المخابرات الحكوميّة له بالمرصاد ، إضافة إلى المخابرات الصهيونيّة التي كانت أتبع له من ظلّه ،

(١) التي من أهمها :

- إلغاء وعد بلفور والتخلّص من الانتداب البريطاني الذي من مهامّه تنفيذ وعد بلفور .
- إيقاف الهجرة اليهوديّة المتزايدة إلى فلسطين ، والتي تشكّل خطراً حقيقياً على مستقبل البلاد السياسي .
- تأكيد عروبة فلسطين وانتائها إلى الأمتة العربيّة في ماضيها وحاضرها ومستقبلها .
- النهوض بفلسطين علمياً وتقدماً نحو الحاق بموكب المدنيّة ، لما فيه خير الأرض والسكان .

فكان يغضب ويشور ، ويقول : لا بدّ من قول ما يجب أن يقال ، الشعب أعمى ،
وعلينا نحن أن نفتح له عيونه .

يقول ابن أخيه الأستاذ نصري الجوزي : كنت أرافقه في جلّه وترحاله ، وأثناء
إلقاء محاضراته في المدن والقرى ، وكنا دائماً نشاهد أعوان الإنكليز ، ومراسلي الصحف
والمجلات اليهودية ، أتبع لنا من ظلنا ، ولكن عمي كان يقول ما يريد قوله ، مهاجماً
بلباقة حيناً ، وبالتلميح حيناً آخر السلطات الحاكمة التي لا تراعي مصالح الشعب ،
حاضاً الشعب الفلسطيني أن يبقى منادياً أنه جزء من الأمة العربية ، ويسعى للموحدة
معها ، حاثاً أغنياء البلد أن يساعدوا على فتح المدارس الوطنية ، فالجهل عدو لدود
للسُّعوب (١) .

الزيارة الثالثة والأخيرة : وفي سنة ١٩٣٠ م كانت زيارة الأستاذ بندي الثالثة
- والأخيرة - لمسقط رأسه (القدس) ، فقام بنشاط واسع لتوعية أبناء الشعب
الفلسطيني ، على ما يحاك له في الخفاء ، ونبّه إلى المصير الذي ستؤول إليه فلسطين ،
إن لم يتداركها أبناؤها ، ويعملوا جادّين على سدّ الثغرات الواسعة القائمة وقتئذ ،
ويهبوا من ذلك السُّبات العميق الذي كانوا يغطّون فيه .

ويمكن القول : إن الأستاذ بندي خلال الزيارتين الأخيرتين ، الثانية سنة
١٩٢٨ م ، والثالثة سنة ١٩٣٠ م ، طرح الموضوعات التالية خلال لقاءاته ومحاضراته
وخطبه :

- ١ - أخطار الصهيونية وقوتها العالمية .
- ٢ - حضُّ الشعب على التعلّم للتخلُّص من القوى الرجعية .
- ٣ - إقامة زعامات من الشُّباب المثقّف ، زعامات هدفها الصّالح العام .
- ٤ - إتاحة الفرص للمرأة الفلسطينية كي تتعلّم وتساهم في بناء المجتمع ، والدِّفاع عن
أرض الوطن .

(١) من مقابلة مع الأستاذ نصري الجوزي بدمشق ، بتاريخ : السُّبُت ٩ كانون الأوّل (ديسمبر) ١٩٨٩ م .

٥ - تنبيه الرأى العام الفلسطيني إلى الوسائل والطرق الاستعمارية التي كان يستعملها الإنكليز في سياستهم ، وهم لا يتورعون عن التضحية بكل القيم الإنسانية ، في سبيل مصالحهم الاستعمارية .

٦ - نبذ الخلافات والمشاحنات بين العائلات والأحزاب ، والعمل صفياً واحداً متراصاً من أجل الصالح العام .

أصدقاء بندلي الأعلام :

وفي رحلة بندلي سنة ١٩٠٩ م إلى الشرق العربي ، تعرّف على كل من :

خليل السكاكيني : [١٨٧٨ - ١٩٥٣ م]^(١) : أديب ومربّ فلسطيني ، ولد في مدينة القدس ، وتلقّى تعليمه في مدارسها ، وقد التحق بعد تخرّجه من مدرسة صهيون الإنكليزية بكلية الشباب (الكلية الإنكليزية فيما بعد) ، وأنهى سنة ١٨٩٣ م دراسته فيها ، ثم مارس التعليم في القدس ، وانتسب إلى جمعية زهرة الآداب التي تأسست سنة ١٨٩٨ م برئاسة داود الصيداوي .

غادر السكاكيني فلسطين إلى نيويورك سنة ١٩٠٧ م ليتابع الدراسة ، ولكن سوء الظروف المعيشية حالت دون ذلك ، فعاد إلى فلسطين بعد سنة واحدة ، وعمل بعد عودته في تنقيح مسودات مجلة الأصمعي لحنا عيسى ، وصحيفة القدس لجورج حبيب حنايا ، كما عمل في تدريس اللغة العربية للأجانب .

انتسب إلى جمعية الاتحاد والترقي بالقدس ، وأسس جمعية الإخاء الأرثوذكسي ، ودعا إلى مقاطعة رجال البطريركية الأرثوذكسية اليونانيين لطمسهم حقوق الطائفة الأرثوذكسية في فلسطين ، ممّا حمل البطريرك اليوناني زميانوس على حرمانه من الكنيسة .

(١) اللوافق : [١٢٩٥ - ١٣٧٢ هـ] .

وقد أسّس المدرسة الدُستوريّة في القدس سنة ١٩٠٩ م بالاشتراك مع علي جار الله وجميل الخالدي وأفتيم مشبّك ، وكان غرضها تنمية الوعي الوطني بين الطُّلاب وتهيئة معلّمين وطنيين للمستقبل .

وفي سنة ١٩١٤ م عُيّن عضواً في إدارة المعارف بلواء القدس ، فبذل جهوده كلّها في سبيل إصلاح مناهج التّدريس وجهاز المدرّسين . وقد قامت السُّلطات العثمانيّة بإبعاده عن القدس ، وإيداعه السّجن في دمشق ، ثمّ أطلقت سراحه في كانون الثّاني (يناير) ١٩١٨ م بكفالة ماليّة ، وانضمّ مع بعض رفاقه إلى الثّورة العربيّة الكبرى عند إعلانها^(١) ، وقصد الأمير فيصل^(٢) ، ثمّ رحل إلى مصر حيث أقام فيها إلى أوائل سنة ١٩١٩ م ، ثمّ عاد إلى القدس .

تولّى بعد عودته إدارة دار المعلّمين في القدس ، ولكنه قدّم استقالته بعد تعيين هربرت صموئيل^(٣) مندوباً سامياً لبريطانية في فلسطين ، ثمّ غادر القدس إلى القاهرة سنة ١٩٢٠ م تلبية لدعوة الجمعية السّوريّة الأرثوذكسيّة ، ليتولّى إدارة التّعليم العربي في مدرسة العبيديّة .

وفي سنة ١٩٢٢ م عاد إلى القدس ومارس مهنة الصّحافة ، فنشر المقالات في المقتطف والهلال والسياسة المصريّة ، وتولّى منصب أمين سرّ اللّجنة التّنفيذيّة للمؤتمر العربي الفلسطيني^(٤) .

(١) أعلنت الثّورة العربيّة الكبرى في الحجاز بتاريخ ١٠ حزيران (يونيو) ١٩١٦ م ، من قبل الشّريف حسين بن علي .

(٢) فيصل بن الشّريف حسين : [١٨٨٣ - ١٩٣٣ م] ، نودي به ملكاً على سوريّة ١٩٢٠ م ، ثمّ جلس على عرش العراق سنة ١٩٢١ م ، توفّي في سويسرة ، ودفن في بغداد .

(٣) أول مندوب سام بريطاني (صهيوني) على فلسطين ١٩٢٠ م .

(٤) مؤتمر تشيلي عَقِدَ باسم عرب فلسطين سبع دورات ما بين ١٩١٩ وسنة ١٩٢٨ م ، (الموسوعة الفلسطينيّة ٣٦٨/٤) .

وقد عُيِّنَ مفتشاً عاماً للغة العربيّة في إدارة معارف فلسطين سنة ١٩٢٦ م ، ثمّ عضواً في المجمع العلمي العربي بدمشق ، وألقى خلال سنة ١٩٣٢ م عدداً من المحاضرات في بيروت عن أصول التّعليم في لبنان ، بتكليف من الجامعة الأميركيّة .

أسّس في القدس سنة ١٩٣٨ م كليّة النهضة ، بالاشتراك مع إبراهيم شحادة الخوري ، ولبيب غلميّة ، وشكري حرامي ، وانتخب عضواً في مجمع اللّغة العربيّة بالقاهرة في مطلع سنة ١٩٤٨ م .

توفّي في القاهرة سنة ١٩٥٣ م ، وأطلق اسمه على إحدى مدارس القدس ، وعلى أحد شوارعها تخليداً لذكراه .

كان السّكاكيني في طليعة الرّواد الذين دافعوا عن اللّغة العربيّة في وجه الهجمات التي كانت تُشنُّ عليها ، ودعا إلى تقديسها والذّود عنها ، وهو يقول في هذا الصّدّد :

« اللّغة قبل كلّ شيء هي العنصر الذي نقيم به أجداد الأُمّة ، وعلينا أن نعلّم الولد كرامة أُمته ومجدها في الكلمات العربيّة ليقراها ويشعر بأنّه يشرف على مجده وعزّته القوميّة من خلال الحروف والكلمات » .

وله عدد من المؤلّفات المطبوعة منها : الاحتذاء بحذاء الغير (١٨٩٦ م) ، وفلسطين بعد الحرب الكبرى (١٩٢٠ م) ، ومطالعات في اللّغة والأدب (١٩٢٥ م) ، وكذا أنا يا دنيا - يوميات السّكاكيني (١٩٥٥ م) ، إلى جانب عدد من الكتب المدرسيّة مثل : الجديد في القراءة العربيّة (أربعة أجزاء) ، والدليل الأوّل والثّاني في تعليم اللّغة العربيّة ، إضافة إلى ترجمة كتاب : (معالم التّاريخ القديم) ، بالاشتراك مع وصفي عنبتاوي وأحمد خليفة سنة ١٩٤٢ م^(١) .

(١) الموسوعة الفلسطينيّة : ٣٧٠/٢ ، عن :

(خليل السّكاكيني : حياته ، مواقفه ، آثاره) للأستاذ يوسف حداد ، بيروت ، طبعة سنة ١٩٨١ م .

ومَّا يذكر أنَّ خليل السَّكاكيني وعادل جبر رافقا بندي الجوزي إلى مدينة القاهرة ، للتَّعرُّف على الأوضاع القائمة هناك .

محمد إسماعيل النَّشاشيبي : [١٨٨٥ - ١٩٤٨ م ^(١)] . أديب بَحَاث ، من أعضاء المجمع العلمي العربي بدمشق ، انفرد بأسلوب من البيان ، ونُعتَ بأديب العربيَّة ، ولد وعاش في القدس ، وتعلَّم في المدرسة البطريركيَّة ببيروت ، وكتب كثيراً في الصُّحف والمجلاَّت ، ونظم الشعر ، ثمَّ لم يرضَ عن طبقتة في الشعر فتركه ، وورث عن أبيه ثروة واسعة ، وعاش في التَّعلِّم سنين قلائل ، وعيَّن مُفتِّشاً للُّغة العربيَّة في معارف فلسطين ، وكان يكثر من زيارة القاهرة ، حبَّبا إليه أصدقاء له فيها ، منهم شاعرها الأكبر أحمد شوقي ^(٢) ، وجاءها ليطلع بعض كتبه فتوفِّي فيها .

كان النَّشاشيبي عصبي المزاج ، أبيِّ النَّفس ، حاضر البديهة ، متَّقد الذَّهن ، فيه انقباض وانكماش عمَّن لا يألف .

له من الكتب : (الإسلام الصَّحيح) ، و (نقل الأديب) نُشر أكثره في مجلَّة (الرِّسالة) ، و (أمثال أبي تمام) ، و (كلمة في سير العُلَم وسيرتنا معه) ، و (التَّفاؤل والأثريَّة في كلام أبي العلاء المعرِّي) ، و (كلمة في اللُّغة العربيَّة) .

ومحاضرات نشرها في رسائل عن : أحمد شوقي ، أمين الرِّيحاني ^(٣) ، صلاح السَّديين

(١) الموافق : [١٣٠٢ - ١٣٦٧ هـ] .

(٢) أحمد شوقي بن علي بن أحمد شوقي : [١٨٦٨ - ١٩٣٢ م] : أمير الشعراء ، مولده ووفاته بالقاهرة ، أرسله الخديوي توفيق سنة ١٨٨٧ م إلى فرنسا ، فتابع دراسة الحقوق في (مونبلييه) ، من أثاره : الشوقيَّات ، ودول العرب ، ومصرع كليوباترة ، ومجنون ليلى ، وقبيز ، وعلي بك ، وعندراء الهند .. [الأعلام ١٣٦/١] .

(٣) أمين الرِّيحاني : [١٨٧٦ - ١٩٤٠ م] : كاتب وخطيب ، يُعدُّ من المؤرِّخين ، ولد بالفريكة (من قرى لبنان) ، عضو مراسل في المجمع العلمي العربي (١٩٢١) ، من كتبه : الرِّيحانيَّات ، ملوك العرب ، تاريخ نجد الحديث ، فيصل الأوَّل ، المغرب الأقصى ، الثَّورة الفرنسيَّة ، النُّكبات ، التَّطوُّر والإصلاح ، زنبقة الغور .. [الأعلام ١٨/٢] .

الأيوبي^(١) ، ومصطفى الغلاييني^(٢) ، إبراهيم هنانو^(٣) ، والعراق في سبيل العربيّة ، وله مؤلّفات أخرى كانت في بيته بالقدس قبل استيلاء اليهود عليه ، منها : حماسة النّشاشيبي ، وجنّة عدن ، والأمة العربيّة^(٤) .

جمّيل الخالدي : [١٨٧٦ - ١٩٥٢ م^(٥)] : واحد من المرّيين والرّواد في الصّحافة الفلسطينيّة ، ساهم مع نخبة من المثقّفين في تأسيس المدرسة الدّستوريّة عام ١٩١٠ م في القدس ، وهي أوّل مدرسة عربيّة حديثة في فلسطين أسّست لتحسين أوضاع العرب التّعليميّة المختلفة أيّام الحكم العثماني ، وترأس تحرير مجلّة الدّستور في عام ١٩١٣ م خلفاً لمؤسّسها خليل السّكاكيني مدير المدرسة ، وكانت تصدر مرّة واحدة في الأسبوع ، وقيل مرّة واحدة في الشهر ، وكان الهدف من إنشاء المجلّة تدريب الطّلاب على الكتابة الصّحفيّة التي كانت في تلك الفترة من أهمّ الوسائل الجماهيريّة للتّعبير عن الرّأي العام الوطني ، ومقاومة الحكم العثماني ، والحركة الصّهيونيّة التي كانت قد بدأت تتغلغل في فلسطين للاستيلاء على الأراضي العربيّة .

(١) صلاح الدّين الأيوبي : يوسف بن أيوب بن شاذي : [١١٣٧ - ١١٩٣ م] ، من أشهر ملوك الإسلام ، وحّد مصر وبلاد الشّام ، وانتصر على الصّليبيّين في معركة حطين ١١٨٧ م ، وحرّر القدس في السنّة ذاتها ، [الأعلام ٢٢٠/٨] .

(٢) مصطفى الغلاييني : [١٨٨٦ - ١٩٤٤ م] : من الكتاب والخطباء ، ومن أعضاء المجمع العلمي العربي ، مولده ووفاته في بيروت ، تعلّم بها وبمصر ، وتلمذ للشيخ محمّد عبده ، من كتبه : نظرات في اللّغة والأدب ، عظة النّاشئين ، الإسلام روح المدنيّة (في الرّدّ على كرومر) ، ورجال المعلّقات العشر ، جامع الدّروس العربيّة ، وديوان الغلاييني . [الأعلام ٢٤٤/٧] .

(٣) إبراهيم هنانو : [١٨٦٩ - ١٩٣٥ م] : من كبار المجاهدين في الثّورة السوريّة ، ولد في بلدة (كفر حارم) غربي حلب ، وتوفّي بحلب [الأعلام ٤٢/١] .

(٤) الأعلام ٣٠/٦ ، وفي مجلّة المجمع العلمي العربي [٢٩٤/٢٣] ترجمة واسعة له .

(٥) الموافق : [١٢٩٢ - ١٣٧١ هـ] .



☆ صورة التقطت في القدس بتاريخ ١٣ نيسان ١٩١٠ م ، من اليسار :
الأستاذ بندلي الجوزي ، ثم إسعاف النشاشيبي ، فجميل
الخالدي (واقفاً) ، و خليل السكاكيني على يمين الصورة

شجّع جميل الخالدي الطُّلاب على كتابة الموضوعات السِّياسية الوطنيّة على الرِّغم من كون المجلّة المدرسيّة علميّة أدبيّة ، وقد ساهمت المجلّة في تخريج عدد من طلاب المدرسة الذين برزوا في الحركة الوطنيّة والحقل الصحفي في زمن الانتداب البريطاني على فلسطين ، وتحديّ الخالدي وطلابه السُّلطات العثمانيّة سنة ١٩١٣ م لإغلاقها جريدة فلسطين الوطنيّة^(١) ، التي كانت آنذاك تتزعم مع جريدة الكرمل^(٢) مهاجمة الحكومة ، لتهاونها مع الحركة الصُّهيونيّة ، وأصدر طلاب المدرسة عدداً واحداً من جريدة فلسطين تضامناً معها .

انتظم الخالدي أثناء الحرب العالميّة الأولى في الجيش العثماني ، وبقي في يافا طوال سنيّ الحرب المذكورة ، وفي عهد الانتداب البريطاني عُيِّن مفتشاً للمعارف ، وعمل أثناء ذلك على تأسيس المدارس الابتدائيّة في القرى العربيّة ، وفي سنة ١٩٣٥ م أُحيل على التّقاعد ، وتوفي بغزّة^(٣) .

عادل جبّر : [١٨٨٥ - ١٩٥٣ م]^(٤) .

أديب ولغوي وصحفي ، مسقط رأسه يافا ، من أسرة تمتنهن التّجارة ، أتمّ دروسه الابتدائيّة والثانويّة في مدينته ، ثمّ رحل إلى الأستانة لدراسة التّجارة ، ثمّ رحل إلى جنيف لدراسة العلوم السِّياسيّة والاقتصاديّة ، حيث حصل على البكالوريوس ، ثمّ تابع تحصيله في باريس .

عاد إلى فلسطين قبل نهاية الحرب العالميّة الأولى ، ودرّس في الكليّة الصّلاحيّة^(٥)

(١) صدرت ما بين : ١٩١١ و ١٩١٣ م .

(٢) صدرت ما بين : ١٩١٠ و ١٩١٤ م .

(٣) الموسوعة الفلسطينيّة ٧٤/٢

(٤) الموافق : [١٣٠٢ - ١٣٧٢ هـ] .

(٥) أنشأها صلاح الدّين الأيوبي بالقرب من سور القدس من جهة الشّمال بباب الأسباط ، ووقفها على فقهاء الشّافعيّة سنة ١١٩٢ م .

في القدس ، وتولّى التّحرير في جريدة التّرقّي في يافا سنة ١٩٠٩ م ، والتي لم تصدر إلاّ مدّة ستّة أشهر .

وبعد الاحتلال البريطاني عُيّن مساعداً لمدير المعارف من سنة ١٩١٨ م وحتى سنة ١٩٢١ م ، ثمّ استقال ، وعيّن في المجلس الإسلامي الأعلى مديراً للمتحف الإسلامي ، ومكتبة المسجد الأقصى ، فكتب دليلاً للمتحف ، ثمّ اشترك مع خير الدين الزركلي وخالد الدّزدار في إصدار جريدة الحياة ، من سنة ١٩٣٠ م ، وحتى ١٩٣١ م ، واشترك في تحرير مجلّة الاقتصاديات العربيّة مع فؤاد سابا .

وكان عضواً في مجلس بلدية القدس مدّة ، وعضواً في المجلس الاستشاري لدائرة الآثار ، وعضواً في مجلس التّعليم العالي ، وبعد النّكبة سنة ١٩٤٨ م سكن مدينة أريحا ، وعيّن سنة ١٩٥١ م عضواً في مجلس الأعيان الأردني .

من آثاره ترجمة كتاب (روح القوميّة) لماكس نوردو^(١) .

أغنائي يولييانوفتش كراتشكوفسكي : [١٨٨٣ - ١٩٥١ م]

«Ignaj Julianovic Krackovskij»

قابل الأستاذ بندي الجوزي أغنائي يولييانوفتش كراتشكوفسكي في بيروت سنة ١٩٠٩ م ، وكنا قد تحدّثنا في حاشية سابقة عن ولادة كراتشكوفسكي وطفولته ودراسته في سنيّه الأولى ، ونتابع هنا سيرته العلميّة العُليا بما يلي :

التحق كراتشكوفسكي سنة ١٩٠١ م بكلّيّة اللّغات الشّرقية في جامعة سان بطرسبرغ (لينينغراد حالياً) ، فبدأ بدراسة اللّغة العبريّة على يد كولوڤكوف Kolovecov ، واللّغة الحبشيّة على يدي تورايف Turayev ، ثمّ أشمّدت Schmidt ، كما حضر دروس زوكوفسكي Zukovski في اللّغتين الفارسيّة

(١) الموسوعة الفلسطينيّة ١٤٨٣ ، عن : (من رجال الفكر والأدب في فلسطين) ليعقوب العودات ، عمّان ١٩٧٦ م .

والتركيّة التّاريخيّة ، ودرس تاريخ الشرق الإسلامي عند المؤرّخ الروسي بارتولد Barthold ، وتاريخ الأدب العام عند فسلوفسكي Vesslovskij ، ومع أنطون خشّاب^(١) تدرب على لغة التّخاطب العبريّة بلهجة شاميّة .

وبرز كراتشكوفسكي في دراسته الجامعيّة ، التي أنّهاها برسالة عن (خلافة المهدي العباسي^(٢) وفقاً لمصادر عربيّة) ، وهذا حصل على دبلوم من الطّبقة الأولى .

ونصحّه شيخ المستشرقين الروس ، البارون فكتور رومانوفتش روزن Viktor Rosen صاحب الفضل الأكبر على الاستشراق في روسية ، نصحه باختيار مهنة التّدريس في الجامعة ، وعاد إلى العمل في مخطوط ممتاز كان ضمن مجموعة مخطوطات إيتالنسكي Italinskij ، هو ديوان الأخطل ، الشّاعر الأموي الكبير^(٣) ، وكانت الثّمرة الأولى للاهتمام بديوان الأخطل بحثاً بعنوان : (الخمر في قصائد الأخطل) . كذلك قام - تحت إشراف أستاذه روزن - بكتابة بحث عن شعر أبي العتاهية^(٤) ، وكتب رسالة للحصول على الماجستير بعنوان : (أبو الفرج الوأواء الدّمشقي^(٥) : دراسة لخصائص إنتاجه الشعري) ، ولإعداد هذه الرّسالة راح يتردّد على المتحف الآسيوي في سان بطرسبرغ ، وكان تابعاً للأكاديميّة الروسيّة للعلوم ، وكان ولا يزال يحتوي على مجموعة

(١) أنطون خشّاب : لبناني من طرابلس الشّام ، كان معيداً للعربيّة .

(٢) المهدي : أبو عبد الله ، محمد بن المنصور ، ثالث الخلفاء العباسيين في بغداد ، كان جواداً ممدّحاً ، محبباً إلى الرّعيّة ، توفّي سنة ١٦٩ هـ . (تاريخ الخلفاء) للحافظ جلال الدّين السيوطي ، ص : ٢٧١ ، الطّبعة الأولى ١٩٥٢ م ، المكتبة التّجاريّة الكبرى - مصر .

(٣) الأخطل : غياث بن غوث بن الصّلت : [٦٤٠ - ٨٠٧ م] ، من بني تغلب ، شاعر مصقول الألفاظ ، في شعره إبداع ، اشتهر في عهد بني أميّة بالشّام ، له ديوان شعر مطبوع ، [الأعلام ١٢٢/٥] .

(٤) أبو العتاهية : إسماعيل بن القاسم بن سويد العميني القنزي : [٧٤٨ - ٨٢٦ م] ، شاعر مكثّر ، سريع الخاطر ، في شعره إبداع ، [الأعلام ٣٢١/١] .

(٥) الوأواء الدّمشقي : محمّد بن أحمد الغسّاني [ت ٩٩٥ م] شاعر مطبوع ، حلّو الألفاظ ، في معانيه رقة ، [الأعلام ٣١٢/٥] .

ممتازة من المخطوطات العربيّة والفارسيّة ، كان الفضل الأكبر في تنظيمها يرجع إلى فكتور روزن .

ثمّ أتجه إلى دراسة المتنبيّ^(١) وشرح المعريّ^(٢) على ديوان المتنبيّ وعنوانه : (مُعْجَز أحمد) ، وكان مخطوطاً في مكتبة منشن (ميونخ) .

كذلك عني ، في الفترة نفسها ، بالعلاقات بين الآداب المسيحيّة والآداب الإسلاميّة في الشّرق ، كما عني بالأدب العربيّ المسيحيّ بعامة ، وبحث في ترجمات الكتاب المقدّس إلى العربيّة التي تمّت في عهد الخليفة المأمون^(٣) .

وفي ١٩٠٧ م اجتاز الامتحان الشّفوي للتأهيل للتدريس في الجامعة ، وعيّن في هيئة التدريس بجامعة سان بطرسبرغ .

وفي صيف سنة ١٩٠٨ م ، وبفضل توصية من أستاذه روزن الذي توفّي في كانون الثّاني (يناير) ١٩٠٨ م ، قام كرتشكوفسكي برحلة إلى أديسا^(٤) ، ومنها إلى اسطنبول ثمّ أزمير ، ومضى إلى سوريّة ولبنان ، وانتهى به المطاف إلى مصر ، وقد قضى في لبنان شتاءين كان في أثناءهما يحضر دروساً في كليّة اليسوعيّين ، واستطاع في هذه الفترة أن يتقن لغة التّخاطب باللّهجة اللّبنانيّة ، وأن يتابع قراءة الصّحف المحليّة ، وأن يطّلع على الأدب العربيّ المعاصر ، وخصوصاً اللّبنانيّ منه ، وعقد أواصر صداقة مع بعض أدباء لبنان ، نذكر منهم أمين الريحاني ، الذي ترجم له مجموعة من القصائد والقصص إلى

(١) المتنبيّ : أبو الطيّب أحمد بن الحسين [١٩١٥ - ٩٦٥ م] الشّاعر الحكيم ، وأحد مفاخر الأدب العربيّ ، [الأعلام ١١٥/١]

(٢) المعريّ : أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان التّنوخيّ : [٩٧٣ - ١٠٥٧ م] شاعر فيلسوف ، ولد ومات في معرّة النّعمان .

(٣) المأمون العبّاسيّ : عبد الله بن هارون الرّشيد : [٧٨٦ - ٨٣٣ م] سابع الخلفاء من بني العبّاس في العراق ، وأحد أعظم الملوك ، في سيرته وعلمه وسعة ملكه ، [الأعلام ١٤٢/٤] .

(٤) أوديسا (Odessa) مرفأ على البحر الأسود ، في أوكرانيا (الاتّحاد السّوفياتي) .

الرُّوسِيَّة في مجلِّدين ، كما تعرَّف إلى الأب لويس شيخو اليسوعي^(١) ، وإلى هنري لامانس^(٢) ، وإلى رونزال Ronzevalle الذي كان يهتمُّ باللَّهجات العاميَّة العربيَّة ، وفي لبنان أيضاً التقى بعضَ المستشرقين المارِّين هناك ، نذكر منهم مارك لدزبرسكي Lidzbarski المختص في النقوش السَّامِيَّة ، وجوتهيل Gottheil المتخصِّص في اللُّغات السَّامِيَّة ، وبيترز Peters المستشرق البلجيكي .

كذلك انعقدت أواصر الصَّدَاقَة بينه وبين محمَّد كُرْد علي ، رئيس المجمع العلمي العربي بدمشق ، ومع جرجي زيدان الصَّحفي والرَّوائي التَّاريخي^(٣) .

وفي مصر كان يديم التَّردُّد على قسم المخطوطات بدار الكتب المصريَّة ، وعلى مكتبة الجامع الأزهر ، وهنا في مكتبة الجامع الأزهر وجد رسالة نحوِيَّة في الإعراب من تأليف أبي العلاء المعرِّي ، وفي هذه الرِّسالة يهاجم أبو العلاء المعرِّي تصوُّر الفقهاء والمفسِّرين للملائكة ، وقد أمضى كراتشكوفسكي قرابة عشرين عاماً في دراسة هذه الرِّسالة ، المعروفة باسم (رسالة الملائكة) ، وقد نشرها سنة ١٩٣٢ م ضمن منشورات المعهد الشرقي ، وقد نشرها مرَّةً أُخرى محمَّد سليم الجندي^(٤) في دمشق سنة ١٩٤٤ م .

(١) لويس شيخو : [١٨٥٩ - ١٩٢٧ م] منشئ مجلَّة (المشرق) في بيروت ، وأحد المؤلِّفين المكثريين ، ولد بماردين بالجزيرة السُّوريَّة الفراتيَّة ، وانتقل إلى الشَّام يافعاً . استمرَّ يكتب أكثر مقالات (المشرق) مدَّة خمس وعشرين سنة ، وكان همه في كلِّ ما كتب - أو في معظمه - خدمة طائفته ، من تصانيفه : المخطوطات العربيَّة لكُتَّبة النُصْرانيَّة ، ومجاني الأدب ، شعراء النُصْرانيَّة ، النُصْرانيَّة وآدابها بين عرب الجاهليَّة ، والآداب العربيَّة في الرُّبع الأوَّل من القرن العشرين .. [الأعلام ٢٤٦٥] .

(٢) هنري (أو هنريكس) لامانس [١٨٦٢ - ١٩٣٧ م] مستشرق بلجيكي ، راهب يسوعي يفتقر افتقاراً تاماً إلى النُّزاهة في البحث والأمانة في نقل النُّصوص وفهمها ، جاء إلى بيروت في صباه وبدأ حياة الرُّهبنة في سنة ١٨٧٨ م ، ولما توفِّي لويس شيخو في ١٩٢٧ م ، خلفه لامانس على إدارة مجلَّة (المشرق) . [موسوعة المستشرقين ، ص : ٣٤٧] .

(٣) جرجي زيدان : [١٨٦١ - ١٩١٤ م] منشئ مجلَّة الهلال بمصر ، وصاحب التُّصانيف الكثيرة ، شرد به الخيال كثيراً في رواياته عن تاريخ الإسلام ، فنُصِّدَتْ مافيهما جميعاً في كتابي : (جرجي زيدان في الميزان) .

(٤) محمَّد سليم بن محمَّد تقي الدِّين الجندي : [١٨٨١ - ١٩٥٥ م] شاعر ، عالم بالأدب ، له اشتغال بالتَّاريخ ، =

ومن ذلك الحين اهتم كراتشكوفسكي بجمع كل مخطوطات أبي العلاء المعري بوساطة التصوير الفوتوغرافي ، كما اهتم بدراسة أبي العلاء المعري ، ومن ثمرات أبحاثه في هذا المجال بحث بعنوان : (في نشأة وتأليف رسالة الغفران لأبي العلاء المعري) (١) ، كذلك اكتشف في مجموع رسائل مخطوطة ، رسالة بعث بها المعري إلى الوزير الفاطمي أبي منصور صدقة بن يوسف الفلاحي في مصر .

وهكذا أمضى كراتشكوفسكي عامين في مصر ولبنان ، أفاد خلالها كل الإفادة ، كما وجد رعاية خاصة من أحمد تيمور باشا (٢) .

وعاد إلى بطرسبرغ ، فتولّى إدارة مكتبة معهد روزن للغات الشرقية في جامعة بطرسبرغ ، وفي الوقت نفسه كان يقوم بالتدريس ، وصار عضواً في جمعية الفيلولوجيين الجديدة ، وسكرتيراً للقسم الشرقي من جمعية الآثار التي كان عضواً فيها منذ سنة ١٩٠٨ م ، وفي الوقت نفسه صار عضواً في اللجنة الخاصة بشؤون التعليم في مدارس جمعية فلسطين في سورية ولبنان وفلسطين .

وفي صيف سنة ١٩١٤ م قام بأخر رحلة له في الخارج لدراسة المخطوطات الموجودة في هله وليبزغ ، وليدن (٣) ، وفي ليدن اهتم بالبحث في مخطوطات المعري ، ودراسة

= من أعضاء المجمع العلمي العربي ، ولد ونشأ في معرة النعمان وهاجر مع أبيه إلى دمشق ، استهواه منذ نشأته شعر أبي العلاء ونثره .

(١) أبو العلاء المعري : أحمد بن عبد الله ، (مرّت ترجمته في حاشية سابقة) .

(٢) أحمد بن إسماعيل بن محمد تيمور : [١٨٧١ - ١٩٣٠ م] عالم بالأدب ، باحث ، مؤرخ مصري ، من أعضاء المجمع العلمي العربي ، مولده ووفاته بالقاهرة ، جمع مكتبة قيّمة ، من كتبه : التصوير عند العرب ، وتصحيح لسان العرب ، وتصحيح القاموس المحيط ، وضبط الأعلام ، ولعب العرب ، وذيل طبقات الأطباء .. (الأعلام ١/١٠٠) .

(٣) هله Halle : مدينة ألمانية فيها جامعة رأسها بروكلان ١٩١٠ وحتى ١٩٣٢ م ، وليبزغ : مدينة ألمانية أيضاً إلى الجنوب الشرقي من مدينة هله ، وليدن : Leiden مدينة في جنوبي هولندا ، شهيرة بمأهدها العلمية .

(رحلة مكاريوس بطريك أنطاكية) ، وقد كتب عن هذه الرحلة بحثاً نُشِرَ في موسكو ولينينجراد سنة ١٩٤٩ م ، يقع في أربع عشرة صفحة .

وعندما تولّى أولدنبرغ - وهو مختص في السنسكريتية - إدارة المتحف الآسيوي في بطرسبرغ ، جعل منه مركزاً للدراسات الشرقية مزدهراً ، وقد كلف كرتشكوفسكي بترتيب عدد من المخطوطات الشرقية تبلغ قرابة ألف مخطوط نقلت من القوقاز إلى بطرسبرغ ، وبقي كرتشكوفسكي يفحص هذه المخطوطات طوال خمس سنوات ، وقد أضيف إليها أربعون مخطوطاً ، معظمها وحيد ، جاء بها البطريرك جريجوار الحداد^(١) من أنطاكية في سنة ١٩١٣ م إلى قيصر روسية ، كذلك نظم المخطوطات التي جمعها فلاديمير إيفانوف Vladimir Ivanov من إقليم التركستان خصوصاً من مدينة بخارى .

وبعد ثورة ١٩١٧ م ، صار كرتشكوفسكي مدرساً في جامعة لينينجراد (بطرسبرغ سابقاً) ، وبمناسبة الاحتفال بمرور مئة سنة على إنشاء المتحف الآسيوي^(٢) ، عُيِّن كرتشكوفسكي سكرتيراً لكلية اللغات الشرقية بالجامعة ، وأستاذاً ذا كرسي بها سنة ١٩١٨ م ، وبمناسبة مرور مئة سنة على تأسيس جامعة لينينجراد في ١٩٢٠ م ، فُكِّرَ كرتشكوفسكي في كتابة تاريخ لكرسي اللغة العربية بالجامعة ، وترجمة حياة من تولوه من الأساتذة ، ومنهم : ديمانج^(٣) Demange ، وهو فرنسي ، وسنكوفسكي Senkovski البولندي الذي اشتهر باسم مستعار هو البارون برمبيوس^(٤) Brambeus ، والشيخ محمد عياد الطنطاوي^(٥) ، وقد أفرد له كرتشكوفسكي ترجمة مسهبة .

(١) كتب عن هذه الرحلة بحثاً نُشِرَ في موسكو ولينينجراد سنة ١٩٤٩ م .

(٢) أسسه فرين Fröhn - وهو ألماني من روستوك - سنة ١٨١٨ م .

(٣) من سنة ١٨١٩ إلى ١٨٢٢ م .

(٤) من سنة ١٨٢٢ إلى ١٨٤٧ م .

(٥) من سنة ١٨٤٧ إلى سنة ١٨٦١ م .

وأسهم كرتشكوفسكي في مجموع الأدب العالمي التي كان يشرف عليها مكسيم غوركي^(١) ، الأديب الروسي العظيم ، واستمرّ يشارك فيها حتى سنة ١٩٢٥ م ، وقد أسهم - من بين منشورات هذه المجموعة - بترجمة (كتاب الاعتبار) ، تأليف الأمير أسامة بن منقذ^(٢) إلى اللغة الروسية ، وقدم لترجمته بمقدمة ممتازة نبّه فيها إلى أنّ من بين مخطوطات المتحف الآسيوي يوجد مخطوط بخط المؤلف نفسه - الأمير أسامة بن منقذ - لكتابه (المنازل والديار) ، تاريخ نسخه ٥٦٨ هـ = ١١٧٢ م ، وكان المخطوط قد عرفه قبل ذلك فرين ، مؤسس المتحف ، ودورن Dorn ، ولكنه أصبح بعد ذلك منسياً .

ويمكن تصنيف إنتاج كرتشكوفسكي إلى الأبواب الأربعة التالية :

- ١ - نشر النصوص العربية القديمة :
 - (كتاب الآداب) لابن المعتز الشاعر العبّاسي الشهير^(٣) .
 - (كتاب البديع) لابن المعتز .
 - (رسالة الملائكة) لأبي العلاء المعري ، موسكو ١٩٣٢ م .
- ٢ - ترجمات للنصوص العربية القديمة إلى اللغة الروسية :
 - ترجمة (كتاب الاعتبار) للأمير أسامة بن منقذ .
 - ترجمة قصيدة (لامية العرب) للشنفرى^(٤) .
 - مراجعة ترجمة كوزمين Kuzmin - وهو أحد تلاميذه وقد توفي مبكراً - لرسالة (حيّ بن يقظان) لابن الطّفيل^(٥) ، ونشرها .

- (١) مكسيم غوركي Gorki : [١٨٦٨ - ١٩٣٦ م] ولد في ينجني نوفغورود ، من مؤلفاته : الأم ، الشاردان ، وطفولتي .
- (٢) أسامة بن منقذ الشيزري [١٠٩٥ - ١١٨٨ م] من أكبر بني منقذ أصحاب قلعة شيزر (قرب حماة) ، من العلماء الشجعان ، له تصانيف في الأدب والتاريخ ، (الأعلام ٢٩١/١) .
- (٣) عبد الله بن محمد المعتز بالله [٨٦١ - ٩٠٩ م] شاعر مبدع ، ولد ببغداد ، وأولع بالأدب .
- (٤) الشنفرى : عمرو بن مالك (ت نحو ٥٢٥ م) شاعر جاهلي ، كان من فتاك العرب وعدائهم .
- (٥) ابن الطّفيل : محمد بن عبد الملك الأندلسي [١١٠٠ - ١١٨٥ م] فيلسوف طبيب ، توفي في مراكش . (الأعلام ٢٤٩/٦) .

- ٣ - دراسات وترجمات للأدب العربي المعاصر :
- ترجمة كتاب (الأيام) ، الجزء الأول ، لطفه حسين^(١) .
 - دراسة بعنوان : (آراء طه حسين في الشعر الجاهلي ومن نقدوها) .
 - ترجمات لصفحات كتبها ميخائيل نعيمة^(٢) عن حياته .
 - دراسة عن : (نشأة وتطور الأدب العربي الحديث) .
 - (أدب المهاجرين العرب إلى أمريكا) .
 - (الأدب العربي الحديث) ، مقال في دائرة المعارف الإسلامية .
 - ترجمة كتاب (المرأة الجديدة) لقاسم أمين^(٣) .
 - دراسة عن (القصة التاريخية في الأدب العربي المعاصر) .

٤ - دراسات للأحوال الخاصة للعالم العربي
- مقال بعنوان : (مصطفى كامل وجولييت آدم) بحث في تاريخ الحركة الوطنية

في مصر .

- (الشيخ أبو نظارة^(٤) ، مؤسس الصحافة السّاخرة العربيّة في مصر) .
- (في الصحافة العربيّة في مصر) .

-
- (١) طه بن حسين بن علي بن سلامة [١٨٨٩ - ١٩٧٣ م] ، مصري ، بدأ حياته في الأزهر ، ثمّ بالجامعة المصريّة ، أصبح رئيساً لجمع اللّغة بمصر ، من كتبه : في الشعر الجاهلي ، حديث الأربعاء ، على هامش السيرة ، الأيام ، ذكرى أبي العلاء ، (الأعلام ٢٣١/٢) .
- (٢) ميخائيل نعيمة : أديب لبناني .
- (٣) قاسم بن محمد أمين المصري : [١٨٦٣ - ١٩٠٨ م] ، كاتب باحث ، اشتهر بمناصرته للمرأة ودفاعه عن حرّيتها ، درس الحقوق في مونبلييه (فرنسة) ، توفي بالقاهرة ، من كتبه : تحرير المرأة ، والمرأة الجديدة ، كلمات قاسم أمين ، (الأعلام ١٨٤/٥) .
- (٤) يعقوب بن رافائيل صنّوع (أبو نظارة) : [١٨٣٩ - ١٩١٢ م] ، كاتب مصري فكّه نقاد ، له نحو ثلاثين مسرحية هزليّة وغراميّة ، يُعدُّ مؤسس المسرح المصري ، وأصدر صحيفة (أبو نظارة) ١٨٧٧ م ، فانتهقد أعمال الخديوي إسماعيل ، فنفي إلى باريس ، فتابع إصدار صحيفته فيها ، وكان قويّ الصلّة بالأفغاني ومحمد عبده ، (الأعلام ١٩٨/٨) .

- (المسألة العربية والتعاطف الروسي) .

- (الكتاب الروس في الأدب العربي) .

وإلى جانب هذه الدراسات والنشرات ألف كرتشكوفسكي كتابين نال أولهما شهرة واسعة ، حتى ترجم إلى عدة لغات ، وهما :

- (بين المخطوطات العربية) .

- (تاريخ التأليف في الجغرافية عند العرب)^(١) .

أحمد سامح الخالدي : [١٨٩٦ - ١٩٥١ م] مربّ فلسطيني ، ولد في مدينة القدس ، تلقى علومه في المدرسة الأمريكية ، وتابعها في مدرسة المطران بالقدس (أي مدرسة سانت جورج) ، ثم أنهى دراسته الجامعية في كلية الصيدلة بالجامعة الأمريكية في بيروت سنة ١٩١٧ م ، ونال درجة أستاذ في العلوم .

عين سنة ١٩٢٠ م مفتشاً في إدارة المعارف بلواءي يافا وغزة ، ونال درجة أستاذ في التربية ، ثم عين بعد ذلك مساعداً لمدير المعارف العام ، وقد خلف الدكتور خليل طوطح في إدارة دار المعلمين في القدس سنة ١٩٢٥ م ، فأطلق عليها اسم الكلية العربية ، وخرّجت هذه الكلية عدداً كبيراً من الشُّبان الذين عملوا في التدريس بفلسطين .

غادر فلسطين إلى لبنان بعد إعلان قيام الكيان الصهيوني في أيار ١٩٤٨ م ، حيث وجه نشاطه لمساعدة اللاجئين الفلسطينيين وتعليم أبنائهم .

توفي في مصيف (بيت مري) اللبناني .

ولأحمد سامح الخالدي دور كبير في إغناء المكتبة العربية بتصانيفه الكثيرة ، ومنها :

(١) موسوعة المستشرقين : ٣٢١ وما بعدها .

- أنظمة التّعليم ، وهو جزآن ، طُبِعَ الأوّل سنة ١٩٣٣ م ، والثاني سنة ١٩٣٥ م .
- نظام التّعليم في العهد العثماني .
- أهل العلم بين مصر وفلسطين (١٩٤٦ م) .
- رجال الحكم والإدارة في فلسطين ، من العهد الرّاشدي إلى القرن الرّابع عشر الهجري .
- العرب والحضارة الحديثة (١٩٥١ م) .
- أهل العلم والحكم في ريف فلسطين (١٩٦٨ م) .
- تاريخ المعاهد الإسلاميّة ، في ثمانية مجلّدات ، تناول فيه تطوّر الثّقافة عند العرب والمسلمين في جميع معاهدهم .
- تاريخ بيت المقدس .
- وقام بنشر عدد من المخطوطات ، منها :
- فضائل بيت المقدس للواسطي .
- الإعلام في فضائل الشّام للميني^(١) ، وأضاف إليه ملحفاً بتراجم الصّحابة والتّابعين الذين نُسبوا إلى الشّام ، أو نزلوا أو استشهدوا فيها ، طبع سنة ١٩٤٦ م^(٢) .
- هذه نماذج من الأعلام ، أصدقاء بندي الجوزي ، الذين كانوا يتبادلون معه الآراء ، يجاورونه ويجاورهم عندما يزور مسقط رأسه (القدس) ، ولو أردنا المزيد من الأدباء والمفكرّين الكبار ، لذكرنا بالتفصيل سيرة الأساتذة : إسحاق موسى الحسيني ، ويوسف حنا .

(١) أحمد بن علي بن عمر بن صالح (شهاب الدّين) أبو النّجاح الميني : [١٦٧٨ - ١٧٥٩ م] ، أديب من علماء دمشق ، مولده في منين (من قرى دمشق) ، من كتبه : الفتح الوهبي ، الإعلام بفضائل الشّام ، فتح القريب ، شرح منظومة في الخصائص النّبويّة ، والفرائد السّنيّة في الفوائد النّحويّة ، وله شعر فيه جودة ، (الأعلام ١/١٨١) .

(٢) الموسوعة الفلسطينيّة : ١٧/١

كما قابل خلال زيارته إلى مصر ، كلاً من الأساتذة الكبار ، والأدباء المشهورين :

- عبّاس محمود العقّاد : [١٨٨٩ - ١٩٦٤ م] الذي كان إماماً في الأدب ، من المكثرين كتابةً وتصنيفاً مع الإبداع ، فظل اسمه لامعاً مدّة نصف قرن ، أخرج في خلالها من تصنيفه ٨٣ كتاباً .

- وإبراهيم بن محمد بن عبد القادر المازني : [١٨٩٠ - ١٩٤٩ م] ، الأديب المجدّد ، من كبار الكُتّاب ، امتاز بأسلوب حلّو الدّيباجة ، وأتى بالبيان المشرق من السّهل الممتنع ، وهو من أعضاء المجمع العلمي بدمشق ، وجمع اللّغة العربيّة بالقاهرة .

- ومصطفى لطفي المنفلوطي : [١٨٧٢ - ١٩٢٤ م] ، نابغة في الإنشاء والأدب ، انفرد بأسلوب نقيّ في مقالاته وكتبه ، وله شعر جيد فيه رقةً وعذوبة ، له : النظرات والعبرات ، مجدولين ..

- ومصطفى صادق الرّافعي : [١٨٨١ - ١٩٣٧ م] ، عالم بالأدب ، شاعر ، من كبار الكُتّاب ، شعره نقي الدّيباجة ، ونثره من الطّراز الأوّل ، له : ديوان شعر ، وتاريخ آداب العرب ، إعجاز القرآن والبلاغة النّبويّة ، رسائل الغفران ، وحي القلم ، أوراق الورد ، المعركة ..

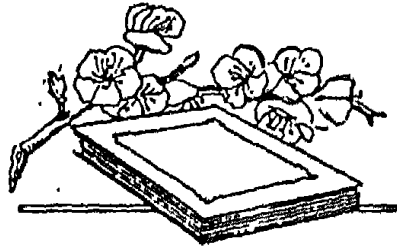
لقد كانت هذه الشّريحة من الأدباء الكبار ، والمفكرين الأفاضل زملاءً باندلي الجوزي ، ناهيك عن رجال الطّبقة المثقفة ، التي كان أفرادها يتحلّقون حوله في مقهى (الصّعاليك)^(١) ، وهو الاسم الذي أطلقه خليل السّكاكيني على هذا المقهى ، والذي لُقّب نفسه (شيخ الصّعاليك) ، وهو المقهى الواقع في باب الخليل بالقدس الشّريف .

عدد كبير من الأدباء ، ومراسلي الصّحف ، والشّبّان .. كانوا يستمعون إلى آراء باندلي ويسألونه في موضوعات تعنّ لهم .

(١) الصّعاليك : الفقير الذي لا مال له ، وقد تصفّك الرّجل ، إذا كان كذلك ، وكان عروة بن الورد يسمّى : عروة الصّعاليك ، لأنّه كان يجمع الفقراء فيرزقهم ممّا يغم في غزوه .

وأثناء رحلته الدرسيّة هذه ، رأى بندي منارأى من تأخرُ وجهل وظلم الإقطاعيين ، فراح يبشّر بفكر جديدة تحرّريّة ، ويهيب بالناس أن يكسروا القيود ، ويثوروا ضدّ الظلم والقوى المتسلّطة الحاكمة ، وضدّ الوالي الذي بيده مقاليد الأمور كلّها ، وهمّه الأوّل أن يجمع خلال ولايته الأموال الطائلة ، ليعوّض عمّا دفعه حتّى يحصل على هذا المنصب الرّفيع^(١) .

ورأى بندي أنّ اللّغة العربيّة في خطر ، والقضاء على العربيّة ، قضاء على الأجداد العربيّة ، والأصالة العربيّة ، فعاد إلى روسية حزينا كئيباً .



(١) وهو ما عرف (بالالتزام) ، أي دفع مبلغ كبير للسّلطان قبالة تعيينه والياً في الإمبراطوريّة المترامية الأطراف .

بَنْدَلِي الْجُوزِي
آثَارُهُ

بندلي الجوزي والتفسير الاقتصادي للتاريخ

« إن غاية التاريخ هي إدراك الماضي كما كان ، لا كما نتوهم أنه كان ، وكذلك ليس هو تصوير الماضي كما يجب أن يكون ، أو كما نريده أن يكون »^(١) .

بعد هذه العبارة المقبولة ، نقول : مَنْ قَسَرَ التَّارِيخَ تَفْسِيْرًا مَادِّيًّا - اِقْتِصَادِيًّا ، رَمَى الَّذِينَ يَكْتُبُونَ التَّارِيخَ الْعَرَبِيَّ ، بِأَنَّهُمْ يَنْتَقُونَ مِنْهُ حَوَادِثَ وَرَوَايَاتٍ ، وَيَغْفَلُونَ دَوْرَ الْحَرَكَاتِ التَّقْدُمِيَّةِ - الْاِشْتِرَاكِيَّةِ ، وَالتَّارِيخَ بِجَمِيعِ حَوَادِثِهِ وَوَقَائِعِهِ ، يَجِبُ تَفْسِيْرُهُ وَتَعْلِيلُهُ بِأَسْبَابٍ مَادِّيَّةٍ اِقْتِصَادِيَّةٍ ، وَإِنْ أَسَالِيْبُ الْإِنْتَاكِ هِيَ الْاَسَاسُ الَّذِي يَرْتَكِزُ عَلَيْهِ تَارِيخُ الْبَشَرِيَّةِ ، وَإِنَّ الْمَجْتَمَعَ يَنْقَسِمُ إِلَى طَبَقَاتٍ ، وَالتَّارِيخُ كُلُّهُ يَتَلَخَّصُ بِالنُّضَالِ الدَّائِمِ بَيْنَ هَذِهِ الطَّبَقَاتِ ، مِنْذُ بَدَأَتِ الْمَلِكِيَّةُ الْفَرْدِيَّةُ لَوْسَائِلِ الْإِنْتَاكِ .

ومن كتب التاريخ العربي كاملاً متكاملًا كما جاء في مصادره المعتمدة الموثقة ، رموه (بالسلفية) ، أو قالوا إنه يكتب من (روايات رسمية حكومية) ، وهم يرون أن الروايات الصحيحة عن القرامطة والبابكية والخرميّة والزنج .. غير موجودة ، وأن ما كتبه أولئك عن أنفسهم أتلف ، فكيف يكتبون ! وعلى أي شيء يعتمدون !؟

إن معظم ما كتبه أولئك جاء بناء على تخميناتٍ وظنٍّ ، فوقع قسم كبير منهم في الخيال المحض باسم (التحليل العلمي) ، أو (التفسير العلمي) ، أو التفسير الاقتصادي للتاريخ ، الذي من ضمن ملاحمه البارزة : الصراع ، أو النضال الدائم بين الطبقات .

(١) نحن والتاريخ ، قسطنطين زريق ، ص ٥٧

ويتحدثون عن التفسير العلمي للتاريخ ، ويكثرون الكلام عن الرؤية العصرية للحركات السريّة ، ونحن نحتاج إلى رؤية حقيقية ثابتة ، بدلاً من الرؤية العصرية ، ولو خالفت أهواءنا ، فلا للرؤية العصرية ، لأنها تتغير بتغير العصر وأهله ، واختلاف الرائي ودرجة استيعابه ، ودرجة ثقافته ، ومستواه العلمي ، فالرفض منطقي للرؤية العصرية ، لأننا سنصل إلى عشرات الرؤى في كل عصر ، وستضيع بذلك الحقيقة كما كانت ، أما الرؤية الحقيقية فإنها باقية ثابتة لكل عصر ، هكذا كانت الأحداث مجرّدة ، وهكذا حدثت في زمان وقوعها ، وهذه هي دوافعها .

إن ما كتبوه قصدوا منه تفسير التاريخ تفسيراً اقتصادياً ، مغفلين كل الجوانب الأخرى في المجتمع ، وكتبهم كلها تقصد إظهار المجتمع في صراع طبقي مستمر ، حتى يصلوا إلى النبوءة الكبرى بزوال الطبقات التي تستولي على وسائل الإنتاج ، ولا يبقى فيه إلا عامل ومعمل .

والواقع ينطق قائلاً : إن وسائل الإنتاج آلت شيئاً فشيئاً إلى أيدي خبراء الصناعة والاقتصاد ، وإن الحكومات المتصرفّة في الإنتاج والتوزيع لن تستغني عنهم ، فعلى الأدمغة الخبيرة تسير الصناعة ، وتتقدّم المعامل ، ويسير العمال .

وإن في المجتمع الحالي طبقة غير طبقتي العمّال وأرباب العمل ، هي الطبقة الوسطى التي تضم صغار الصناع والمزارعين والتجار ، وأصحاب المهن الحرة ، وهي فئة لم ترتفع كما أثبت الواقع إلى سوية البورجوازيين ، ولم تنصهر بالطبقة العاملة ، علماً أن التضامن بين أفراد الطبقة الواحدة غير موجود ، والمصالح في الطبقة الواحدة ليست متوافقة دوماً ، فالتنافس والتسابق على احتلال المراكز الشاغرة في المعامل معروفان في الواقع ، والتضارب بين مصلحة العمال وأرباب العمل ليس موجوداً دائماً ، فالجميع يعمل في مشروع واحد ، والمصلحة المشتركة تفرض التعاون للنهوض بالمشروع ، والحيلولة دون إفلاسه ، أو خسارته ، وهي تقابل مصلحة العمال وربّ العمل في المشروع المنافس .

إنَّ النُّضالَ بين الطُّبقاتِ يستند إلى مصلحة مادِّيَّةٍ بحثة ، والحرب العالمية الثانية ، أثبتت أنَّ الرِّابطة الوطنيَّة ، أو القوميَّة ، لها دورها الكبير في المجتمع .

والتَّاريخ خير شاهد على أنَّ الطُّبقة المظلومة في عرف الرُّؤية العصريَّة ، لم تكن متطابقة مطلقاً ، وإلاَّ فبماذا نفسَّر عدم تعاون صاحب القرامطة^(١) مع صاحب الزنج^(٢) مثلاً ؟ إنَّ التَّنافر الموجود بين مبادئها ، صرف النَّظر عن الفائدة التي تعود عليهما ، نتيجة لهذا التَّحالف من النَّاحية العسكريَّة على الأقل ، ولا يفسَّر عدم التَّعاون إلاَّ باختلاف الهدف والمطامع المادِّيَّة ، فلماذا لم تتوحَّد الطُّبقة المظلومة العربيَّة والفارسيَّة ؟ وأين نضال الطُّبقات الموحد ضدَّ السُّلطة (الرُّجعيَّة) في الخلافة العبَّاسيَّة حسب ادِّعائهم !؟

إنَّ التَّحليل العلمي للتَّاريخ ، أو التَّفسير الاقتصادي للمادِّي للتَّاريخ ، بشكل يجعله يطغى على كلِّ جوانب وأسباب سير التَّاريخ ، أمر مبالغ فيه ، ولم يقله من قال بتفسير التَّاريخ مادِّيًّا اقتصاديًّا طبقيًّا ، بدليل :

أرسل أنجلز إلى كونراد سميث في ١٥ آب (أغسطس) ١٨٩٠ م رسالة مما جاء فيها حرفيًّا : نجد الكثيرين من النَّاشئين الألمان ، يكتفي باستخدام عبارة المادِّيَّة التَّاريخيَّة - وكلُّ شيء يمكن تحويله إلى اصطلاح - لكي يجعلوا من معلوماتهم التَّاريخيَّة القليلة نسبيًّا نظاماً دقيقاً بأسرع ما يمكنهم ذلك ، ثمَّ بعد هذا ينظرون إلى أنفسهم نظرة عالية جداً .

-
- (١) القرامطة : حركة دينيَّة - سياسيَّة - اجتماعيَّة ، تنسب إلى داعيها الأوَّل حمدان قرمط في العراق ، أظهرها قويَّة في البحرين أبو سعيد الجنابي (٨٩٩ م) ، سيطرت الحركة على أجزاء من البلاد الإسلاميَّة ، واستولوا على مكَّة سنة ٩٣٠ م ، انتهى أمرها سنة ١٠٢٧ م بتركيز جهود العبَّاسيين ضدها .
- (٢) الزنج : حركة أسَّسها علي بن محمَّد (ت ٨٨٣ م) ضدَّ العبَّاسيين ، وأقام نظاماً عسكريًّا شبه اشتراكي ، شيد في جنوبي العراق مدينتي : المختارة والمنبيعة ٨٦٩ م ، قضى عليه الخليفة العبَّاسي (الموفق) سنة ٨٨٣ م .

وجاء في رسالة أنجلز إلى يوسف بلوخ بتاريخ ٢١ أيلول (سبتمبر) ١٨٩٠ م : « إن توجيه الكتاب الناشئين الاهتمام إلى الجانب الاقتصادي بأكثر مما يستحق ، أمر يقع اللوم فيه على عاتقي وعاتق ماركس ، لقد كان علينا أن نؤكد هذا المبدأ الرئيسي ، لنعارض خصومنا الذين كانوا ينكرونه ، ولم يكن لدينا دائماً الوقت ، أو المكان ، أو الفرصة لنضع العناصر الأخرى التي تتضمنها العلاقة المتداخلة في مواضعها الحقيقية .. ولسوء الحظ ، كثيراً ما يحدث أن الناس يتصوِّرون أنهم قد فهموا نظرية ما فهمها تماماً ، ويستطيعون تطبيقها دون كبير عناء ، وذلك منذ اللحظة التي يتمكّنون فيها من الإلمام بالمبادئ الرئيسية التي تقوم عليها النظرية ، بل إنهم قد لا يدركون هذه المبادئ دائماً ، الإدراك الصحيح ، ولا أستطيع أن أعفي من اللوم الكثيرين من الماركسيين الأحداث عهداً ، إذ من هذه الناحية خرجت أشد الأشياء تفاهة وسخفاً »^(١) .

وفي رسالة أرسلها ماركس من بروكسيل في ٢٨ كانون الأول (ديسمبر) ١٨٤٦ م إلى أنتكوف ، جاء فيها : « إن تاريخ الناس الاجتماعي ليس إلا تاريخ تطوُّرهم الفردي سواء أكانوا يشعرون به ، أم لا يشعرون »^(٢) .

وقال أنجلز لكونراد سميث في رسالة أرسلها من لندن في ٢٧ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٨٩٠ م : « من الصعب أن نبرهن على أن الحرية المطلقة التي ينعم بها الموصي في إنكلترا ، والقيود الشديدة المفروضة عليها في فرنسا هي أسباب اقتصادية في جميع تفصيلاتها »^(٣) .

ومما سبق نجد :

أن وضع التفسير الاقتصادي ، أو التحليل العلمي - المادي ، لم يجعل الناحية الاقتصادية هي كل شيء ، تشمل كل القيم الأخرى في المجتمع ، وما أحوجنا اليوم إلى النظر في مصوِّر العالم الفكري ، لا في مصوِّر الجغرافي ، أو الاقتصادي .

(١ و٢ و٣) التفسير الاشتراكي للتاريخ .

ومع ذلك ، اتَّخذ بندلي الجوزي التفسير الاقتصادي - وجهة النظر الماركسيَّة - في كلِّ كتاباته .

امراء عيناك
للمستشرق
دكتور نولدك
وهي رسالة
اصدايا
امراء عيناك من ابن الجفني

التي فسرتها الصَّومانية العلوم البروسلانية في برلين
نقلها الى العربية رُشاد اليها صميمان مؤلفنا المميز

الدكتور بنفدي جوزي الدكتور قسطنطين زريق
استاذ اللغة العربية في جامعة تاكر استاذ مادة التاريخ الشرقي في جامعة بوزنشتا لاين

الطبعة الكاتوليكية - بيروت ، ١٩٣٣

آثار بندلي الجوزي :

بعد هذه المقدمة عن التفسير الاقتصادي للتاريخ ، والتي لها ضرورتها في هذا الفصل ، نذكر آثار الدكتور بندلي ، التي كتب معظمها باللُّغة العربيَّة ، مع أنَّه يعرف حَمَسَ عشرة لغة ، وهي التَّالية : العربيَّة ، الرُّوسِيَّة ، الفرنسيَّة ، الإنكليزيَّة ، الألمانيَّة ، اليونانيَّة ، التُّركِيَّة ، الفارسيَّة ، الأذربيجانيَّة .

ويجيد : اللاتينيَّة ، واليونانيَّة القديمة ، والعبرانيَّة القديمة ، والسُّريانيَّة .

ويقرأ بطلاقة اللُّغتين الإيطاليَّة والإسبانيَّة .

آثاره :

- ١ - مبادئ اللُّغة الرُّوسِيَّة لأولاد العرب (جزءان) قازان ١٨٩٨ - ١٨٩٩ م
- ٢ - المعتزلة قازان ١٨٩٩ م
- ٣ - تحفة العروس في لغة الرُّوس^(١) (جزءان) قازان ١٩٠٣ م
- ٤ - محمَّد المكي ومحمَّد المدني قازان ١٩٠٣ م
- ٥ - الأمومة عند العرب (ترجمة عن ريكلن الهولندي)^(٢) قازان ١٩٠٣ م
- ٦ - تاريخ كنيسة أورشليم قازان ١٩١٠ م
- ٧ - جبل لبنان : تاريخه وحالته الحاضرة قازان ١٩١٤ م
- ٨ - البحث في القرآن قازان ١٩١٤ م
- ٩ - المسلمون في روسية ومستقبلهم قازان ١٩١٧ م
- ١٠ - كتاب : فتوح البلدان (ترجمة) باكو ١٩٢٧ م
- ١١ - تاريخ اليعقوبي (ترجمة) باكو ١٩٢٧ م
- ١٢ - من تاريخ الحركات الفكريَّة في الإسلام^(٣) القدس ١٩٢٨ م

(١) وورد العنوان : تاج العروس في معرفة الرُّوس .

(٢) ترجمة عن الألمانيَّة ، والمؤلَّف (Wilken) أستاذ في كَلِيَّة ليدن .

(٣) وهو من أمِّ ماقدَّم الدكتور بندلي على الإطلاق .

١٣ - الشؤون ^(١) الإنكليزية - المصريّة	باكو	١٩٣٠ م
١٤ - المصطلحات العلميّة عند العرب المعاصرين	باكو	١٩٣٠ م
١٥ - أمراء غسان ^(٢) (ترجمة عن الألمانية)	بيروت	١٩٣٣ م
١٦ - تاريخ حياة الفارابي	باكو	بلا تاريخ
١٧ - تاريخ أذربيجان : لابن الأثير	باكو	١٩٤٠ م

وله أيضاً : - الطّاعون وأعراضه والوقاية منه .

- رحلة البطريرك مكاروريوس ابن الزّعيم إلى بلاد الكرج .
- علم الأصول عند الإسلام .
- أصل الكتابة عند العرب .
- أصل سكّان سوريّة وفلسطين المسيحيّين .

أمّا مقالاته فهي :

في مجلّة الآثار (زحلة - لبنان) :

- من خرافات العرب قبل الإسلام	المجلد ٢ ، ج ١١	أيار (مايو)	١٩١٣ م
-------------------------------	-----------------	---------------	--------

في مجلّة الكليّة^(٣) :

- هل اللّغة العربيّة مفتاح اللّغات ؟	المجلد ١٦ ، ج ١	تشرين الثّاني (نوفمبر)	١٩٢٩ م
- هل اللّغة العربيّة مفتاح اللّغات ؟	المجلد ١٦ ، ج ١	كانون الأوّل (ديسمبر)	١٩٢٩ م
- حقائق وخواطر في اللّغة	المجلد ١٧ ، ج ٤	أيار (مايو)	١٩٣١ م
- مواد لغويّة	المجلد ١٨ ، ج ٦	أيلول (سبتمبر)	١٩٣٢ م
- الجزية والخراج	المجلد ١٨ ، ج ١	تشرين الثّاني (نوفمبر)	١٩٣١ م

(١) أو : العلاقات الإنكليزية المصريّة .

(٢) أمراء غسان ، تأليف المستشرق تيودور نولدكه ، وهي رسالته : أمراء غسان من آل جفنة ، التي نشرتها أكاديمية العلوم البروسانية في برلين ، قدّم الدكتور قسطنطين زريق بعض الآراء في الترجمة ، فكّيب اسمه في الترجمة العربيّة التي طبعت في المطبعة الكاثوليكيّة - بيروت ١٩٣٣ م .

(٣) تصدرها الجامعة الأمريكيّة في بيروت .

في مجلّة الهلال^(١) :

١٨٩٧ م	نيسان (إبريل)	المجلد ٥ ، ج ١٥	- تاريخ الألفاظ
١٩٢٨ م	آب (أغسطس)	المجلد ٣٦ ، ج ١٠	- صفحة من تاريخ التّمثّن عند العرب

في مجلّة المقتطف^(٢) :

١٩٢٩ م	أيار (مايو)	المجلد ٧٤ ، ج ٥	- الجزية والخراج في أوائل الإسلام
١٩٢٩ م	حزيران (يونيو)	المجلد ٧٥ ، ج ١	- الجزية والخراج في أوائل الإسلام
١٩٢٩ م	حزيران (يونيو)	المجلد ٧٥ ، ج ١	- أصل لفظة خراج
١٩٢٩ م	أيلول (سبتمبر)	المجلد ٧٥ ، ج ١	- من المصيب ^(٣) ؟
١٩٣١ م	حزيران (يونيو)	المجلد ٧٨ ، ج ٦	- حنين العرب إلى بني أميّة
١٩٣١ م	أيلول (سبتمبر)	المجلد ٧٩ ، ج ٣	- المستشرق الروسي كراتشكوفسكي
١٩٣٣ م	حزيران (يونيو)	المجلد ٨٣ ، ج ١	- السّفياني ^(١)
١٩٣٣ م	تموز (يوليو)	المجلد ٨٣ ، ج ٢	- السّفياني ^(٢)
١٩٣١ م	تشرين الأوّل (أكتوبر)	المجلد ٧٩ ، ج ٢	- أمير أموي من سلالة مسيحيّة ^(٤)
١٩٢٩ م	تموز (يوليو)	المجلد ٧٥ ، ج ٢	- القرآن والبحر ^(٥)

(١) الهلال : مجلّة شهرية مشهورة ، أسّسها جرجي زيدان في مصر سنة ١٨٩٢ م ، وما زالت تصدر حتّى يومنا هذا .

(٢) المقتطف : مرّت ترجمتها في حاشية سابقة .

(٣) ردّ على مقالة عبد اللطيف الطيّبي : (هل أصاب الدكتور الجوزي ؟) ، نُشر في المقتطف المجلد ٧٥ ، ج ١ ، حزيران (يونيو) ١٩٢٩ م .

(٤) ترجمة ، والمقالة للعلامة بارتولد ، عضو أكاديمية لينينغراد العلميّة ، والأمير الأموي المقصود هو (العباس بن الوليد) فأّمه كانت نصرانيّة

(٥) للأستاذ فاسيلي بارتولد Barthold . . . أكاديميّة بطرسبرغ العلميّة ، ترجمها الدكتور بندلي ، ونشرت في المقتطف .

في مجلّة الرابطة الشرقيّة (١) :

م ١٩٢٨/١٢/١٥	السنة الأولى	العدد الثاني	- مسلية الكذاب (١) (٢)
م ١٩٢٩/٢/١٥	السنة الأولى	العدد الثالث	- مسيامة الكذاب (٢)
١٩٢٩/٢/١٥	السنة الأولى	العدد الرابع	- مسيامة الكذاب (٣)

☆ ☆ ☆

وللأستاذ بندلي أيضاً :

م ١٩٢٦	باكو	المجلد ١	- ديوان لغة الترك (١)
م ١٩٢٧	باكو	المجلد ٢	- ديوان لغة الترك (٢)
م ١٩٢١	في مجلة باكو	(١٦ صفحة)	- باياك و باياكيسم
م ١٩١٦	قازان	لـ (إيفانوف)	- بضع كلمات بمناسبة (الرّدلناقدنا)

- المتغلبون في بلاد عبر القوقاز في القرنين التاسع والعاشر . (من تاريخ الاقطاعيّة في بلاد عبر القوقاز) ، أكاديمية العلوم - فرع جورجيا ، تفليس ١٩٢٧ م ، (٧٩ صفحة) .
- من تاريخ الحركة الشيوعيّة في الإسلام ، المجلّة العلميّة ١٩٢٣ - ١٩٢٤ م ، العدد الأوّل ، (٧٩ صفحة) .

- من التاريخ الأوّل لکنعان ، المحدث الأرثوذكسي ، قازان ، ١٩١٤ م ، (٤٢ صفحة) .
- نقد كتاب : (تكريم القديسين في الإسلام من وجهة نظر اللاهوت الأرثوذكسي) لمؤلفه إيفانوف ، مجلّة المحدث الأرثوذكسي ، قازان ، عدد أيلول وتشرين الأوّل ، ١٩١٥ م ، (٤٨ صفحة) .

(١) كانت تصدر في القاهرة .

(٢) دراسة من تأليف بارتولد Barthold ، عضو أكاديمية بطرسبورغ ، ترجمها الأستاذ بندلي ونشرها في مجلّة (الرابطة الشرقيّة) .

وجاء وصف لبعض مؤلفات الأستاذ بندلي في مقال (لايرمن) ، في مجال :
مقالات عن التاريخ القديم للكنيسة في الشرق :

١ - إقليم بلاد العرب الكنائسي .

٢ - الحاميات الرومانية في الإقليم العربي (حوران)^(١) ، ترجمها عن الفرنسية ،
ونشرت في مجلة المحدث الأرثوذكسي ، ١٩١٢ م .

٣ - ملاحظات الطريق للحجاج طلاب أكاديمية قازان الروحية ، رحلة إلى
الشرق الأدنى في صيف ١٩١٧ م ، قازان ١٩٠٩ م .

٤ - القبائل العربية في بلاد عبر القوقاز ومصيرهم فيما بعد ، لينينغراد ،
١٩٣٧/١٠/١٩ م .

ولما كان الأستاذ بندلي مهتماً وشغوفاً بتاريخ أذربيجان ، فقد ترجم إلى الروسية
معلومات من بلاد عبر القوقاز عامة ، وأذربيجان خاصة ، نقلاً عن كتاب العرب في
العصر الوسيط ، منهم : البلاذري^(٢) ، اليعقوبي^(٣) ، الطبري^(٤) ، ابن مسكويه^(٥) ،
ابن الأثير^(٦) ، ياقوت الحموي^(٧) .

(١) حوران : هضبة جنوبي دمشق ، أطلق عليها الرومان اسم (أورانتيس) ، تربتها بركانية خصبة ،
اشتهرت بزراعة القمح ، سكنها الفساسنة قبل الإسلام ، مركزها اليوم مدينة درعا .

(٢) البلاذري (أحمد بن يحيى) : [ت ٢٧٩ هـ = ٨٩٢ م] له : فتوح البلدان ، وأنساب الأشراف ..

(٣) اليعقوبي (أحمد بن واضح) : [ت ٨٩٧ م] ، جغرافي مؤرخ ، من كتبه : كتاب البلدان ، وتاريخ
اليعقوبي .

(٤) الطبري (محمد بن جرير) : [ت ٢١٠ هـ = ٩٢٣ م] ، شيخ المؤرخين العرب ، أهم كتبه : تاريخ
الأمم والملوك .

(٥) ابن مسكويه (ت ١٠٣٠ م) له : تجارب الأمم وتعاقب الأمم .

(٦) ابن الأثير (علي بن محمد) : [ت ٦٣٠ هـ = ١٢٣٣ م] مؤرخ ، من كتبه : الكامل في التاريخ ، وأسد
الغابة في معرفة الصحابة .

(٧) ياقوت الحموي (ت ١٢٢٩ م) جغرافي مؤرخ ، له : معجم البلدان ، ومعجم الأدباء ..

وعلاوة على ذلك ، كتب ثلاث مقالات هي :

- ١ - المتغلبون الإقطاعيون العرب في أذربيجان .
- ٢ - شيطان القبائل العربيّة في أذربيجان .
- ٣ - المزيديّة - الشيبانيّة في أذربيجان .

وكتب أيضاً مقالاً باللّغة العربيّة بعنوان : من تاريخ أذربيجان .

ومن المخطوطات التي خلفها الأستاذ بندلي :

- ١ - ميديا والميديون ، (١٢ صفحة) .
- ٢ - المتغلبون في بلاد القوقاز ، (٥٣ صفحة) .
- ٣ - دولة عطايكوف في أذربيجان ، تاريخ حياة إيلدانبز (أي شعب البحر) .
- ٤ - النصّ العربيّ لرواية مجنون ليلي ، (ليلي والمجنون) ، (٣٥ صفحة) .
- ٥ - الموسوعات العربيّة ، وقواميس الموسوعات ، (٢٧ صفحة) .
- ٦ - ترجمة بعض أجزاء القاموس الجغرافي لياقوت الحموي ، الخاصّة ببلاد القوقاز ، وكان معهد التّاريخ لدى أكاديميّة العلوم الأذربيجانيّة يهيئ ترجمة بعض مقتطفات من القاموس الجغرافي (معجم البُلدان) لياقوت الحموي ، الخاصّة ببلاد عبر القوقاز ، مع التّعليقات عليها للأستاذ بندلي .

☆ ☆ ☆

تقول ابنة الأستاذ بندلي البكر ، أنستاسيا ، في إحدى رسائلها إلى ابن عمّها الأستاذ نصري الجوزي : نَشَرَ والدي أكثر من مئتي بحث علمي في اللّغتين العربيّة والرّوسيّة ، كما أنّ قسماً من مخطوطاته تبلغ ثلاث مئة ، محفوظة في (أرشيف) تاريخ العلوم لجمهوريّة أذربيجان .

أمّا مجلّة (الأديب) في عددها نيسان (إبريل) ١٩٦٨ م ، فتقول : يقدّر أصدقاء بندلي الجوزي مؤلفاته باللّغة الرّوسيّة بين مؤلّف ومترجم ستّة وعشرين مؤلّفاً ، وترك تسع مخطوطات بالرّوسيّة ، ومخطوطتين بالعربيّة .

مِنْ تَارِيخِ الحَرَكَاتِ الفِكرِيَّةِ فِي الإِسْلَامِ :

نظراً لأهميَّة هذا الكتاب ، الَّذِي أَلْفَهُ الدكتور بندلي فِي القدس ، وطُبِعَ فِيهَا سنة ١٩٢٨ م ، أعادت عدَّة وجهات طبعه ، وهي :

- ١ - منشورات صلاح الدِّين - القدس سنة ١٩٧٧ م ، وصفحاته ٢٣٧
- ٢ - سلسلة إحياء التُّراث التُّقافي الفلِسطيني ، الكتاب الرَّابِع ، الأتِّحاد العام للكتَّاب والصحفيِّين الفلِسطينيِّين (الأمانة العامَّة) ، ط ٢ ، سنة ١٩٨١ ، وصفحاته ٢٣٧
- ٣ - دار الجليل ^(١) سنة ١٩٨٢ م .
- ٤ - دار الرِّوائِع ، بيروت (بلا تاريخ) ، وصفحاته ٢٣٧
- ٥ - ونشره الدكتور فَوَّاز صَيَّاغ فِي دمشق ، شباط ١٩٧٢ ، آلة كاتبَة : ٩١ صفحة .



مِنْ آراءِ الأُسْتاذِ الجوزِي المِتميِّزة ^(٢) :

- يقول الأُسْتاذ بندلي الجوزي ، صفحة ١١ : « إذا نحن عرفنا أنَّ أوَّل من وضع مبادئ علم التَّاريخ وأساليب الانتقاد التَّاريخي ، هم مؤرِّخو الغرب ، كنيبور (Niebur) ، ورائكه (Ranke) ، وشلوسر (Schlosser) وغيرهم ^(٣) ، وأنَّ هؤلاء المؤرِّخين بنوا أحكامهم ونظريَّاتهم على تاريخ الغرب وحده ، إذ لم يكونوا يعرفون من تاريخ الشَّرْق إلاَّ الشَّيْء اليسير ، سهل علينا والحال هذه أن ندرك مقدار ما في أقوال

(١) وهي الطَّبعة المعتمدة فِي هذه الدِّراسة .

(٢) حسب تسلسل ورودها على صفحات الطَّبعة المعتمدة ، طبعة (دار الجليل) .

(٣) ألم يسبق هؤلاء الَّذين فِي القرن الماضي وهذا القرن ، عبد الرُّحمن بن خلدون المتوفَّى سنة ١٤٠٦ م ، ولنا تعليق مفصَّل على ذلك بعد صفحات .

بعض مؤرّخي الغرب عن الشرق وتاريخه من الغرابة والطّيش ، فهل من طيش أكبر من أن يقول أحدهم : إنّه لم يكن ، ولن يكون للأمم الشّرقية تاريخ بمعنى هذه الكلمة المعروف بين علماء أوربة ، وأنّ أساليب البحث التّاريخي التي وضعها علماء الغرب ، لا يمكن أن تطبّق على تاريخ الشرق ، وأيّة غرابة أو بالأحرى أيّ جهل أعظم من أن يقال : إنّ العوامل المؤثّرة في تاريخ الأمم الأوربية ، والنّواميس العموميّة الفاعلة في حياتهم الاجتماعيّة ، هي غير العوامل والنّواميس العاملة في تاريخ الأمم الشّرقية وحياتهم وثقافتهم .

لوصدت هذه الأفكار الغربية عن مؤرّخي الأجيال الوسطى ، أو لوصدت عن أناس عرّفوا بالتّعصّب الدّيني أو القومي ، والأغراض السياسيّة أو الاستعماريّة ، لكان لهم في الجهل والتّعصّب عذر ، أمّا وقد صدرت ولا تزال أحياناً تصدر عن فئة من العلماء ومؤرّخي العصر التّاسع عشر ، بل العشرين ، فأبيّ عذر لهم ؟! » .

وقال في الصفحة ١٢ وبداية الصفحة ١٣ ، بعد أن أورد بعض آراء المؤرّخ شلوسر حول الدّول الشّرقية المشبعة بروح الاستبداد والسّلطة الدّينيّة ، والتي - كما يدّعي شلوسر - تنفي تطوّر الموجودات ..

وبعد استغراب الأستاذ من هذه الآراء ، يقول : « .. وأشدّ من ذلك في الغرابة ، أن يقوم مؤرّخ آخر اشتهر بأبحاثه عن تاريخ الشرق القديم ، وتاريخ بابل والبابليين على الأخصّ ، فيحاول أن يؤيّد صحّة هذا الفكر العقيم ببراكين لا تقبلها اليوم طلبة المدارس ، منها أنّ الشعوب الشّرقية كانت تعتقد في أن ما يحدث في هذه الحياة الدّنيا ، ليس هو إلاّ صورة منعكسة لما يحدث هناك في السّماء ، وأنّ حياة المجتمعات الإنسانيّة يجب أن تنظّم وتجري طبقاً لحركات الكواكب السّماوية ، ومعنى هذه العبارة الغامضة أنّ هناك فرقاً بيناً بين نفسيّة الأمم الشّرقية ، ونفسيّة الأمم الغربيّة ، يمكن أن يعبر عنه بأنّ الشعوب الشّرقية لا تقول بمبدأ التّطوّر والاستقرار اللّذين هما أسّ العلوم الحديثة ، ولا تقيم لها وزناً ، وأنّ الأحكام العامّة لا تُبنى عندهم على استنتاجات

منطقيّة مرتبط بعضها ببعض ، ومؤسّسة على فكر أو نظريّة عامّة سابقة لتلك المراقبات تتوقّف عليها جميع أعمالهم وأفكارهم .

هذا رأي بعض مؤرّخي الغرب وتاريخ الأمم الشّرقية وعقليتهم ، فلا عجب والحال هذه إذا رأيناهم ينكرون على تاريخ الشّرق تطوّره ، ويحسبونه نتيجة سبب أو عامل واحد ترجع إليه حياة الأمم الشّرقية في جميع أدوارها ومظاهرها ، مما ينتج عنه أن ليس للأمم المذكورة تاريخ بالمعنى العلمي المقصود من هذه الكلمة ، وهو ما قاله بعضهم كما أشرنا إلى ذلك سابقاً .

ويتساءل الأستاذ بندلي : فهل ياترى يصدق هذا الكلام على الأمم الشّرقية الحديثة ، أو أمم الأجيال المتوسّطة ؟ وهل حاول أحد المؤرّخين أن يطبّق النظرية المذكورة على التّاريخ الحديث ، كتاريخ الأمم الإسلاميّة مثلاً ؟ نعم قد حاول بعض من تأثّر بأفكار شلوسر وفنكلر أن يدخل تحت هذا الحكم تاريخ القرون الوسطى للأمم الشّرقية ، حتّى الحديثة منها ، ولا سيما تاريخ الإسلام ، وأشهر من أقدم على ذلك المستشرق الفرنسي أرنست رينان^(١) وذلك في بعض محاضراته . . مثل (الإسلام والتّرقّي) ، و (منزلة الأمم السّامية بين سائر الأمم) ، وإليك ما قاله في محاضراته الثّانية ، مما له علاقة بموضوعنا : « إن الإسلام يكره العلم ويدعو إلى هدم المجتمع ، وإن هو إلاّ بساطة الرّوح السّامي الهائلة التي تضغط على دماغ الإنسان ، وتسدّ أمامه الطّرق المؤدّية إلى كلّ فكر حرّ ، وكلّ بحث علمي ، مستعيضة عن كلّ ذلك بتكرارها الممل : لا إله إلاّ الله » . فأنت ترى أنّه لم يبق بعد هذه العبارة إلاّ أن يقوم صاحبها ويقول لنا إنّ حياة الأمم الشّرقية الإسلاميّة ترتكز على نواميس وعوامل غير التي ترتكز عليها حياة الأمم الغربيّة ، وقد قاله فعلاً في تلك المحاضرة نفسها حيث جاء : « أنّه كان للشّعوب الآرية من يوم عرفها التّاريخ مجلّة حقوق قديمة . . أمّا حياة العرب

(١) أرنست رينان Renan : [١٨٢٣ - ١٨٩٢ م] ، كاتب وعالم أثري فرنسي ، كان من أوّل المهتمّين بالتّنقيب في لبنان وفلسطين .

القديمة ، فإنها كانت دائماً خاضعة لنواميس أخرى » ، وقال في موضع آخر : « إنَّ تطوُّر الأمم السَّامِيَّة الدِّيني كان يقوم دائماً على نواميس أخرى ، وإنَّ العربي أو المسلم على الإطلاق يبعد عنَّا اليوم أكثر من ذي قبل ، فالمسلم والأوربيُّ اليوم شخصان لا يجمعهما شيءٌ من أساليب التَّفكير والشُّعور ، كأنَّها عالميَّين مختلفيَّين » ، وقد كرَّر رينان هذه الأفكار والعبارات في محاضراته الثَّانية ، بل جاء بما هو أشدَّ منها ، ولكنَّا نقتصر على ما ذكرناه ، تحاشياً للإطالة ، واعتقاداً منَّا أنَّه لو قُدِّر لرينان ، ولن أخذ عنه نظريَّته المذكورة ، أن يعيشوا إلى هذا اليوم ^(١) ، ويروا بأعينهم آثار الحركة الفكرية في البلاد العربية ، والشرق على الإطلاق ، لتَبَرَّأ مما قاله من عقليَّة الأمم الشَّرقيَّة ونفسيَّتهم ، ولهذا ، ولأنَّ هذه النظريَّة أصبحت اليوم في خبر كان ، لانرى فائدة في دحضها ، لأنَّ الزَّمان تولَّى دحضها بنفسه ، ويكفيها هنا أن نقول إنَّ مصدر هذه الأفكار العقيمة الفاسدة هو أولاً : قلة معرفة أصحابها لتاريخ الأمم الشَّرقيَّة ، وضعفهم في تحليل المواد التَّاريخيَّة التي كانت في أيديهم في ذلك الوقت تحليلاً علمياً محضاً ، وثانياً : لأنَّ الكتَّبة المذكورين بنوا حكمهم على مستقبل الأمم الشَّرقيَّة ، مستنديين على حالتهم العمرانيَّة والاجتماعيَّة في الماضي القريب ، وهو حكم في نظر أهل المنطق فاسد ، وما مثلهم إلاَّ كمثل عربي مسلم من أهل الجيل العاشر ^(٢) أو الحادي عشر ، زار أوربة في ذلك العصر ، ورأى ما كان عليه سكَّانها وقتئذٍ من الجهل والتَّعصُّب الدِّيني والفقير ، فحكم عليهم بالجمود ، وقضى على مستقبلهم وقال : إنَّه لن تكون لهم حياة اجتماعيَّة بمعنى هذه الكلمة في عصرنا الحاضر ^(٣) .

ثمَّ يقول الأستاذ بندلي : « إلاَّ أنه يسرُّنا أن نجاهر بأنَّ أكثر علماء تاريخ الشرق المعروفين بترفُّعهم عن الأغراض القوميَّة أو السياسيَّة ، هم على غير رأي شلوسر وفنكلر ورينان ، ومن هذا حذوهم من مؤرِّخي الجيل السَّابق ..

(١) يوم تأليف : (من تاريخ الحركات الفكرية في الإسلام) ، سنة ١٩٢٨ م .

(٢) يستخدم الأستاذ كلمة (الجيل) بدل كلمة (قرن) كثيراً .

(٣) من تاريخ الحركات الفكرية في الإسلام ، ص : ١٤ .

وأهم من ذلك في نظري ، أن أكثر علماء أوربة أصبحوا اليوم يجاهرون بأن لا تأثير للذين على انخراط العمران في البلاد الشرقية ، وأن لهذا الانخراط الوقي أسباباً غير الدين ، أهمها مهاجرات وفتوحات الأمم المتوحشة كالمغول والتürk وغيرهم ، والحروب الصليبية ، وبعده أكثر بلاد الشرق عن مراكز الحضارة الجديدة ، وتحول طرق التجارة ، إلى غير ذلك من الأسباب التي يعلمها اليوم طلبة المدارس الوسطى ، والتي أشرنا إلى بعضها في مقالة نشرناها في اللغة الروسية ، قبل ثلاثين سنة تحت عنوان : الإسلام والعلم .

ينتج مما ذكرنا ، أن تاريخ الشرق وحياته الاجتماعية ، وعقلية شعوبه على الإطلاق ، والشعوب الإسلامية على الأخص ، تخضع لنفس النواميس والعوامل التي تخضع لها حياة وتاريخ الأمم الغربية ، وأن أمم الشرق قطعت في حياتها الطويلة ، وستقطع ذات المراحل ، أو الأدوار الاجتماعية التي قطعتها الأمم الغربية ، فلا فرق إذن من هذا الوجه بين الشرق والغرب ، ولا تفوق طبيعي لأحدهما على الآخر ، وهذا بعض ما نحاول أن نبينه في كتابنا هذا ، فإن وفقنا كان ذلك من حسن حظنا ، وإلّا فاعلى المرء إلا أن يسعى .

يقول الأستاذ بندلي في الصفحة ٣٥ ، بعد أن عرض جانباً من حياة النبي العربي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم : « وأنت ترى أنه لا صحة لتلك الأحاديث التي تصوّره بغير صورته الحقيقية ، وتلك المساعي التي بدت في بعض كتب ظهرت حديثاً في روسية وأوربة الغربية ، وهي تحاول أن تجعل من النبي العربي رجلاً مثرياً ، قام للمدافعة عن حقوق أصحاب الثروة والسلطة في بلاده ومصالحهم المالية .. لانستطيع أن نحشر المصلح المكّي^(١) بين الاشتراكيين أو الشيوعيين ، أو أن نقول إن دعوته كانت ترمي إلى أغراض اشتراكية أو شيوعية محضة ، كما خيّل لبعض كتبة الغرب^(٢) ، ولكننا

(١) يعني الرسول العربي محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم .

(٢) أورد الأستاذ بندلي مثلاً في هامش الصفحة ٣٥ : انظر كتاب :

M. Grimme : (محمد) [Ch. I Munster 1892]

نعتقد إنَّ للعوامل الاجتماعية - التي قلَّما تظهر في الشرق الأدنى السَّامي غير محتجبة بحجاب من الدِّين كثيف - تأثيراً قوياً على دعوته ، وإنَّه وقف في جانب الفقراء والصَّعاليك المظلومين ، وقفة رجل مغامر في الحياة ، ودافع جهاراً عن المصالح الحيويَّة معرّضاً نفسه للخطر ، وغير مبالٍ بعواقب عمله ، مدفوعاً بعوامل أدبيَّة ودينيَّة أكثر منه بعوامل اقتصاديَّة أو ماليَّة .

« كان سلاح النُّبِّيِّ في هذه الحرب الأهليَّة التي أصلى نارها بنفسه .. وما هو السِّلح إلاَّ كلمة الإخلاص يدعو بها ويحذّر ويستعطف ويسترحم ، ثمَّ يوعد ويهدِّد ، لا يخاف في القول لومة لائم ، ويقول الحقَّ حتَّى على نفسه ، وأقرب النَّاس إليه^(١) ، وهذا عمه أبو لهب^(٢) الذي برز لناواته وراح يفسد عليه عمله ، ويؤلِّب النَّاس عليه ، فإنَّه يلعنه ويلعن امرأته ويوعدهما^(٣) (بنار ذات لهب) ، تقوم على إيقادها امرأته و ﴿ في جيدها حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ ﴾ ، حيث (لا يغني عنه ماله وما كسب) .

وهكذا أحد عظماء مكَّة وأغنيائها المغيرة بن الوليد^(٤) الذي تعرَّض للنُّبِّيِّ وأخذ يعاكسه في مهمَّته الكبرى ، فإنَّ النُّبِّيِّ لم يخشَ بأسه وقوَّة ثروته ، بل دعاه في وجهه (همزة لمزة)^(٥) ، وأوعده بمحلِّ خالدٍ في الحُطمة^(٦) ، حيث لا ينفعه ماله (الذي جمعه وعدَّه)^(٧) ، إلى غير ذلك من أدلَّة الجرأة الرُّوحية والاستخفاف بالأخطار والأقوال التي

- (١) في الهامش : (انظر سورة ٢٨ : ٢ و ٢٢ : ٨١ وغيرها) ، وهذه الآيات لاعلاقة لها بالموضوع أعلاه .
- (٢) أبو لهب : عبد العزَّى بن عبد المطَّلِب بن هاشم [ت ٢ هـ = ٦٢٤ م] مات بعد وقعة بدر بأيَّام ولم يشهدا .
- (٣) توعدهما القرآن الكريم ، ولم يتوعدهما رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم .
- (٤) صوابه : الوليد بن المغيرة [١ هـ = ٦٢٢ م] : يقال له (العَدْل) ، لأنَّه كان عدل قريش كلها ، وهو والد خالد بن الوليد ، (الأعلام ١٢٢/٨) .
- (٥) المَهمزة الذي يَهمزُ أخاه في قفاه من خلفه ، واللُّمَزُ في الاستقبال ، أي يفتاب النَّاس ، (اللسان : همز) .
- (٦) الحطمة : نارٌ حطمة : شديدة ، والحطمة : اسم من أسماء النَّار ، (اللسان : حطم) .
- (٧) العَدُّ : إحصاء الشيء ، عدُّه يَعدُّه عدّاً وتعداداً وعدَّةً وعدَّته ، (اللسان : عدد) .

لم يعتدها سادات مكة وأغنياؤها ، وأعظم من ذلك في الجراة والتأثير ، كلمات كان يوجهها إلى تجار مكة ، وينسب فيها إليهم الجشع^(١) والتهافت على حطام هذه الدنيا والتكالب على جمع المال بمختلف الوسائل ، ويتهمه بها بأكل مال اليتامى والقصر والمساكين والغش في الوزن والكَيْل (المطفون^(٢) ١ - ٣ ، والفجر^(٣) ٢٠) ، إلى غير ذلك. من الصفات الممقوتة التي لم تخل منها طبقة التجار والمرابين عصراً من العصور الغابرة ، والتي هي أهم مصادر ثروتهم .

وفي الصفحة ٤١ ، يقول الأستاذ بندلي : « وأصبحت البلاد العربية^(٤) بعد ثماني سنوات مضت على هجرته ، تأتمر بأمره^(٥) ، وتنزل في كل شيء عند حكمه ، فصار من السهل عليه أن يقوم بوعوده ، ويحقق ما كان يدعو إليه في مكة ، من الإصلاح الاجتماعي ويحلم به منذ سنوات من المبادئ السامية ، كالعدل والإخاء ، وتحرير المرأة والأرقاء ، ومحاربة أسباب الشقاء والفقر بين أبناء بلده ، بل في سائر البلدان العربية .

لوالقينا الآن نظرة إلى الوراء ، وبحثنا عما تم على يد النبي الأمي من الإصلاح ، لما استطعنا أن ننكر أنه قام بأكثر وعوده ، وحقق قسماً كبيراً من أمانيه ، ولو قدر له أن يعيش أكثر مما عاش ، لكان الإصلاح الذي أدخله على حياة الأمة العربية أتم وأوسع ، ومع ذلك فإن ما عمله في هذه السنين القليلة التي قضاها في المدينة بين الحروب والمنافسات الشخصية والدسائس والحسد والمكر والنفاق والمنافقين ، هو شيء عظيم لا ينكره إلا كل مكابر عنيد ، أو متعصب أعمى ، فمن الإصلاحات التي أدخلها على

(١) الجشع : أسوأ الخُص ، ورجل جشع يشع : يجمع جزءاً وحرصاً وخبث نفس ، (اللسان : جشع) .

(٢) وَيَلِّ لِمَطْفُونٍ ، الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ، وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ .

(٣) وَتَأْكُلُونَ التَّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا ، وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا .

(٤) الأصحُّ هنا : « وأصبحت معظم أجزاء الجزيرة العربية » .

(٥) الضمير هنا عائد لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

حياة الأمة العربيّة ، وجعلها مبدأ من مبادئها ، هو هدمه للمعصيّة الجاهليّة ، ومحاولته توثيق عرى المحبّة والمساواة والإخاء ، ولو بين المسلمين فقط^(١) ، على أسس جديدة هي المبادئ الأدبيّة المبنيّة على العقائد الدينيّة ، تمّ تحسين حال الفقراء (الصّفة)^(٢) أولاً ، ثمّ بالزّكاة وهي تلك الضّريبة التي وضعها المصلح العربي على أولى الثروة واليسار لمنفعة الفقراء والصّعاليك .. » .

ويقول الأستاذ بندلي في الصّفحة ٤٣ : « فالزّكاة ضريبة محدودة لا يقصد منها نزع الثروة من أصحابها وتوزيعها على المحتاجين بالمساواة ، ولا بلوغ المساواة في أسباب المعيشة كما قد يتوهم البعض^(٣) ، وعندني أنّ غيرها من الإصلاحات التي جاء بها النبيّ كتحسين حالة المرأة ، ومنع الرّبا ، وسنّ بعض قوانين تتعلّق بالرقّ^(٤) مهما كانت

(١) المحبّة والمساواة والإخاء مبادئ عالميّة في الإسلام ، تشمل النّاس جميعاً على اختلاف أديانهم وأجناسهم ، جاء في القرآن الكريم : ﴿ وما أرسلناك إلاّ كافّةً للنّاس بشيراً ونذيراً ﴾ ، [سبأ : ٢٨] ، هو تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً ﴾ ، [الفرقان : ١] .

(٢) قال ابن سعد في الطبقات الكبرى : ٢٥٥/١ : « كان أهل الصّفة ناساً من أصحاب رسول الله ﷺ ، لا منازل لهم ، فكانوا ينامون على عهد رسول الله ﷺ في المسجد ويظلمون فيه ما لهم ماوى غيره » ، وقال وائل بن الأصبغ : « رأيت ثلاثين رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ يصلّون خلف رسول الله ﷺ في الأزر ، أنا منهم » ، والأزر جمع الإزار ، وهو الرداء الذي يغطي وسط الإنسان حتّى ركبتيه ، وفي [اللسان : صف] : الصّفة من البنيان شبه البهو الواسع الطويل السّمك ، وفي الحديث : ذكر أهل الصّفة ، قال : هم فقراء المهاجرين ومن لم يكن له منهم منزل يسكنه ، فكانوا يأوون إلى موضع مظلل في مسجد المدينة يسكنونه ، وفي الحديث : « مات رجل من أهل الصّفة : هو موضع مظلل من المسجد كان يأوي إليه المساكين » .

(٣) لا يقف الإسلام عاجزاً أمام مشكلة تضخّم الأموال في يد فئة قليلة من النّاس ، وبقاء المجموع في حال من الشّطف والحرمان ، فهذا يخالف لمبادئه الصّريحة التي تحتم توزيع المال بين الجميع : ﴿ كيلا يكون دولة بين الأغنياء منكم ﴾ ، [الحشر : ٧] ، على أن مجموعة الأنظمة الإسلاميّة في ذاتها تمنع ابتداء مثل هذا التّضخّم ، فنظام الإرث يفتت الثروة على رأس كلّ جيل ، ويتبع نظام الزّكاة نظام التّكافل ، قال رسول الله ﷺ - كما أورد الترمذي - : « إنّ في المال حقاً سوى الزّكاة » ..

(٤) وجعل الأستاذ بندلي في هامش الصّفحة ٤٣ إشارة إلى مرجع : انظر عن الرّق في الإسلام كتاب :

B. Roberts, Das Familien-Sklaven und Erbrecht im Qoran, Leipzig 1908

أسبابه^(١) .. ومنع أو بالأحرى حصر حقّ الإثّار (الإسراء ٣٣)^(٢) ، وهو أعظم آفات نظام الأُمّة العربيّة في الجاهليّة ، ثمّ منع الواد عند بعض القبائل المتوحّشة (٨١ : ٨ ، ٦ : ١٥٣ ، ١٧ : ٣٣)^(٣) ، ووضع شرائع اجتماعيّة أُخرى راقية ، ليس بأقلّ خطورة من الزّكاة ، إذا حكمنا على ذلك بنظر ذلك العصر ، وقابلنا هذه السنن الجديدة بما يحاكيها من شرائع روميّة والقسطنطينيّة والمدائن^(٤) ، ناهيك عن شرائع الأُمم الشّرقية المجاورة لجزيرة العرب ، أو البعيدة عنها .. » .



-
- (١) وهنا أيضاً لاعلاقة لها بإلغاء الرّق ، وصوابه : المائدة ٨٩ : ﴿ أو تحرير رَقَبَةٍ ﴾ ، المجادلة : ٣ ﴿ .. فتحريّر رقبة من قبل أن يتاسأ ﴾ ، النساء ٩٢ : ﴿ .. وتحرير رقبة مؤمنة ﴾ ، التوبة ٦٠ : ﴿ .. وفي الرّقاب ﴾ .
- (٢) الإسراء ٣٣ : ﴿ ولا تقتلوا أنفسَ التي حرّم الله إلاّ بالحقّ ومن قُتِلَ مَظْلُوماً فقد جعلنا لوليّه سلطاناً فلا يسرف في القتلِ إنّه كان منصوراً ﴾ .
- (٣) التّكوير ٨ و ٩ : ﴿ وإذا الموعودة سئلت ، بأيّ ذنبٍ قُتِلت ﴾ ، والأنعام ١٥١ : ﴿ .. ولا تقتلوا أولادكم من إملاقٍ نحنُ نرزقكم وإياهم ﴾ ، أما ٣٣/١٧ ، فهي الآية السابقة في الحاشية (٤) .
- (٤) روما : عاصمة الدّولة الرّومانيّة ، عاصمة إيطاليا حالياً ، والقسطنطينيّة : عاصمة الدّولة البيزنطيّة (الرّومانيّة الشّرقية) ، وهي اسطنبول اليوم ، على مضيق البوسفور ، والمدائن : عاصمة الإمبراطوريّة الفارسيّة ، قرب موقع بغداد حالياً ، وهي (طيسفون) .

مَصَادِرُ (مِنْ تَارِيخِ الْحَرَكَاتِ الْفِكْرِيَّةِ فِي الْإِسْلَامِ) وَتَقْدُّهَا

كتاب (من تاريخ الحركات الفكرية في الإسلام) يتكوّن من مقدّمة وخمسة فصول وخاتمة ، والمقدّمة^(١) [من الصّفحة ١١ وإلى الصّفحة ١٦] ، عنوانها : (وحدة النّواميس الاجتماعيّة) .

والفصل الأوّل : [من الصّفحة ١٧ ، وحتىّ الصّفحة ٥٣] ، وعنوانه : (أسس الإسلام الاقتصاديّة) .

والفصل الثّاني : [من الصّفحة ٥٤ ، وحتىّ الصّفحة ٧٧] ، وعنوانه : (الإمبراطوريّة العربيّة والأمم المغلوبة) .

والفصل الثّالث : [من الصّفحة ٧٨ ، وحتىّ الصّفحة ١١٦] ، وعنوانه : (حركة بآبك وتعاليمه الاشتراكيّة) .

والفصل الرّابع : [من الصّفحة ١١٧ ، وحتىّ الصّفحة ١٥٨] ، وعنوانه : (الإسماعيليّة) .

والفصل الخامس : [من الصّفحة ١٥٩ ، وحتىّ الصّفحة ٢١٧] ، وعنوانه : (القرامطة) .

(١) وفي الطّبعة التي اعتدت في هذه الدّراسة (طبعة دار الجليل - الطّبعة الثّالثة ، سنة ١٩٨٢) ، مقدّمة من الصّفحة ١ ، وحتىّ الصّفحة ١٠ ، بقلم الدكتور حسين مروّة ، تحت عنوان : (هكذا تقرأ بندي الجوزي) .

وخاتمة من الصّفحة ٢١٨ ، وحتى الصّفحة ٢٣٧ ، ولا عنوان لها .

ثمّ فهرس الكتاب في صفحة واحدة (الصّفحة ٢٣٨) .

الفصل الأوّل : أسس الإسلام الاقتصاديّة :

اعتمد الدكتور بندلي في هذا الفصل على دراسات المستشرقين ، وبشكل كامل ، فهو في هذا الفصل ، لم يورد اسم مؤرّخ عربي مسلم واحد ، والمستشرقون الذين اعتمد الأستاذ بندلي آراءهم ودراساتهم ، هم :

فهاوزن Wellhausen ، وكايتاني Cactani ، ولامانس : Lammens ، ونولدكه Noldeke ، وبارتولد Barthold ، كما في الصّفحة ١٧

وكرّر كايتاني في الصّفحة ١٨ ،

ودائرة المعارف الإسلاميّة في الصّفحة ٢٠

وعاد إلى لامانس في الصّفحات : ٢٢ و ٢٣ و ٢٥ و ٤٥ و ٤٨

وإميل كوهن Emil Cohn ، في الصّفحة ٢٥

وفي الصّفحة (٣٥) اعتمد M. Grimme في كتابه (محمد - صلى الله عليه وآله وسلم -) ، الجزء الأوّل Munster - ١٨٩٢

وفي الصّفحة (٤٣) اعتمد B. Roberts في كتابه :

Das Familien - Sklaven und Erbrecht in Qoran, Leipzig 1908

هذه هي مصادر الفصل الأوّل ، أمّا :

الفصل الثّاني : الإمبراطوريّة العربيّة والأُمم المغلوبة :

فن مصادر الأستاذ بندلي :

لامانس في الصّفحة ٥٧ ، ومولر Muller في الصّفحة ٥٩ ، ومولر بيكر
Müller Backer في الصّفحة ٦٣ ، وكولدسيهر Goldziher في الصّفحة ٦٧

وفي الصّفحة ٦٤ جاء في الحاشية : « انظر عن المرجئة كتابي الملل والنحل
للشهرستاني ، وابن حزم ، ومقالة في مجلة Assyriologie ، مج ١٦٩ » .

وفي حاشية الصّفحة ٧٧ جاء حرفياً : « اقرأ عن هؤلاء المتغلبين تاريخ يعقوبي ،
وهو أعرف المؤرخين بهم وبتلك البلاد » .

الفصل الثالث : حركة بابك وتعاليمه الاشتراكية :

اعتمد الأستاذ بندلي في هذا الفصل على :

ثيوفانس Théopane ، وميخائيل السرياني ، وفاسيليف في الصّفحة ٨٠

وثيوفانس وجيسينوس Gesenius ، وأبي الفرج ابن العبري^(١) في الصّفحة ٨١ ، ثمّ
عاد إلى Gesenius ثانية في الصّفحة ٨٢

وفي الصّفحة ١٨٧ اعتمد Weil في كتابه (تاريخ الخلفاء) ، وفي حاشية
الصّفحة ٩٣ : انظر

Grundrissd, iranische philologie, B. 11, s, 558

وفي حاشية الصّفحة ٩٥ : انظر عن حالة الفلاح في أيام بني ساسان كتاب
الأستاذ :

Ar. Christensen: L'empire des Sasanides.

وكرر العودة إليه في الصّفحات : ٩٦ و ٩٩ و ١٠٢

(١) في هامش الكتاب : انظر : أبا الفرج وابن العبري .. خطأ فغريغوريوس بن العبري ، هو أبو الفرج
نفسه .

أمّا في الصّفحة ٩٦ فقد اعتمد مولر Müller ، وفي الصّفحة ١١٥ اعتمد بارتولد .

والأستاذ بندلي أشار إلى :

كتاب المسعودي (التّنبيه والإشراف)^(١) في الصّفحتين : ٧٩ ، و ١٠٨ ، وإلى مروج الذهب الصّفحة ١١٣

وإلى (الكامل في التّاريخ) لابن الأثير في الصّفحتين : ٨٠ ، و ١٢٤

وإلى تاريخ يعقوبي في الصّفحات : ٨٣ ، و ٨٥ ، و ٨٦ ، و ٨٨

وإلى كتاب البغدادي (الفرق بين الفرق) ، في الصّفحات : ٨٣ ، و ٨٩ ، و ٩٠ ، و ٩٢ ، و ٩٩ ، و ١١٦ ، و ١٢١ ، و ١٢٢ ، و ١٣٠

وأحال إلى الطّبري ، في الصّفحات : ٨٩ ، و ٩٠ ، و ١٠٩ ، و ١١١

وأشار إلى (الأخبار الطّوال) للسّديّنيوري ، وفي الصّفحة ٨٧ ، وإلى (معجم البلدان) ، في الصّفحات : ٩٣ و ٩٤ و ١٠٨ ، وإلى (البدء والتّاريخ) لمطهر بن طاهر المقدسي في الصّفحات : ٩١ و ١٠٠ و ١٠١ و ١٠٥ و ١٠٦ و ١١٣

وأحال مرّة إلى الملل والنّحل في الصّفحة ٩٩ ، وإلى رسالة الجاحظ (في محاسن الأتراك) في الصّفحة ١١٨

الفصل الرّابع : الإسماعيليّة :

اعتمد الأستاذ بندلي في هذا الفصل على : دوزي Dozy في الصّفحة ١٢٠ ، وعلى المستشرق الهولندي دي خويه DeGoije في الصّفحات : ١٢٢ و ١٣٢ و ١٣٧ و ١٣٩ ، وفي الصّفحة ١٢٥ : Encyl, Musulmane, livr, P.812 ، وماسينيون Massignon في الصّفحة ١٢٨ و ١٥٠ ، والموسوعة الإسلاميّة في الصّفحة ١٤٠ و ١٤٣

(١) هي في حاشية الكتاب (التّنبيه والإشراف) خطأ .

وأشار إلى (الفرق بين الفرق) في الصفحات : ١٣٣ و ١٣٨ و ١٤٨ و ١٥٦ . وإلى
(مختصر تاريخ آل سلجوق) لعقاد الدّين الأصفهاني في الصفحة ١٣٦ و ١٥٦ ، وإلى
الملل والنحل ، و (الغزالي ؟ !) في الصفحة ١٤٠ ، وإلى ابن بطوطة في الصفحة ١٥٤
الفصل الخامس : القرامطة :

اعتمد الأستاذ بندلي في هذا الفصل على : دي خويه في الصفحات : ١٦٠ و ١٧٥
و ١٧٧ و ١٨٠ و ١٨٤ و ٢٠٥ و ٢٠٦ و ٢١٠ و ٢١٥ و ٢١٦ . وعلى بارتولد (عضو
أكاديمية بطرسبورغ) مرّة واحدة ، في الصفحة ١٦٧

وأشار إلى (تاريخ آل سلجوق) في الصفحة ١٧٧ ، وإلى ابن الأثير ، في
الصفحتين : ١٠٨ و ٢٠٦ . وإلى المسعودي (التنبيه والإشراف) في الصفحة ١٨٧ ،
وإلى (تاريخ الوزراء) لابن طباطبا في الصفحة ١٨٧ ، وإلى (تحفة الأمراء في تاريخ
الوزراء) لهلال الصّابئ ، في الصفحة ١٨٧ ، وإلى الفرق بين الفرق في الصفحات : ١٨٨
و ٢٠٨ و ٢٠٩ ، وإلى (فهرست) ابن النديم في الصفحة ٢١٣ ، وأشار إلى (سفرنامه)
لناصر خسرو في الصفحات : ١٩٣ و ١٩٤ و ١٩٨ و ١٩٩ و ٢٠٠ و ٢٠٢ و ٢٠٦ و ٢٠٩ و
٢١٠ و ٢١٤

الخاتمة :

اعتمد الأستاذ بندلي فيها على فون بوير Von Boer - أحد المشتغلين بالفلسفة
الإسلامية - في الصفحة ٢٢٢ ، وعلى الموسوعة الإسلامية في الصفحتين ٢٢٣ و ٢٢٩ ،
وعلى جولدتسيهر في الصفحة ٢٣٢ ، وبرون Brawne في الصفحة ٢٣٢ و ٢٣٦ ، ودائرة
المعارف الروسية في الصفحة ٢٣٤ ، ومولر في الصفحة ٢٣٦

وأشار إلى ابن بطوطة في الصفحة ٢٢٥ ، وإلى كتاب رئيس فرع الآداب في
جامعة اسطنبول الأستاذ كوبريلي زادة محمد فؤاد ، تحت عنوان : إيلك متصوفلر ، في
الصفحتين : ٢٢٥ و ٢٢٨

لقد كان من المفروض ، بناء على المنهج العلمي في البحث والدراسة ، بدل الاعتماد على مؤلفات المستشرقين الذين سبقوا الأستاذ بندلي ، العودة إلى المصادر العربيّة الأصيلة ، التي أشار إليها بشكل ثانوي عابر ، يقرؤها قراءة تفصيليّة وشاملة ، ويتمثّل ماتّتها تمثلاً سليماً كاملاً ، وهذه هي الطّريق الوحيدة الصّحيحة ، لا الطّريق الوحيدة الممكنة .

الطّريق الوحيدة الصّحيحة ، اعتماد المصادر العربيّة الأصيلة منهلاً وعموداً فقرّياً في البحث ، والإشارة إلى دراسات المستشرقين ، للنقد والتصويب ، لا العكس .

وبنظرة سريعة إلى تراجم أهمّ المستشرقين الذين اعتمدهم الأستاذ بندلي ، نلمس تحييزهم وبعده غالبيتهم عن الحقيقة ، كما قال الأستاذ نفسه في المقدمة عن عددٍ من المستشرقين : « وإنّ هؤلاء المؤرّخين بنّوا أحكامهم ونظرياتهم على تاريخ الغرب وحده ، إذا لم يكونوا يعرفون من تاريخ الشرق إلاّ الشّيء اليسير ، سهل علينا والحالة هذه أن ندرك مقدار ما في أقوال بعض مؤرّخي الغرب عن الشرق وتاريخه من الغرابة والطّيش .. » .

مَنْ هُمْ هَؤُلاءِ الْمُسْتَشْرِقِينَ الَّذِينَ أَعْتَدَهُمُ الْأُسْتَاذُ بِنْدَلِي ؟

ليون كيتاني : Leone Caetani : [١٨٦٩ - ١٩٢٦ م] : مستشرق إيطالي مؤرّخ ، من أهل رومة مولداً ووفاة ، تعلّم في جامعتها ، وقام برحلات إلى الشرق ، ولا سيّما الهند وإيران ومصر والشّام ، وجمع مكتبة عربيّة عظيمة جعلها بعد وفاته للمكتبة الإيطاليّة ، وكان يحسن سبع لغات منها العربيّة والفارسيّة .

ألّف بالإيطاليّة كتاب : (تاريخ الإسلام : Anelli dell Islam) ، طبع منه سنة ١٩٠٥ - ١٩٠٨ م ثمانية مجلّدات ضخمة ، محلاة بالرّسوم والخرائط المفصّلة ، انتهى فيها إلى سنة ٤٠ هجريّة ، وكان يرجو أن يُفَسّحَ في أجله ، ليكمل القرن الأوّل للإسلام في ٢٥ مجلّداً^(١) .

(١) المستشرقون ، نجيب عقيقي : ٤٢٩/١

يوليوس فلهاوزن : Wellhausen : [١٨٤٤ - ١٩١٨ م] : عالم ألماني برز في ميدان الدراسات المتعلقة بالكتاب المقدس بقسميه القديم والجديد ، وباحث في ميدان التاريخ العربي ، درس اللاهوت في جوتينجن ، وفي هذه المدينة نفسها بدأ حياته الأكاديمية سنة ١٨٧٠ م مدرساً في ميدان تاريخ العهد القديم ، وفي سنة ١٨٧٢ م صار أستاذاً لللاهوت في جامعة جرايفستالد ، ولكنه استقال من هذه الوظيفة في سنة ١٨٨٢ م بعد عشر سنين من البحث والتفكير في العهد القديم ، تبين له في أثناءها أنه لا يستطيع فيما بينه وبين ضميره ، أن يظل متمسكاً بفكرة أن الكتاب المقدس وحيّ إلهي ، بل كتبه الناس ، فصار أستاذاً للغات الشرقية في مدينة هاله ، ثم انتقل في سنة ١٨٨٥ م إلى جامعة ماربورغ ، وفي سنة ١٨٩٢ م انتقل إلى جامعة جوتينجن .

من كتبه : (بقايا الوثنية العربية) ، وترجم كتاب (المغازي) للواقدي بعنوان (محمد في المدينة) ، ونشر بعض أشعار الهذليين ، واهتم بتاريخ الدولة العربية ، فأثر اجتهاده (تاريخ الدولة العربية) ، وهو يسرف في تحرره كما يسرف في تطبيق تصوّره الشخصي ، ويعزو إلى مصادر بشكل خاطئ ، وجرى أحياناً وراء الخيال ، أو عمد إلى التهويل ، والأساليب المنقّعة .

فهل يُعتمد فلهاوزن ، عندما ندرس تاريخ الإسلام وحركاته الفكرية ؟!؟

لامانس : Henri Lammens : [١٨٦٢ - ١٩٣٧ م] : مستشرق بلجيكي ، وراهب يسوعي شديد التعصّب ضدّ الإسلام ، يفتقر افتقاراً تاماً إلى النزاهة في البحث ، والأمانة في نقل النصوص وفهمها ، ويُعدُّ نموذجاً سيئاً جداً للباحثين في الإسلام من بين المستشرقين^(١) .

(١) انظر لترجمة هؤلاء المستشرقين : (موسوعة للمستشرقين ، د . عبد الرحمن بدوي ، دار العلم للملايين ، بيروت - ١٩٨٤ ، و (المستشرقون) ، نجيب عقيقي ، طبعة دار المعارف ، الطبعة الرابعة ١٩٨٠ م .

ولد في مدينة خنتُ Gent في بلجيكا ، وجاء إلى بيروت في صباه ، وتعلّم في الكليّة اليسوعيّة ببيروت ، وبدأ حياة الرّهبنة في سنة ١٨٧٨ م ، وفي سنة ١٨٨٦ م صار معلّماً في الكليّة اليسوعيّة ببيروت ، ولما أُسس معهد الدّراسات الشّرقية ضمن كليّة اليسوعيين سنة ١٩٠٧ م ، صار فيه أستاذاً للتّاريخ الإسلامي ، ولما توفّي لويس شيخو سنة ١٩٢٧ م خلفه الأب لامانس على إدارة مجلّة الشّرق .

وإنتاج لامانس يدور حول موضوعين رئيسيين :

١ - السيرة النبويّة ، فكتب : مَهْد الإسلام سنة ١٩١٤ م ، ومكّة عشية الهجرة ١٩٢٤ م ، ومدينة الطّائف العربيّة عشية الهجرة سنة ١٩٢٢ م ، وغربي الجزيرة العربيّة قبل الهجرة ١٩٢٨ م ، والمعابد قبل الإسلام في غرب الجزيرة العربيّة ، وهو في هذه الكتب الخمسة : إنّها يلخّص أبحاث المستشرقين وعلماء الآثار والجغرافية في هذه الموضوعات ، وليس له فيها أيّ إسهام أصيل .

القرآن والسنة كيف ألفت حياة محمّد ، باريس ١٩١٠ م ، هل كان محمّد أميناً ؟ باريس ١٩١١ م ، فاطمة وبنات محمّد ، رومة ١٩١٢ م ، الحكومة الثلاثيّة من أبي بكر وعمر وأبي عبيدة ، بيروت ١٩٠٩ م ، وفي هذه الكتب الخمسة تحامل لامانس على السيرة النبويّة تحاملاً شديداً ، وأبشع ما فعله ، هو أنّه كان يشير في الهوامش إلى مراجع بصفحاتها إشارات إلى كتب أحال إليها غير موجودة إطلاقاً ، أو كان يفهم النّصّ فهماً ملتويّاً خبيثاً ، أو يستخرج إلزامات بتعسّف شديد ، يدلُّ على فساد الذّهن ، وخبث النّيّة ، ولهذا لا يعتمد القارئ على إشاراته إلى مراجع ، لأنّ معظمها تمويه وكذب وتعسّف في فهم النّص ، ولا يُعرّف باحث من بين المستشرقين المحدثين قد بلغ هذه المرتبة من التّضليل وفساد النّيّة .

٢ - بداية الخلافة الأمويّة : وعلى نحو مشابه ، درس لامانس صدر الخلافة الأمويّة ، فصنّف الكتب التّالية : دراسات عن حكم الخليفة الأموي معاوية ، بيروت

١٩٠٧ م ، خلافة يزيد الأوّل ، بيروت ١٩٢١ م ، زياد بن أبيه والي العراق ونائب معاوية الأوّل ، معاوية الثاني (أو آخر السُفيانيين) ، دراسات عن عصر الأمويّين ، مجيء المروانيّين وخلافة مروان الأوّل ، وفي هذه الدّراسات بالغ لامانس في تمجيد الأمويّين بدافع من الحقد الشّديد على الإسلام .

يقول بيكر الألماني^(١) : « لامانس يلوّن شخصيّاته التي يتكلّم عنها جزءاً جزءاً ، لكنّه يقع على اللّون غير الصّحيح » ، فهل يعتمد لامانس - المسرف في تحامله ، والذي يشير إلى مراجع وإشارات غير موجودة على الإطلاق ، والذي يفهم النّص فهماً ملتويّاً خبيثاً .. هل يعتمد ويستشهد بأرائه ومؤلفاته ؟

تيودور نولدكه : Theodor Noldeke : [١٨٣٦ - ١٩٣٠ م] : أمير المستشرقين الألمان ، يتقن العربيّة والسّريانيّة والعبريّة ، حصل على الدكتوراه الأولى سنة ١٨٥٦ م برسالة عن تاريخ القرآن وهو في سنّ العشرين ، سافر إلى فيينا ثمّ إلى ليدين سنة ١٨٥٧ - ١٨٥٨ م حيث أطلع على المخطوطات العربيّة الوفيرة ، وفي سنة ١٨٦١ م عُيّن معيداً في جامعة جيتنجن ، فأقبل على دراسة الشّعريّ القديم ، ثمّ اهتمّ بالنحو العربيّ ، والنحو المقارن للّغات السّاميّة ، فأصدر : (في نحو العربيّة الفصحى) ١٨٩٧ م ، (أبحاث عن علم اللّغات السّامية) ١٩٠٤ م ، (أبحاث جديدة عن علم اللّغات السّاميّة) ١٩١١ م^(٢) .

فالرجل لغويّ نحويّ ، هل يعتمد في : (من تاريخ الحركات الفكرية في الإسلام) ؟ .

(١) وارتحل نولدكه سنة ١٩٢٠ من جامعة استراسبورغ وكان يدرّس فيها منذ ١٨٧٢ ، إلى كارلسروهه في منطقة الراين الأعلى ، إلى منزل ابنه ، وهناك قضى عشر السّنات الأخيرة من حياته .

(٢) صدر الجزء الأوّل سنة ١٨٤٦ ، والثاني ١٨٥٢ ، والثالث ١٨٦٣ . (موسوعة للمستشرقين صفحة : ١٧٢ وما بعدها) .

دُوزِي : Reinhart Dozy : [١٨٢٠ - ١٨٨٣ م] : مستشرق هولندي أُلِع
باللغات ، واختصَّ بالأندلس ، له : أخبار بني عبَّاد عند الكُتَّاب العرب ، وترجم :
تاريخ بني زِيَّان في تِلْمُسان ، وتاريخ الموحدِّين لعبد الواحد المَرَّاكشي ، والبيان
المُغْرِب لابن عذارى . وله أبحاث في التَّاريخ السِّيَاسي والأدبي لإسبانية خلال العصر
الوسيط ، وابتداء سنة ١٨٥١ وطوال عشر سنوات تفرَّغ لتأليف : (تاريخ المسلمين في
إسبانية) .

لويِس ماسينيون : Louis Massignon : [١٨٨٣ - ١٩٦٢ م] : مستشرق
فرنسي ، عرَّف بدراساته في التَّصوُّف الإسلامي عامَّة ، وفي الحلاج^(١) خاصَّة^(٢)

دي خويِه : Michael Jan de Goeje : [١٨٣٦ - ١٩٠٩ م] : مستشرق هولندي
كبير ، اتَّجَهت عنايته منذ البداية إلى الجغرافية العربيَّة ، فكانت رسالة الدكتوراه سنة
١٨٦٠ تحت عنوان : (نموذج من الكتابات الشرقيَّة في وصف المغرب مأخوذ من كتاب
البلدان لليعقوبي^(٣) ، وعني دي خويِه بنشر فتوح البلدان للبلاذري^(٤) ، ونشر لمؤلَّف
مجهول قسماً من : (كتاب العيون والحدائق في أخبار الحقائق) ، والمسالك والممالك
للأصطخري ، وأحسن التَّقاسيم في معرفة الأقاليم ، لأبي عبد الله محمد بن أحمد المقدسي ،
وله العلاقة بين قرامطة البحرين والفاطميين ، أكمله بنهاية دولة قرامطة البحرين .

وأعظم أعماله إشرافه ومشاركته في تحقيق تاريخ الطُّبري (تاريخ الرُّسل
والملوك) .

(١) الحسين بن منصور الحلاج [ت ٣٠٩ هـ = ٩٢٢ م] ، ولد في فارس وتوفِّي في بغداد ، فيلسوف

صوفي ، اتُّهم بالزندقة والقول بالحلل ، فحكَّم عليه وسجن ثماني سنوات في بغداد ، ثمَّ عَذَّب وصُلِب .

(٢) وكان ماسينيون موظِّفاً من موظِّفي وزارة المستعمرات في شبابه ، ثمَّ مستشاراً لها بقيَّة حياته
(الأعلام ٢٤٧/٥) .

(٣) أحمد بن أبي يعقوب [ت ٨٩٧ م] جغرافي مؤرِّخ .

(٤) أحمد بن يحيى [ت ٢٧٩ هـ = ٨٩٢ م] مؤرِّخ اعترف له الجميع بصحَّة الرواية والنَّقد .

براون : Eduard Granvilie Browne : [١٨٦٢ - ١٩٢٦ م] : مستشرق إنكليزي
تخصّص في الأدب الفارسي ، وهو صاحب أفضل وأوسع كتاب في التاريخ الأدبي
الفارسي ، كما اختصّ في طائفة (البائية)^(٣) ، والتي عُرفت فيما بعد (بالبهائية) .

جولدتسيهر : Ignaz Goldziher : [١٨٥٠ - ١٩٢١ م] : مستشرق مجري من
أسرة يهودية ، عُني بالدراسات العربية عامّة ، والإسلامية خاصّة ، أعوزته في أبحاثه
التجربة الخارجية المباشرة ، وكان لديه نوع من التجربة الروحية الباطنة ، له
(دراسات إسلامية) سنة ١٨٨٩ م ، وأشهر أبحاثه وأعظمها نضجاً وتأثيراً ، كتاباه
المشهوران : (محاضرات في الإسلام) سنة ١٩١٠ م ، و (اتجاهات تفسير القرآن عند
المسلمين) سنة ١٩٢٠ م .



هذه نماذج من المستشرقين الذين اعتمدوا الأستاذ بنديلي : كيتاني ، فلهاوزن ،
لامانس ، نولديكه ، دوزي ، ماسينيون ، دي خويه ، براون ، جولدتسيهر ، وهم وإن
تفاوتوا في اقتراحهم من البحث الموضوعي وبعدهم عنه ، فهم يقولون ويكتبون ، ومن
حقّهم ذلك ، ولكن من حقنا تناول أقوالهم بالنقد ، وكتاباتهم بالتحليل والتنفيذ ،
فأراؤهم ينظر إليها بعين الحذر والاحتراز ، لا بعين الركون إليها والاعتداد عليها .

ونظرة الاستشراق السلبية لتراثنا وتاريخنا تزداد جلاء يوماً بعد يوم ، وخصوصاً
بعدها تناوها العلماء العرب المسلمون بالدّرس والنقد والتّوضيح ، وتبيّن أنّ الكثير من
أقوالهم دعاوى بلا سند من تاريخ ، أو حجّة من عقل تُغني عن البيان والسرد .

المستشرقون في كثير من الأحيان يحكمون على التاريخ الإسلامي معتمدين على
قيمهم ومقاييسهم الثقافية الخاصة ، بدلاً من اعتمادهم على المصادر التاريخية بروح علمية
متجردة ، لذلك جاءت بعض آرائهم ضحلة بعيدة عن الحقيقة والتاريخ الصحيح ،
جاعلين أنفسهم في موقف لا يحسدون عليه ، وكأنّهم يتحدثون عن رسالة بأيديهم
مغلقة ، يتكهنون بما فيها ، أو عن مصدرها ، قبل أن يفتحوها ويقرؤوها .

الأستاذُ بِنْدَلِي

وَ

أمانةُ النَّقْلِ مِنَ الْمَصَادِرِ وَدِقَّتُهُ

أولاً نقول : إنَّ الأستاذَ بِنْدَلِي أعاد القارئ الدَّارس بأمانة إلى المصادر العربيَّة التي استقى منها ، كما نقل النُّصوص بدقَّةٍ إلى حدِّ بعيد ، وهذه ميزة - ليست يسيرة - عند الباحثين ، إنَّها شيءٌ يذكر باعتزاز ، فالأمانة في العزْوِ إلى المراجع ، ودقَّة النقل عنها ، صفة للعلماء تذكر .

ونورد هنا أمثلةً ، وإن كان فيها بعض الملاحظات ، إلا أنَّها لاتنقض ماقلناه في الأسطر السَّابقة :

١ - في الصفحة ٦٤ ، ذكر الأستاذ بِنْدَلِي ، مايلي : « أنظر عنها - عن المرجئة - كتاب الملل والنحل للشهرستاني ، وابن حزم » ، دون الإشارة إلى الجزء والصفحة والطبعة ، وكان الأجود أن يذكر : انظر الملل والنحل (للشهرستاني) مع ذكر الجزء والصفحة ، والطبعة التي بين يديه^(١) ، والفصل في الملل والأهواء والنحل (لابن حزم) ، مع ذكر الجزء والصفحة والطبعة التي اعتمدت أيضاً^(٢) .

٢ - وجاء في حاشية الصفحة ٧٧ : « أقرأ عن هؤلاء المتغلبين^(٣) تاريخ يعقوبي ،

(١) الملل والنحل ١/١٣٩ ، طبعة مصطفى الباني الحلبي ، القاهرة : ١٩٨١
(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل ٤/١٩٢ ، طبعة دار المعرفة ، بيروت : ١٩٨٦
(٣) يعني بهم : عمال بني العباس في أرمينية وأذربيجان ، ورؤساء بعض القبائل ..

وهو أعرف المؤرخين بهم وبتلك البلاد ، والأصوب : انظر تاريخ اليعقوبي (مع ذكر الجزء والصفحة والطبعة)^(١) ، ليسهل على القارئ العودة إلى المرجع المعتمد ، والمصدر المقتبس منه .

٣ - وفي نصّ الصفحة ٨٣ جاء : « إنّ الأكراد كانوا يدخلون في دين بابك أفواجاً » ، وجاء في حاشية الصفحة ذاتها : « انظر : الفرق بين الفرق ص ٢٦٦ » ، وما جاء في الصفحة ٢٦٦ التالي : « فدخل في دينه جماعة من أكراد الجبل » .

٤ - ونقل في الصفحة ٨٩ نصّاً عن الطبري ، جاء كما يلي : « إنّ جماعة كثيرة من أهل الجبال (Médie) من همدان وأصبهان وماسبذان ومهرجان قد دخلوا في دين الخرميّة ، وإنهم تجمّعوا فمسكروا في همدان » .

بينما جاء النصّ في الطبري كما يلي : « وفيها دخل - فيما ذكر - جماعة كثيرة من أهل الجبال من همدان وأصبهان وماسبذان ومهرجان^(٢) في دين الخرميّة ، وتجمّعوا فمسكروا في عمل همدان »^(٣) .

٥ - وقال الأستاذ بندلي في الصفحة ٩٠ : « ذكر الطبري أنه لما أسير بابك وجيء به مع أخيه إلى بغداد للمحاكمة ، أو بالأحرى للتعذيب : كانت النساء اللواتي أطلقهن قبلاً من الأسر ، يضربن على وجوههن ، ويبكين حزناً وشفقةً عليه ، فلمّا سألهن حيدر الإفشين عن سبب بكائهن ، أجبنه بأنّ بابك كان يحسن إلينا » .

وما جاء في الطبري (٥٠/٩) لا يتفق مع الحقيقة العلميّة التي أوردها عن الطبري ، فعندما أسير بابك ، لم ينقل مع أخيه إلى بغداد ، بل نُقِلَ إلى (بَرزَنَد)^(٤) ،

(١) تاريخ اليعقوبي : ٤٧١/٢ ، طبعة صادر ، بيروت (بلا تاريخ) .

(٢) مَهْرَجَانْتَقْدُق : كورة حسنة واسعة من نواحي الجبال ، (معجم البلدان : ٢٣٣/٥) .

(٣) الطبري : ١٦٧/٨

(٤) بَرزَنَد : عند الأضطخري : من نواحي أذربيجان ، وقيل : هي بلد من نواحي تفليس من أعمال جَرزَان من أرمينية (معجم البلدان ٢٨٢/١) .

ثم سار به الإفشين إلى سامراء^(١) ، فوصلها في ٢ (أو ٣) صفر سنة ٢٢٣ هـ / ٣ كانون الثاني (يناير) سنة ٨٢٨ م ، فقتل فيها ثم صلب جسده ، وسير أخوه إلى بغداد ، وأمر بضرب عنقه هناك .

٦ - ونقل في الصفحة ٩٠ أيضاً ، عن (الفرق بين الفرق) ص ٢٥٢ : « فقد ذكر أبو منصور البغدادي ، وهو عدو البابكيين الألد ، أن بابك وأتباعه - وأكثرهم على دين زرادشت^(٢) - لم يكونوا يمنعون المسلمين المقيمين بينهم من التمسك بدينهم وإقامة شعائرهم علناً ، بل كانوا يساعدهم على بناء مساجدهم ، حيث كانوا يؤذنون » .

والنص في (الفرق بين الفرق) كما يلي : « وقد بنوا في جبلهم مساجد للمسلمين يؤذّن فيها المسلمون ، وهم يعلمون أولادهم القرآن ، لكنهم لا يصلّون في السر ، ولا يصومون في شهر رمضان ، ولا يرون جهاد الكفرة .. » .

٧ - وفي الصفحة ٩٢ نقل عن البغدادي (الفرق بين الفرق ص ٢٦٧) : « إنّ الخرميين كانوا على مذهب المزدكيين » ، وصوابه : « وكان أهل جبله خرمية على طريقة المزدكية ، فصارت الخرمية مع الباطنية يداً واحدة » ، (الفرق بين الفرق ، ص ٢٦٨) .

٨ - وفي الصفحة ٩٩ نقل عن ابن العبري (مختصر تاريخ الدول) الصفحة ٢٤١ ، قال الأستاذ بندلي : « أورد في كلامه عن سباط بن مهل أحد بطارقة أرمينية ، الذي قبض على بابك وسلمه لأفشين بعد أن خدعه وأهانته ، وهتك حرمة امرأته وأمه وأخته ، ثم نقل حرفياً : إنّ بابك الملعون ، كذا كان يفعل بالناس إذا أسرهم مع

(١) سامراء (سر من رأى) : عاصمة الدولة العباسية أيام المعتصم (سنة ٨٣٦ م) وهي مدينة في العراق شمالي بغداد ، على نهر الدجلة .

(٢) زرادشت : [٦٦٠ ق.م - ٥٨٣ ق.م] ، أركان عقيدته : اعبد الإله أهرمزدا ، مجد الملائكة ، العن الشياطين ، تزوج أقرب قريباتك ، (الحكماء الثلاثة ، لأحد الشنتاوي ، سلسلة اقرأ ، الطبعة الأولى ١٩٥٣ م) ، انظر معبد النار في الملحق .

حرمهم» ، وصوابه - كما أورده ابن العبري ص ١٣٩ - : « فلما ضاق أمره خرج هارباً ومعه أهله إلى بلاد الروم في زِيِّ التُّجَّار ، فعرفه سهل بن سُنْباط الأرمني بعدما ارتكب الأرمن من أمّه وأخته وامراته الفاحشة بين يديه ، وكذا كان يفعل الملعون بالناس إذا أسرهم مع حرمهم » .

٩ - وقال في حاشية الصّفحة ١٢٢ : « كان عدد الرُّتب في أوّل الأمر سبعة^(١) ، ثمّ أصبح تسعة ، وكان لكلّ درجة اسم يلائم العلم الذي كان يتلقاه المدعو في تلك الدرّجة ، وهذه أسماء الدرّجات : التَّفْرُس ، التَّانيس ، التَّشكيك ، التَّعليق ، الرُّبَط ، التَّدليس ، التَّأسيس ، وأغفل الأستاذ بندلي - كما جاء في الصّفحة ٢٨٢ في الفرق بين الفرق الذي أشار إليه مرجعاً - أغفل المرتبتين الثامنة والتاسعة ، وهما : « المواثيق بالأديان والعهود ، وآخرها الخلع والسُّلخ » .

١٠ - جاء في الحاشية (ص ١٢٦) : « وقالوا أيضاً لدعاتهم^(٢) : لا تطرحوا بذركم في أرض سبخة^(٣) ، وأرادوا بذلك منع دعائهم عن إظهار بدعتهم عند من لا تؤثّر فيهم بدعتهم ، كما لا يؤثّر البذر في الأرض السبخة أيضاً » ، (الفرق بين الفرق ، ص ٢٨٣) ، وصوابه : « كما لا يؤثّر البذر في الأرض السبخة شيئاً ، وسمّوا قلوب أتباعهم الأغنام أرضاً زاكية لأنها تقبل بدعتهم .. » .

١١ - وفي الصّفحة ١٣٤ ، وبعد أن طرح الشبه التي يطرحها الباطنيّة « من غلاة الرّافضة كالسبائيّة^(٤) » أغفل الأستاذ بندلي الرّد الذي نقل النّص منه ، وهو (الفرق بين الفرق ، ص ٢٨٤ و ٢٨٥) فشوّه المعنى .

(٢١) الحديث هنا عن (الإسماعيليّة) في الفصل الرّابع ، من ص ١١٧ وحتى ص ١٥٨

(٣) الأرض السبخة : الأرض المالحة ، (اللسان : سَبَخَ) .

(٤) صوابها (السبائيّة) أصحاب عبد الله بن سبأ ، أوّل من أظهر القول بالنّص بإمامة علي رضي الله عنه ،

ومنه انشعبت أصناف الغلاة ، كما يذكر الشهرستاني في الملل والنحل (١٧٤/١) .

والنصُّ كاملاً كما جاء في المرجع المذكور ، هو التالي : « ومن رآه من غلاة الرافضة كالبائية والبيانية والمغيرية والمنصورية والخطابية^(١) ، لم يحتج معه إلى تأويل الآيات والأخبار ، لأنهم يتأولونها معهم على وفق ضلالتهم ، ومن رآه من الرافضة زيدياً أو إمامياً^(٢) مائلاً إلى الطعن في أخبار الصحابة ، دخل عليه من جهة شتم الصحابة ، وزين له بغض بني تميم لأن أبا بكرٍ منهم ، وبغض بني عدي ، لأن عمر بن الخطاب كان منهم ، وحثه على بغض بني أمية لأنه كان منهم عثمان ومعاوية ، وربما استروح الباطني في عصرنا هذا إلى قول إسماعيل بن عبّاد :

دُخُولُ النَّارِ فِي حُبِّ الْوَصِيِّ^(٣) وَفِي تَفْضِيلِ أَوْلَادِ النَّبِيِّ
أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ جَنَاتِ عَدْنٍ أَخْلَدُهَا بِتَيْمٍ أَوْ عَدِيٍّ

قال عبد القاهر : قد أجبنا هذا القائل بقولنا فيه :

أُتِطَمَعُ فِي دُخُولِ جَنَّاتِ عَدْنٍ وَأَنْتَ عَدُوُّ تَيْمٍ أَوْ عَدِيٍّ
وَهُمْ تَرَكَوْكَ أَشْقَى مِنْ تَمُودٍ وَهُمْ تَرَكَوْكَ أَفْضَحَ مِنْ دَعِيٍّ
وَفِي نَارِ الْجَحِيمِ غَدَاً سَتَصَلِّي إِذَا عَادَاكَ صِدِّيقُ النَّبِيِّ

ومن رآه الداعي مائلاً إلى أبي بكر وعمر مدحهما عنده ، وقال : لهما حظٌّ في تأويل الشريعة ، ولهذا استصحب النبيُّ أبا بكرٍ إلى الغار ثم إلى المدينة ، وأفضى إليه في الغار

(١) من غلاة الشيعة : المغيرية فهم أصحاب المغيرة بن سعيد العجلي ، الذي ادعى أن الإمامة بعد محمد بن علي بن الحسين في محمد النفس الزكية بن عبد الله بن الحسن بن الحسن ، وزعم أنه حي لم يموت ، والمنصورية : أصحاب أبي منصور العجلي ، الذي زعم أن الرسل لا تنقطع أبداً . والخطابية : أصحاب أبي الخطاب محمد بن أبي زينب الأسدي ، الذي زعم أن الأئمة أنبياء ثم آلهة . والبيانية : أصحاب بيان بن سمان التيمي ، قال بالوهية علي (الملل والنحل ١/ ١٧٦ - ١٧٨ - ١٧٩) .

(٢) الزيدية : أتباع زيد بن علي بن الحسين ، قالوا : بجواز إمامة المفضل مع وجود الأفضل ، فهم لا يتبرؤون من أبي بكر وعمر . والإمامية : هم القائلون بإمامة علي بعد النبي ﷺ نصاً ظاهراً وتعييناً صادقاً ، (الملل والنحل ١/ ١٦٢) .

(٣) الوصي : هو عليّ كرم الله وجهه .

تأويل شريعته ، فإذا سأله الموالى لأبي بكر وعمر عن التأويل المذكور لأبي بكر وعمر أخذ عليه العهود والمواثيق في كتان ما يظهره له . ثم ذكر له على التدرّج بعض التّأويلات ، فإن قبلها منه أظهر له الباقي ، وإن لم يقبل منه التّأويل الأول ربطه في الباقي وكتبه عنه ، وشكّ الغرّ من أجل ذلك في أركان الشريعة . »

١٢ - وجاء ضمن النصّ في الصّفحة ١٤٦ : « وهذا ما لاحظته وأشار إليه أبو منصور بقوله : (إنّ الشعوبية كانت تدخل في دين الإسماعيلية وتؤيده) » ، والمرجع هنا : (الفرق بين الفرق ، ص ٢٨٥) .

بينما الذي جاء في الصّفحة ٢٨٥ المذكورة ، ما يلي حرفياً : « والصنّف الثاني الشعوبية الذين يرون تفضيل العجم على العرب » .

١٣ - وفي نصّ الصّفحة ١٦٨ فقرة نُقلت عن (الكامل في التاريخ) لابن الأثير ، جاءت كما يلي : « أمّا من وقع في الأشر فإنه قتل بأمر من أبي سعيد^(١) انتقاماً للقرامطة » ، والنصّ في المصدر المذكور ، فيه كلمة (وحرّقهم) : « فإنّه قتل بأمر من أبي سعيد وحرّقهم » .

١٤ - وفي حاشية الصّفحة ١٦٩ ، جاءت الحاشية الأولى كما يلي : « أنظر التاريخ الكامل لابن الأثير » ، وصوابه : « أنظر الكامل في التاريخ لابن الأثير » .

١٥ - وفي الصّفحة ٢٠٦ أورد الأستاذ بندلي النصّ التالي من (الكامل في التاريخ ١٨٨/٦) : « فقال له - علي بن عيسى - : قد خالطت عسكرينا وعرفتهم ، فمن منهم على مذهبك ؟ فقال : وأنت بهذا العقل تريد الوزارة ؟! كيف تطمع مني أنني أُسليم قوماً مؤمنين إلى قومٍ كافرين يقتلونهم ؟ لأفعل ذلك » ، وصوابه : « .. فقال : وأنت

(١) أبو سعيد الحسن بن بهرام الجنّابي : [ت ٣٠١ هـ = ٩١٣ م] ، داعي القرامطة ، أقامه حمدان قرمط في فارس ثم في البحرين حيث نشر الدّعوة القرمطية ، استولى على البحرين وهجر واليامة وبنّان ، اغتيل في الأحساء .

بهذا العقل تُدبّر الوزارة ؟ كيف تطمع مني أنني أسلم قوماً مؤمنين إلى قومٍ كافرين يقتلونهم ؟ » .

١٦ - وفي نصّ الصّفحة ٢٠٨ ، وفي معرض حديثه عن القرامطة : « تأوّلوا لكلّ ركن من أركان الشريعة تأويلاً يورث تضليلاً ، فزعموا أنّ معنى الصّلاة موالاة إمامهم ، والحج زيارته وإدمان خدمته ، والمراد بالصّوم الإمساك عن إفشاء سرّهم بغير عهد ولا ميثاق ، وزعموا أنّ من عرف معنى العبادة ، سقط عنه فرضها ، وحلوا اليقين على معرفة التّأويل » . وصوابه : « .. والمراد بالصّوم الإمساك عن إفشاء سرّ الإمام دون الإمساك عن الطّعام ، والزّي عندهم إفشاء سرّهم بغير عهد وميثاق .. » ، (الفّرّق بين الفّرّق ص ٢٨٠) .

١٧ - ونقل عن (التّنبية والإشراف) للمسعودي ، أكثر من مرّة ، منها ماورد في الصّفحة ١٠٨ : « نواحي أصبهان والبرج وكرج أبي دكث والزّين ززّ معقل وزردلف ، ورستاق الوردسنان وقسم وكودشت من أعمال الصيرة من مهرجان قذف وبلاد السيران وأربوجان من بلاد ماسبندان وماء الكوفة ، وماء البصرة وأذربيجان وأرمينية وقم وقاشان والرق وخراسان وسائر أرض الأعاجم » .

وصواب النصّ^(١) : « ومن منهم بنواحي أصبهان والبرج وكرج أبي دلف والزّين ززّ معقل وززّ أبي دلف ورستاق الوردسنان وقسم وكودشت من أعمال الصيرة من مهرجان قذق وبلاد السّيروان وأربوجان من بلاد ماسبندان وهمدان وماء الكوفة وماء البصرة وأذربيجان وأرمينية وقم وقاشان والرّي وخراسان وسائر أرض الأعاجم وغيرها وما بينهم من التّنازع .. » .

(١) التّنبية والإشراف ، ص ٣٠٦ ، طبعة المكتبة العصريّة في بغداد سنة ١٩٣٨ م .

١٨ - ونقل الأستاذ عن (سَفْرَنامه) لناصر خسرو الكثير في فصل (القرامطة) ،
وأثرنا هنا أن نعرض النَّصَّ كما أورده الأستاذ ، وإلى جانبه النَّصُّ كما في التَّرْجمة العربيَّة
لِسَفْرَنامه^(١) :

النَّصُّ كما في التَّرْجمة العربيَّة	النَّصُّ كما أورده د. بندلي
<p>الصفحة ١٤٢: «ولهؤلاء الحكام الآن قصر منيف، هو دار ملكهم، وبه تخت يجلسون هم السُّنة عليه ويصدرون أوامره بالتَّفاق، وكذلك يحكمون، ولهم ستة وزراء، فيجلس الملوك على تخت والوزراء على تخت آخر، ويتداولون في كلِّ أمر، وكان لهم في ذلك الوقت... (يتبع أدناه):</p>	<p>الصفحة ١٩٣: «وأحفاذ [حَفْدة] أبي سعيد يقيمون الآن في قصر واسع يعرف (بدار الهجرة)، وهذا القصر هو دار الحكومة أيضاً، حيث يوجد التَّخت الَّذي يجلس عليه الوزراء السُّنة الَّذين يضعون الأحكام بعد أن يبحثوا فيها ويتَّفقوا على رأي واحد، ولهؤلاء ستة مساعدين يقعدون على تخت آخر وراءهم، ولا يقرر المجلس أمراً إلاَّ بالشُّورى».</p>
<p>... ثلاثون ألف عبد زنجي حبشي، يشتغلون بالزراعة وفلاحة البساتين، وهم لا يأخذون عشوراً من الرُّعيَّة وإذا افتقر إنسان أو استدان يتعهدونه حتَّى يتيسَّر عمله، وإذا كان لأحدهم دَيْن على آخر، لا يطالبه بأكثر من رأس المال الَّذي له... (يتبع أدناه):</p>	<p>الصفحة ١٩٨: «ثلاثون ألفاً من السُّودان يشتغلون في الحقول والبساتين على حساب العقديَّة، وهي الحقول التي اشترتها بمال الأُمَّة، وإنَّ الشَّعب هناك لم يكن يؤدِّي لحكومته ضرائب، ولا أعشاراً، وأنَّه إذا كان يصيب أحدهم فقر، أو كان يقع تحت دَيْن لا سبيل إلى وفائه، كانت العقديَّة</p>

(١) سَفْرَنامه ، طبعة دار الكتاب الجديد ، وهي النسخة التي نقلها إلى العربيَّة د . يحيى خشاب ، اعتماداً على طبعة (شارل شيفر Charles Schefer) التي اعتمدها د . بندلي ، يقول د . خشاب ص ٣٢ : « بل إنِّي أكاد أكون قد نقلتها نقلاً لما تحتويه من سعة العلم وعظيم الفائدة » ، لقد نقلها حرفياً مع تعليقات شارل شيفر أيضاً .

تسلفه ما يحتاج إليه من الدراهم إلى أن يصلح حاله، وكان إذا استدان من أحد دراهم لا يدفع له عند حلول الأجل إلا ما استدانه فقط أي بلا ربا» .

الصفحة ١٩٨: «إن كل غريب يدخل الأحسا ويعرف حرفة ما كانت الحكومة -إذا أراد- تقدّم له مبلغاً من النقود لينفقه على اشتراء أدوات حرفته ويبقى تحت تصرفه إلى أن يجمع من المال ما يكفيه ويكفي أسرته، فإن هو اشتغل وكسب ردّ ما استلفه إلى الحكومة بدون ربا» .

الصفحة ١٩٩: «إن في الأحسا طواحين تخصّ الحكومة، وهي تطحن للناس قمحهم مجاناً، أي بدون أجر، لأنّ الحكومة نفسها تنقد الفعلة أجورهم وتقوم بجميع نفقات الطواحين» .

الصفحة ١٩٩ (أيضاً): «لم يبقَ في البلاد فقير، وإن مجلس العقدانيّة ضربَ نقوداً جديدة لم تكن متداولة إلا في البحرين والبلاد المتاخمة لها، وكان غرضه من ذلك أن تبقى النقود في البلاد، ولهذا سكّها من رصاص، فكانت لذلك رخيصة جداً حتى

... وكل غريب ينزل في هذه المدينة وله صناعة يعطى ما يكفيه من المال حتى يشتري ما يلزم صناعته من عدد وآلات، ويرد -إلى الحكام- ما أخذ حين يشاء» .

الصفحة ١٤٣: «وفي الحسا مطاحن مملوكة للسلطان، تطحن الحبوب للرعيّة مجاناً، ويدفع فيها السلطان نفقات إصلاحها، وأجور الطحّانين» .

الصفحة ١٤٣ (أيضاً): «والبيع والشراء والعطاء والأخذ يتمّ هناك بواسطة رصاص في زناييل^(١) يزن كل منها ستة آلاف درهم، فيدفع الثمن عدداً من الزناييل، وهذه العملة لا تسري في الخارج» .

(١) الزناييل: الجراب، أو الوعاء يُحمّل فيه، والزناييل: القفّة، (اللسان: زيل) .

إنَّ من أراد أن يبتاع شيئاً في السُّوق كان مضطراً أن يملأ من تلك النُّقود زناييل يضع في كلِّ منها ستَّة آلاف درهم..».

الصَّفحة ١٤٤: «ولا يشربون مطلقاً».

الصَّفحة ٢٠٢: «إنَّهم لا يشربون خمرأ، لا لأنَّه كان محرَّماً عندهم بل محافظة على النظام».

الصَّفحة ١٤٤ (أيضاً): «وإذا صلَّى أحدٌ فإنَّه لا يُمْنَع، ولكنهم أنفسهم لا يَصَلُّون».

الصَّفحة ٢٠٩: «وليس في الأحسا مسجد تقام فيه صلاة الجمعة وهم لا يخطبون ولا يصلُّون إلاَّ أنَّهم (سمحوا) ببناء مسجد على حساب أحد الفُرْس السُّنِّيِّين.. ولا ينعون هنا أحداً من إقامة الصَّلَاة، أمَّا هم فلا يقيمونها».

الصَّفحة ١٤٤ (أيضاً): «وفي الحسا تباع لحوم الحيوانات كُلِّها، من ققط وكلاب وحمير وبقر وخراف وغيرها، ويوضع رأس الحيوان وجلده بقرب لحمه ليعرف المشتري ماذا يشتري، وهم يسمُّون الكلاب هناك كما تُعَلَّف الخراف، حتى لا تستطيع الحركة من سمنها، ثم يذبحونها ويبيعون لحمها».

الصَّفحة ٢٠٩ (أيضاً): «إنَّهم كانوا يبيعون في الأحسا لحوم جميع الحيوانات كالققط والكلاب والحمير والثيران والخرافان إلخ.. على شرط أن يضع البائع رأس الحيوان وجلده قرب لحمه، وهم يربون الكلاب كالخرفان في المراعي حتَّى إذا سمت وعجزت عن الجري ذبحوها وأكلوها».

الصَّفحة ١٤٥: «وفي الحسا تمرُّ كثير حتَّى إنَّهم يسمُّون به المواشي، ويأتي وقت يباع فيه أكثر من ألف منه بدينار».

الصَّفحة ٢١٤: «وفي الأحسا يكثر البلح حتَّى إنَّ النَّاس يعلفون به الغنم»، وهم «يبيعون الألف منه بدينار».

مِنْ تَارِيخِ الْحَرَكَاتِ الْفِكْرِيَّةِ فِي الْإِسْلَامِ دِرَاسَةٌ وَتَقْدُّمٌ

كان أمامي خياران لعرض هذا الفصل ، الخيار الأول : إيراد الملاحظات المتعلقة في الموضوع الواحد ، كالسيرة النبوية ، وتاريخ صدر الإسلام ، والدولة الأموية .. ضمن فقرة واحدة ، وإن تباعد ورودها في الكتاب ، والخيار الثاني : إيراد الملاحظات حسب تسلسل ورودها ضمن الفصل الواحد .

وارتضيت الخيار الثاني لأتجنب إضافات وحواشي وإيضاحات عن الفقرات التي سنوردها ، لتوضيح عن تتحدث ، ومن تعني ، والضمير فيها إلى من يعود .

وقبل البدء في فصول الكتاب الخمسة ، نورد ملاحظة ، جاءت في المقدمة (وحدة النواميس الاجتماعية) ، وهي : المقدمة كلها تنفيذ لبعض أقوال مؤرخي الغرب عن الشرق وتاريخه ، وما فيها « من الغرابة والطيش » ، وخصوصاً (رينان) الفرنسي الذي قال : « إن تطور الأمم السامية الديني كان يقوم دائماً على نواميس أخرى » ، غير نواميس الأمم الغربية ، ويقول الأستاذ بندلي : « هذه النظرية أصبحت اليوم في خبر كان .. إن الزمان تولى دحضها بنفسه » ، عاداً مثل هذه الفكر ، أفكاراً عقيدة فاسدة .. إلى آخر هذا الدفاع المجيد (والموضوعي العلمي) عن تاريخ أمتنا ، إلا أن الأستاذ بندلي ، بدأ مقدمته (ص ١١) بالفقرة التالية : « إذا نحن عرفنا أن أول من وضع مبادئ علم التاريخ وأساليب الانتقاد التاريخي ، هم مؤرخو الغرب كنيبور (Niebhur) ، ورانكه (Ranke) ، وشلوسر (Schlosser) وغيرهم .. » ، ونتساءل : هل حقاً أن هؤلاء المؤرخين الغربيين ، هم أول من وضع مبادئ علم التاريخ وأساليب الانتقاد التاريخي ؟ أين هؤلاء من عبد الرحمن بن خلدون المتوفى سنة ١٤٠٦ م ، هؤلاء المؤرخون الغربيون ، عاشوا في القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين ؟!

لقد كانت مقدمة كتابه : (العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر) صورة حيّة للحياة الاجتماعية في مختلف البيئات التي تقلب فيها ابن خلدون ، وللعصر الذي انقضت فيه حياته ، لقد وضعها بعد أن شعر بنقص التاريخ كما يفهمه المؤرخون ، إذ يقتصرون على سرد الوقائع والأسماء ، فمقدمته (نقد تاريخي) مع تعليل وتفهم وتفسير .

ثم إنَّ المقدمة علّلت الظواهر الاجتماعية ، وأوضحت أثر السكن على الحياة الاجتماعية ، ودرست الظواهر الاقتصادية ، فيكون ابن خلدون بذلك قد بحث في علم الاقتصاد والسياسة والاجتماع وال عمران ، ويمكن القول : إنه وليح ميدان ما يسمّى اليوم (فلسفة التاريخ) .

والكتب التي تتعلّق بفلسفة التاريخ مباشرة ، ظهرت بعد تأليف ابن خلدون لمقدمته ، مثل : كتاب (الأمير) لميكافيلي الإيطالي^(١) ، و (الحكومة المدنية) لجون لوك الإنكليزي^(٢) ، و (العالم الجديد) لجان باتيستافيكو الإيطالي^(٣) ، و (طبائع الأمم وفلسفة التاريخ) لثولتير الفرنسي^(٤) ، و (آراء فلسفية في تاريخ البشرية) لهردر الألماني^(٥) .. وكلهم اقتبسوا منه في كتبهم .

وسبق ابن خلدون في مقدمته (علماء الاجتماع) بقرون ، سبق غرييل تارد - الفيلسوف الفرنسي - بالقول بالمحاكاة والتقليد^(٦) ، وسبق دوركهايم الفرنسي^(٧) بالقول

(١) ميكافيلي : [١٤٦٩ - ١٥٢٧ م] .

(٢) جون لوك : [١٦٣٢ - ١٧٠٤ م] .

(٣) جان باتيستافيكو : [١٦٦٨ - ١٧٤٤ م] له : العلم الحديث ، ومبادئ الفلسفة التاريخية .

(٤) فرانسوا ثولتير : [١٦٩٤ - ١٧٧٨ م] .

(٥) هردر : [١٧٤٤ - ١٨٠٣ م] أهم كتبه : أفكار حول فلسفة التاريخ البشري .

(٦) وكان ابن خلدون أعمق ، لأنه أعطى رأياً متميزاً ، وعدّ التقليد ظاهرة ضعف ، لادلالة قوّة .

(٧) إميل دوركهايم : [١٨٥٨ - ١٩١٧ م] .

بالقسر الاجتماعي ، وأنَّ الإنسان ابن مجتمعه ، والظاهرة الاجتماعية هي تفرض نفسها على الأفراد ، ووجه الشبه بينه وبين جان جاك روسو^(١) واضحة من حيث الإيمان الشديد بحياة التَّشْفُّف ، وبينه وبين نيتشه^(٢) في نظريَّة الحقِّ للقوَّة ، وله لمحات لتفسير الظواهر السياسيَّة بالعامل الاقتصادي^(٣) .

ليس ابن خلدون رائداً في علم الاجتماع السُّكوني ، بل هو رائد في علم الاجتماع الحركي ، بدليل أنه لم يدرس المدن الفاضلة ، بل درس المدن القائمة ، ووازن بين ما كان وما صار .

كان ابن خلدون شغوفاً بالتَّاريخ ، ومع معاناته للسياسة ، جاءت تجربته غنيَّة ، وبعد هذا كلُّه ، هل يصح قول الأستاذ بندلي : « إنَّ أوَّل من وضع مبادئ علم التَّاريخ وأساليب الانتقاد التَّاريخي هم مؤرِّخو الغرب كنيبور ، ورائكه ، وشلوسر ؟ » ، وهل سبق هؤلاء ابن خلدون حقاً ؟



(١) جان جاك روسو : [١٧١٢ - ١٧٧٨ م] .

(٢) نيتشه : [١٨٤٤ - ١٩٠٠ م] .

(٣) من الأفكار الهامة التي عرضها ابن خلدون في (مقدّمته) نظريّته في العمل والقيمة ، حيث ردّ القيمة إلى العمل المبذول في إنتاج السلعة ، يقول ابن خلدون بصريح العبارة : « وقد يكون مع الصُّنائع في بعضها غيرُها ، مثل النُّجارة والحياكة معها الخشب والغزل ، إلا أنَّ العمل فيها - أي في النُّجارة والحياكة - أكثر ، فقيمتُه أكثر » ، وعلى هذا فإن العبرة في تقويم سلع الإنتاج هي بكميَّة العمل التي بذلت لتحصيلها ، ذلك أن العمل المبذول في صناعة قِطْع الأثاث أكبر من العمل الذي بُذِل في قطع الأشجار ، والعمل المبذول في النسيج أكبر منه في الغزل ، ولهذا يجب أن يجري تقويم كل نوع منها وفقاً لذلك ، فيكون الأوَّل أعلى من الثاني .

ويلجُ ابن خلدون في توكيد معنى استمداد القيمة من العمل عدة مرَّات في مقدّمته : « فلا بُدَّ في الرِّزق من سمي وعمل » . انظر : (دور العرب في تكوين الفكر الأوربي) ، د . عبد الرحمن بدوي ، ص ١٣٩ وما بعدها ، دار القلم بيروت ، الطبعة الثالثة : ١٩٧٩ م .

الفصل الأول : أسس الإسلام الاقتصادية

جاء في الصفحة ١٧ : « إنَّ القول بأنَّ الإسلام فكرة دينية محضة ، وإنَّ ظهوره وتغلُّبه على وثنية العرب ، وانتشاره السريع بين أكثر أمم الشرق ، وفتوحات الخلفاء الراشدين وبنو أمية الواسعة ، ترجع إلى الحماسة الدينية ، أو التعصب الديني ، يعدُّ اليوم قولاً جزافاً بعيداً عما أثبتته الأبحاث التاريخية والاقتصادية ، كأبحاث الأستاذ يوليوس فلهاوزن Wellhausen ، والأمير كيتاني Caetani ، والأستاذ هنري لامانس H.Lammens ، ونولدكه Noldeke ، وعضو أكاديمية بطرسبرج بارتولد Barthold وغيرهم ، فقد أصبح اليوم من المقرر أنَّ الإسلام كغيره من الأديان الكبيرة ليس فقط فكرة دينية ، بل مسألة اقتصادية واجتماعية أكثر من فكرة دينية ، قال الأمير كيتاني : إن الإسلام لم يكن حركة دينية ، إذ لم يكن فيه دينياً إلا الظاهر .

ردُّ صحيح من الأستاذ بندلي على قول خاطئ ، بأنَّ الإسلام فكرة دينية محضة ، وموقف يدلُّ على سعة تحقيقاته حول هذا الأمر ، وما أوردته أبحاث بعض علماء العالم من أنَّ الإسلام هو دين وأمور أخرى تتعلق بالجوانب الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، مما نستطيع معه أن نصل إلى أنَّ الإسلام نظام عام شامل للحياة الدينية والدينية ، لكنه كإنسان يؤمن بدين آخر ، أو بنظام آخر ، زعم أنَّ الإسلام هو من تأسيس نبي الإسلام ورسوله - محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وآله وسلم) - وهذا ما جعله يعدُّ نبي الإسلام رجلاً عبقرياً ، أدركَّ ببعد نظره ، وسعة أفقه ، وحِدَّة ذكائه ، أي بعبقريته حاجات مجتمعه وظروفه ، فشرَّع ما يحتاج إليه الناس ، وربَّما أوجد بذلك دليلاً - عن غير قصد - يدلُّ به على نبوة نبي الإسلام ، فكلُّ من يدرس سيرة نبي الإسلام وبيئته الاجتماعية والثقافية ، يثبت له استحالة ما تصوَّره الأستاذ بندلي من عبقرية .

هذا ، وقول الأستاذ بندلي : « إنَّ القول بأنَّ الإسلام فكرة دينية محضة .. يعدُّ

اليوم قولاً جزافاً بعيداً عما أثبتته الأبحاث التاريخية والاقتصادية كأبحاث الأستاذ فلهـاوزن Wellhausen ، والأمير كايـتـاني Caetani ، والأستاذ هنري لامانس A.Lammens .. » ، ليس هذا جديداً ، فالمسلم يعلم يقيناً ، أن الإسلام دينٌ ودنيا ، حياةٌ وآخرة ، معاملات وعبادة .. منذ أيامه الأولى : ﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً ﴾ ، [البقرة ٢٠٢/٢] ، وقول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : « أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً »^(١) ، ويعرف أن الدين المعاملة .

ولكن الإسلام يتميز عن غيره من الشرائع ، أنه ربط الدنيا والحياة والمعاملات بالعقيدة ، بمثل أعلى فيه خير المجتمع ، وفيه انطلاقة من العقيدة التي حدت السلوك القويم لهذه المعاملات ، والتي تنظم العلاقة الفطرية السلية بين (الأنا) والمجتمع ، ضمن أسس : ﴿ فَلكُمْ رُؤُوسٌ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴾ ، [البقرة ٢٧٩/٢] .



وجاء في الصفحة ١٩ : « معلوم أن الإسلام ظهر في مكة ، وما كان ليظهر إلا فيها ، لأن الشروط الضرورية لظهوره لم تكن يومئذ متوافرة في غير مدينة من مدن العرب » .

ما هذه الشروط ؟ إنها كثيرة ، منها :

- ١ - كانت مكة محطة للقوافل ، مدينة تجارية غنية .
- ٢ - مركزاً دينياً مهماً لقسم كبير من البلاد العربية ، تحج إليه كل سنة الألوف ، وألوف الألوف من جميع أطراف العالم العربي لزيارة الكعبة المشرفة ، وإقامة شعائر الحج فيها مدة ثلاثة أشهر .

(١) رواه الترمذي : رياض الصالحين : ٢٧٣ ، ومجموع آيات القرآن الكريم ٦٣٤٢ آية ، منها خمس مئة آية فقط تبحث الأحكام ، وأقل من نصف هذه يبحث في شؤون التشريع والفقهاء ، بينما ما يقرب من ٤٠٠٠ آية تدعو باستمرار إلى استعمال العقل والفكر ، وإلى استنباط الحقائق العلمية من الطبيعة .

« الإسلام ظهر في مكة ، وما كان ليظهر إلا فيها » ، لأنَّ شروطاً وظروفاً توافرت فيها دون أن تتوافر في غيرها من المدن ، فهو أمرٌ فيه الكثير من المبالغة ، والبعد عن الواقع ، فقد كانت مدنٌ أخرى كثيرة تعاني ما يعانيه أهل مكة ، من ظلم اجتماعي وسياسي واقتصادي وانهايار خلقي .

لقد كانت هناك مدنٌ أخرى كثيرة محطّات تجاريّة غنيّة ، وليس من الصّوري أن تكون دعوة الإسلام في مدينة كانت مركزاً دينياً يحجُّ إليها العرب الوثنيون ، أمّا شعائر الحجّ فهي تمّ في أيّام لا تتجاوز الثلاثة ، ولا أدري إن كان الأستاذ بندلي يقصد بالأشهر الثلاثة الأشهر الحُرْم ، حيث يتوقّف القتال بين القبائل ، وهي أربعة أشهر ، وليست ثلاثة .



ورد في الصّفحة ٢٤ : « وكان أكثر هؤلاء الخفراء من الأحابيش أو عبيد إفريقية ، وكان عددهم يزداد سنة عن سنة ، حتّى تألّف منهم جيشٌ منظمٌ كان يقوم بنفقاته تجّار مكة » .

وصواب العبارات السّابقة : جاء في (لسان العرب) مادّة (حَبَشَ) : الأحابيشُ : أحياءٌ من القارّة انضمّوا إلى بني ليث في الحرب التي وقعت بينهم وبين قريش قبل الإسلام ، سُمّيت تلك الأحياء بالأحابيش من قبَلِ تجمّعها ، صار التّحبيش في الكلام كالتّجميع ، وحُبشي : جبل بأسفل مكة ، يقال منه سُمّي أحابيشُ قريش ، وذلك أنّ بني المصطلق وبني الهون بن خزيمه اجتمعوا عنده فحالفوا قريشاً ، وتحالفوا بالله إنّنا ليدّ على غيرنا ما سجّنا ليل ، ووضع نهار ، وما أرسى حُبشي مكانه ، فسُمّوا (أحابيش قريش) باسم الجبل ، فالأحابيش ليسوا عبيد إفريقية ، أو جالية حبشيّة قطعاً و يقيناً .



ويقول الأستاذ بندلي (الصَّفحة ٢٥) : « [كان] الرِّبَا في مَكَّة فاحشاً جداً يتراوح بين ٤٠ و ١٠٠ في المئة^(١) ، أي كما هي اليوم في كثير من البلاد ، ولولا ذلك لما حمل صاحب القرآن الكريم حملاته المعروفة على المرابين والرِّبَا ، بل لما منع الرِّبَا ولعن المرابين على كلِّ صفحة من صفحات سُورَةِ المَكِّيَّةِ » .

أولاً : جعل الأستاذ بندلي مصدر معلوماته هذه ، مؤلِّفات الأب اليسوعي هنري لامانس ، وهو مبشِّر متعصِّب معاصر^(٢) ، مَقَّتَه قومُه لبعده المفرط عن الحقيقة ولحقده وغلوُه ، فهل يمكننا الرُّكون إلى أقواله والاعتاد والبناء عليها ؟

ثانياً : وعبارة (صاحب القرآن الكريم) تدلُّ دلالة واضحة على أنَّ القرآن الكريم من عند محمد بن عبد الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، ولا شكَّ أنَّ هذا مخالف للحقِّ الَّذِي يَعْتَقِدُهُ المسلمون ، ويعرفه عنهم غيرهم ، وكان يجب عليه مراعاة لمقتضيات الواقع ، والبحث العلمي النَّزيه ، أن يشير إلى ذلك بصراحة ، ثمَّ يبحث عن الحكمة الَّتِي ترمي إليها آيات القرآن الكريم من تحريم الرِّبَا .

ثالثاً : القضية ليست قضية نسبة الرِّبَا قليلة أو كثيرة ، فهناك ربا ، وربما فاحش ، والإسلام حرَّم الرِّبَا بكلِّ أشكاله وأنواعه ، لأنَّ فلسفة الإسلام في المال : (أنَّ المال لا يلد المال) .



وأورد الأستاذ بندلي (الصَّفحة ٣١) : « نحن لانحِب أن ندخل هنا في البحث عن صفات المصلح العربي الشَّخصيَّة .. وتحقيق مبادئه السَّامية الَّتِي توصل إليها بجهدِه وأصبحت جزءاً من نفسه ، أسم هذا الرَّجُل الَّذِي توافرت فيه هذه الشُّروط الَّتِي قلَّما

(١) المصدر (لامانس) : LaMecque ، الصَّفحة ٣٠٦ - ٣٣٢

(٢) مرَّت ترجمته مفصَّلة .

تجتمع في شخص واحد هو محمد بن عبد الله - [وفي الحاشية : الأرجح أن اسمه قبل الدعوة كان قثم^(١) بن عبد اللات] - انتدب هذا الرجل ليكون مصلحاً لبلاده ، أو كما يسميه القرآن منذراً وبشيراً لقومه ، فلبى راضياً مسروراً .. » .

البحث والكلام بموضوعية عن صفات المصلح العربي - النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم - أمرٌ ضروريٌ ، لأنه من الدلائل العقلية التي تثبت أنه لم يكن رجلاً كبقية الرجال ، فقد اختارته العناية الإلهية ، كما اختارت قبله بقية الأنبياء والرسل ، ومن الجميل أن الأستاذ بندلي يعبر عن هذا الاختيار بقوله : « انتدب هذا الرجل ليكون مصلحاً لبلاده » ، فن انتدبه؟!؟

أمّا اختيار أسم آخر لمحمد بن عبد الله قبل بعثته ، فهو أمر لا يسرُّ شخصه نبياً كريماً ، ولا يُغيّر من تاريخه وسيرته وعظمة رسالته شيئاً ، إلا أن هذا الأمر لم يرد له ذكر في جميع المصادر العربية الموثوقة ، ولا في الروايات المتواترة عن أخبار تلك الفترة .



وجاء في الصفحة ٣٢ : « ثم صار مستخدماً أو وكيلاً في محل تجاري يخصُّ أرملة عاقلة تكاد تكون أمه ، فأصبح مضطراً بحكم وظيفته أن يسافر كل سنة ، ويخالط الناس ، ويطلع على أحوالهم ويسمع شكواهم ، ويفكر في أسباب شقاء الطبقة الكبرى منهم ، والطرق التي يمكن أن تخفف من وطأة الفقر والظلم عليهم ، فكانت هذه الرحلات ، وهذا الاختلاط بالناس والإصغاء إلى أحاديثهم مدرسة عملية له ، أعدته لأن يكون ذلك العامل الاجتماعي ، والمصلح الكبير ، الذي نعرفه ، ويعرفه التاريخ »^(٢) .

(١) قثم (في لسان العرب) : الذُكْر من الضَّبَاع ، والأنثى قَثَام .

(٢) وجاء في الصفحة ٣٣ : « لاشك أن الفقر وما يتبعه من الحالات النفسية كان أكبر مدرسة للمصلح العربي » .

قارئ النص يفهم منه أن محمداً كان يقود في كل عام قافلة تجارية للسيدة خديجة - التي تزوجها بعد ذلك - علماً بأن جميع الروايات التي ذكرت هذا الأمر ، أكدت أن محمداً خرج بقافلة للسيدة خديجة مرة واحدة انتهت بزواجه منها ، ولهذا كانت جملة « هذه الرحلات » غير صحيحة .

لقد ذهب محمدٌ صلى الله عليه وآله وسلم مع عمه أبي طالب إلى الشام ، وكان عمره آنذاك تسع سنوات فقط^(١) ، وعاد ثانية مع ميسرة خادم خديجة في تجارة لها ، هذه (رحلاته) كلها !! وهذا ما ورد في مصادرنا العربية ، وهي مصادر كافية وافية .



وورد في الصفحة ٣٩ مانصه : « إن أكثر الذين أتبعوا في بادئ الأمر النبي أو كلهم - [وهنا حاشية نصها : ما عدا عثمان بن عفان أحد أغنياء وأدباء بني أمية ، وربما أبو بكر الصديق] - كانوا من طبقة الصعاليك والأرقاء وأصحاب الحرف الصغيرة ، فهذا أمر معلوم ، وهذا ما لم يخف على أصحاب الطبقة العليا في مكة كما يظهر من عباراتهم : ﴿ وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا أَنْ يُكْفَرُوا ﴾ ، [هود ٢٧/١١] ، ولهذا كانوا يحتقرونه وجماعته ويُعرضون عنه إلى أن قويت دعوته .. » .

من الطبيعي أن يكون معظم من تابع محمداً على دعوته ودينه من الضعفاء والفقراء ، لأن تعاليم الدين الجديد كانت إلى جانب أمثال هؤلاء دون أن يكون عدواً لغيرهم ، أو متحاملاً على الأغنياء ، لكنه وقف إلى جانب كل مظلوم ومُستعبد ، لكن هؤلاء لم يكن يُطلق عليهم اسم (الصعاليك) ، فإن لهذه التسمية مدلولاً آخر^(٢) ، فصعاليك العرب : (ذؤبأنها) ، أي لصوصهم الذين يتلصصون ويتصعلكون ، وكان

(١) انظر : الكامل في التاريخ ٢٣/١ ، والطبري ٢٧٨/٢ ، وعيون الأثر ٤٠/١ ، والوفاء بأحوال المصطفى لابن الجوزي ١٣١/١ ، والروض الأتف ٢٠٦/١

(٢) في (لسان العرب) الصلوك : الفقير الذي لا مال له ، وصعاليك العرب : ذؤبأنها ، أي لصوصهم ..

عروة بن الورد^(١) . يُسَمَّى (عروة الصَّعاليك) ، لأنَّه كان يجمع الفقراء في حظيرة فيرزقهم مما يغنمه في الغزو .

أمَّا الحاشية : « ما عدا عثمان بن عفان أحد أغنياء وأدباء بني أمية ، وربما أبو بكر الصَّديق » ، فيمكننا وبسهولة أن نضيف أسماء أخرى كثيرة ، مثل : عبد الرَّحمن بن عوف ، وأبو عبيدة بن الجراح ، وصهيب الرُّومي ، وأغنياء يثرب في بيعتَيْ العقبة الأولى والثانية .



قال الأستاذ بندلي في الصَّفحة ٢٠ : الشُّعائر الدِّينية في مكَّة قبل الإسلام ، « حفظها لنا الإسلام إلى هذا اليوم بدون تغيير يذكر » .

بينما قال في الصَّفحة ٤٠ : « من نتائج انتشار الدَّعوة الجديدة ودخول النَّاس فيها القضاء على الكعبة وشعائر الحجِّ والوثنية التي لم تكن لتلتئم مع الدِّين الجديد ، وفي القضاء على مكَّة والدِّين القديم قضاء على سكَّانها كلَّهم ، وبالأخصَّ على أصحاب الثَّروة والسُّلطة فيها » .

إنَّ عبارة « دون تغيير يذكر » ، لا تنطبق على ما أصاب الشُّعائر الدِّينية في مكَّة بمجيء الإسلام ، لقد كان التَّغيير كبيراً جداً ، لقد تغيَّر الجوهر ، وانتقلت جميع تلك الشُّعائر من أشكالها الوثنية إلى شكلٍ جديد ، جوهره التَّوحيد .

ولم يكن من نتائج انتشار الدَّعوة الجديدة القضاء على الكعبة وشعائر الحجِّ الوثنية ، بل كان من النَّتائج للدِّين الجديد ، إعادة وظيفة الكعبة إلى ما كانت عليه يوم تأسسها وبنائها على أيدي إبراهيم وإسماعيل ، أي طوافَ حولها لعبادة الله الواحد - ربِّ الكعبة - وتطهيرها مما علق بها من عهود الوثنية .

(١) عروة بن الورد : (ت ٥٩٦ م) ، من الشُّعراء الصَّعاليك في الجاهلية ، فارس مغوار كان لا ينفك عن الغزوات في نجد وأطرافها ، قُتِل في إحدى المعارك ، له (ديوان) جمعه وشرحه ابن السكِّيت .

هذا .. وبين عبارة « حفظها لنا الإسلام إلى هذا اليوم بدون تغيير يذكر » الواردة في الصّفحة ٢٠ ، وعبارة : « القضاء على الكعبة وشعائر الحجّ الوثنيّة التي لم تكن لتلتئم مع الدّين الجديد » الواردة في الصّفحة ٤٠ تناقض واضح .



وجاء في الصّفحة ٤١ : « أشار - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - على أصحابه أن يتركوا مكّة ويسيروا إلى المدينة التي سبق وتفاهم مع بعض سكّانها من كان يمتّ إليهم بالخطّولة ، أو بصلة أخرى لانعرفها ، فتركوها وهاجروا إلى المدينة اللّيلة السّادسة عشرة من شهر تموز (يوليو) سنة ٦٢٢ م^(١) ، وكان النّبئ وصديقه الأعزّ أبو بكر آخر من هجر بلدته » .

ليس هناك صلة لانعرفها بين محمّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وأهل المدينة ، والصلّة القويّة هي إيمان مجموعة من أبناء المدينة (يثرب) بالدّين الجديد ، الذين بايعوه على نصرته : « أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبنائكم ، فأخذ البراء بن معرور بيد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وقال : نعم والذي بعثك بالحقّ لمنعك مما تمنع منه أزربنا^(٢) ، فبايعنا يا رسول الله فنحن أبناء الحروب ، وأهل الحلقة^(٣) ، ورثناها كبراً عن كابر^(٤) » ، بناء على ذلك ، فكّر صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بالهجرة إلى يثرب ، وبدعوة منهم ، بعد أن رأوا في الدّين الجديد ونبّيه الكريم ما يجمع كلمة قبيلتيّ الأوس والخزرج ، ويزيل كلّ خلاف بينها .



- (١) هجرة الصّحابة كانت قبل هذا التّاريخ ، وهجرته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، مع أبي بكر تمّت بتاريخ ١٨ تموز (يوليو) سنة ٦٢٢ م ، وهو تاريخ وصولها إلى المدينة المنورة .
- (٢) العرب تكثّر عن المرأة بالإزار . وتكثّر أيضاً بالإزار عن النّفس .
- (٣) الحلقة : الدّروع ، وهنا السّلاح عامّة .
- (٤) انظر : الكامل في التّاريخ ٦٩٢ ، والطّبري ٣٦٢/٢ ، والسّيرة الحلبّيّة ٣٤٢/١ ، وابن هشام ٦٦/٢ ، والبداية والنّهاية ١٦٢/٣

وقال الأستاذ بندلي في الصّفحة ٤٤ : « لا شك أنّ النّبِيَّ العربيّ لم يقصد بأقواله وأفعاله في مكّة والمدينة أن يستأصل أسباب الشرّ الاجتماعي ويقتل جميع جرائمه .. بل كانت غايته الكبرى أن يخفّف من وطأة تلك الأمراض على بعض طبقات النّاس ممّن خلّفوا بعد قسمة الأرزاق ، أو وقعوا في الفقر والرّق لأسباب لم يقووا على مقاومتها » .

ويتابع في الصّفحة ٤٥ قوله : « وعليه يمكننا أن نقول إنّ محمّداً أجاد في وصف الأمراض الاجتماعيّة العربيّة وتعدادها أكثر منه في علاجها واستئصال جرائمها ، فإنّ تصويره لتلك الأمراض كان يبلغ أحياناً حدّ الإعجاز ، ويحدث في عقول سامعيه ومخيّلاتهم تأثيراً لا يمحى ، أمّا علاجه للدّاء ، فكان أقلّ درجة من تصويره له إلاّ ماندر » .

وللدّلالة على صحّة ما سبق ، وإقناع القارئ بصواب هذا الطّرح ، اعتمد الأستاذ بندلي على هنري لامانس الذي قال عن النّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : « إنّ ذلك لم يكن ليحمله على قتل أسباب الاستياء قتلاً قاضياً كأن يمنع مثلاً التجارة الشخصيّة ويجعلها كلّها تحت مراقبة الحكومة التي أسّسها في المدينة ، أو يمنع الرّق منعاً باتّاً ، أو ينتزع الأراضي من أصحابها ويجعلها ملكاً لمن يعتلها ، أو يحتكر بقيّة مصادر الثروة الفرديّة التي كانت ولا تزال أصل الشرور الاجتماعيّة » .

بل إنّهُ قصد بأقواله وأفعاله أن يستأصل الشرّ الاجتماعي ، فالدلائل من سيرته في أقواله وأفعاله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - تؤكّد أنّه أراد بصدق وإخلاص تنفيذ تعاليم دينه التي من صلب أهدافها ولباب جوهرها ، استئصال بذور الشرّ الاجتماعي في تحريمه للرّبا والزنا والخمر والظلم والاستغلال وأكل أجر العامل .. هل كان هذا التّحريم تخفيفاً فقط ، أو كان اقتلاعاً للجذور من أساسها ؟

أمّا بالنسبة للرّق ، فقد مرّ بمرحلة موقّته طلب فيها الرّفق وحسن المعاملة للرقيق ، ريثما يصل المجتمع حسب الخطّة المرسومة لديه إلى انتهاء مرحلة الرّق نهائيّاً .

لقد حرّم الإسلام الرّقّ بكلّ أنواعه ، ولم يُبَحْ منه إلاّ مصدر الحرب ، معاملة بالمثل ، فقد كان غير المسلمين يستحلّون استرقاق المسلمين ، فكان لا بُدَّ أن يعاملهم المسلمون بالمثل ، وحتىّ في العصور الحديثة اليوم ، ماذا يحدث لو لم يصبح تبادل الأسرى معاملةً متّفقاً عليها بين المتقاتلين ؟

ويمكن القول : إن الإسلام ضيّق مداخل الرّقّ ، ووسّع مخارجه ، أو ضيّق موارده ، وأفسّح مصارفه ، ووضع تنظيمًا لتبادل الأسرى ، حتىّ إذا بقيت لأحد الجانبين بقيّة من الأسرى افتديت بالمال ، وهو بذلك ألغى جميع مداخل الرّقّ ، ولم يبقَ منها إلاّ مدخلاً واحداً ، وقد ضيّقه حتىّ لم يعد ينفذ منه إلى الرّقّ إلاّ القليل النادر أشدّ الندرة .

إنّ الأحكام التي أصدرها الأستاذ بندلي ، وجهة نظر تؤمن بإيديولوجية معينة تعتقد بأنّ الشُّرور تكمن في الملكية الفردية ، وفي امتلاك الأفراد لمصادر الثروة ، وقد أثبتت الأيام التي مرّت بعد وفاة الأستاذ بندلي ، أنّ هذه الأحكام ليست صحيحة ، أو على الأقل لا تؤمن أكثرية الناس بصحّتها ، بل وتطوّر الأحداث أثبت أنّ الشعوب بأغنيائها وفقرائها ، ليسوا مع هذه النظرية تماماً ، فهي مع العدالة الاجتماعية ، وليست مع القضاء نهائياً على الملكية الفردية . وهذا ما يتناسب مع فطرة الإنسان .



وجاء في الصّفحة ٤٨ : « المدينة - وأكثر سكانها فلاحون فقراء - غير مكّة صاحبة الثروة والتجارة الواسعة ، وعليه فاللسان الذي كان يصلح في مكّة ، لم يعد يصلح في المدينة ، بل لم يعد مفهوماً هناك ، والغاية التي أخذ يرمي إليها النبيّ في المدينة ، ويعمل على تحقيقها هي غير غايته في مكّة ، وفوق ذلك فإنّ سياسته مع المكّيّين قد تغيّرت كثيراً في المدينة تحت تأثير عوامل جديدة ، ولأسباب عديدة أوجدها الظروف ، وأدّى إليها الاختيار وحبّ النبيّ لوطنه الأصلي وأهله وذويه ، إلى غير ذلك من الانفعالات النفسية ، والعوامل السياسيّة التي ظهرت بعد موقعتي بدر وأُحد

وحصار المدينة ، وكان من نتائجها أن النبي أخذ يلطف من سياسته نحو إخوانه المكّيين .

لسان النبي صلى الله عليه وآله وسلم في مكّة ، هو لسانه في المدينة ، ربّما تغيّر أسلوب العمل مع تغيّر أو تطوّر التشريع الذي استوجبه المجتمع الإسلامي الجديد في تطوّره ، والذي تطلّبتّه الدّعوة في تطوورها نحو التّكامل ، لأنّ رسالة الإسلام لم تنزل دفعة واحدة ، ولكن الأهداف والغايات للنبي في مكّة ، وهي فترة بناء الفرد المسلم والصبر على أذى قريش ، هي ذاتها في المدينة ، وهي فترة بناء الدّولة بعد تغيّر الأحوال ، حيث انقضى دور الضّعف وقلة الأتباع ، وحلّ دور القوّة في المدينة ، القوّة بكثرة الأتباع ، وصار في موقفه الجديد يستطيع ردّ كيد المعتدين ، والضرب على أيدي المهاجمين الظالمين ، والأخذ على أيديهم لنصرة الضّعفاء والمظلومين .

إنّ سياسته صلى الله عليه وآله وسلم لم تتغيّر مطلقاً ، لقد بدأ دعوته في مكّة بالكلمة الطّيّبة ، والفكرة تغرس في العقول والنّفوس ، وعرض نفسه في موسم الحجّ على القبائل ، فاستجاب نفرّ من الأوس والخزرج أهل يثرب ، وبقي يدعوه في مكّة ثلاث عشرة سنة محتملاً الأذى والظلم والألم والاضطهاد من قريش ، ثم هاجر إلى المدينة ، وصادرت قريش أموال المسلمين ، مضيفة ظلاماً جديداً إلى مظالمها السابقة ، وفي المدينة أعلن صلى الله عليه وآله وسلم حرباً اقتصادية بدأتها قريش منذ حصارها للمسلمين في شعب أبي طالب ، ليرغمها على الاعتراف بحقوق المسلمين في مكّة ، وبحقه في نشر دعوته .

هذا .. وعرف عنه صلى الله عليه وآله وسلم بَعْدَهُ عن الانفعالات النفسية الآنية ، كردود فعل للأحداث السياسية^(١) ، علماً أنّ قريشاً هي التي سارت إلى بدر سنة

(١) لم يذكر ﷺ في أوّل خطبة له في المدينة المنورة قريشاً ، التي أخرجته من مكّة وطاردته ، مع أنّ ذلك كان موضوع الساعة ، فهو ﷺ يرى في الهجرة كلها صورة عارضة في مسيرة الدّعوة ، وسيعود ﷺ فاتحاً ، مزيلاً وثنية قريش ، مالكا لفتاح الكعبة المشرفة .

٦٢٤ م ، وهي التي سارت إلى أحد سنة ٦٢٥ م ، وهي التي سارت مع أكبر حشد أمكنها جمعه إلى حصار المدينة سنة ٦٢٧ م . رغم ذلك كانت سياسته الإنسانية الرحمة هي هي ، في مكة وفي المدينة ، ولكن من غير جبنٍ أو انفعالات آنية ، فند أيام الاضطهاد في مكة : ﴿ وَأَصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أَوْلُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ ﴾ ، [الأحقاف ٢٥/٤٦] ، وبعد الهجرة وقيام الكيان السياسي للدولة الإسلامية الناشئة : ﴿ أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ، الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ ﴾ ، [الحج ٣٩/٢٢ و ٤٠] ، ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ ، [البقرة ١٩٠/٢] .

وعندما دخل صلى الله عليه وآله وسلم مكة سنة ٦٣٠ م فاتحاً منتصراً ، بقي بعيداً جداً عن الانفعالات النفسية ، وسأل : « يا معشر قريش ، ويا أهل مكة ، ماترون أنني فاعل بكم ؟ » ، فأجابوه على لسان سهيل بن عمرو : « نقول خيراً ، ونظن خيراً ، أخ كريم ، وابن أخ كريم وقد قدرت » ، أجابوه بهذه العبارات لأنهم أعلم الناس ببعده عن الانفعالات تبعاً للظروف ، مع أنهم هم الذين طاردوه وطلبوه للمقتل ، واستحلوا أملاك المسلمين .. وعلى الرغم من ذلك قال لهم : « اذهبوا فأنتم الطلقاء » .

ويتابع الأستاذ بندلي آراءه في المجال ذاته قائلاً في الصفحة ٥٠ : « يخال لي أن من جملة الشروط التي أتفق عليها الطرفان في الحديبية^(١) أو في مكان وزمان آخرين أن يكف النبي عن الطعن في الملاءمكي ، وأن لا يجرّض صعاليك العاصمة الحجازية وأرقاءها عليه ، وهذا على ما يظهر لي أحد وأهم أسباب خلو السور المدنية ، ولا سيما تلك التي نزلت في الدور الأخير من العبارات القارصة والطعن في سكان مكة ، وهناك سبب آخر لا يقل خطورة عن الذي ذكرناه الآن ، وهو أن حالة النبي الاجتماعية في المدينة تغيرت كما هو معلوم تغيراً ظاهراً أدى إلى تغيير في نفسيته ، وهذا شيء طبيعي قل من ينجو منه ، فكان من نتائج هذا التغيير . ومن الأسباب التي ذكرنا بعضها

(١) صلح الحديبية في شباط (فبراير) ٦٢٨ م .

وغيرها مما لم نذكر أن بعض إصلاحات النبي الاجتماعية والدينية جاءت مبتورة ، وفيها شيء مما يدعوه الأوربيون بالتساهل (Compromis) ، ربّما كان لشخصية النبي ومميزاته القومية أثر في ذلك يصعب تعريفه وتحديد مقداره .. » .

ويكرّر في الصفحة ٥١ : « وهي سياسة اقتضتها الظروف الجديدة ، وما طرأ على نفسية النبي من تغيير » .

لن أعود لمناقشة عبارات : « حالة النبي الاجتماعية في المدينة تغيرت » ، و « ما طرأ على نفسية النبي من التغيير .. » ، ولكن أقول : صحيح ما جاء في قول الأستاذ بندلي : « خلو السور المدنية ولا سيما تلك التي نزلت في الدور الأخير من العبارات القارصة والطعن في سكان مكة » ، وهذا أمر طبيعي بعد صلح الحديبية سنة ٦ هـ / ٦٢٨ م الذي نصّ على وضع الحرب عن الناس عشرين تأمن فيه الناس ، ويكفّ بعضهم عن بعض ، وشرطوا أنه من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه ، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه . وبذلك فسحت قريش الطريق لدعوة النبي محطمة كبرياءها ، التي لولا قوة النبي والمسلمين المتناوبة لما تنازلت عنها ، فلم بعد الصلح من جهة ، وبعد فتح مكة ودخول قريش في دين محمد سنة ٦٣٠ م « العبارات القارصة والطعن في سكان مكة » ؟ .

وأقول : لبيت الأستاذ بندلي أورد أحد تلك الاصطلاحات التي جاءت مبتورة ، أو فيها تساهل ، علماً بأنّ التساهل هو غير البتر ، فهل تساهل النبي في أمر التوحيد ، وهو القاعدة التي يقوم عليها الإسلام ؟ وهل تساهل بفريضة فرضها الله كالصلاة والزكاة ؟ وهل تساهل بحدود الله ؟ وهذا لا يتعارض مع كون الآيات كانت تأتي مناسبة للظروف المستجدة ، وهو أمر طبيعي في بناء الدعوة وتطورها حتى كملت .

☆ ☆ ☆

وجاء في الصّفحة ٥٣ : « وأغرب من ذلك وأنكى ، أن تجّار مكّة في الأمس ، قد استفادوا من الحركة الإسلاميّة ، وبعض أفكار ومبادئ عدوّهم ، فأسسوا دولة من أعظم دول العالم ، تكاد لا تكون بينها وبين (الأُمّة) التي أوجدها النّبِيُّ علاقة تذكر » .

عجيب هذا الرّأي وغريب ، فالأستاذ بندلي يقصد بتجّار مكّة الذين أسسوا دولة من أعظم دول العالم بني أميّة ، والدّولة الأمويّة ، ودولة بني أميّة قامت على تعاليم الإسلام ، وطبّقت شريعته ، وتقدّمت جيوشها شرقاً وغرباً تحمل إلى الشّعوب لا منتجات مكّة ، ولا صادرات الحجاز ، ولا سلّح الجزيرة العربيّة ، بل تحمل دعوة النّبِيِّ وتعاليم دينه ، ولهذا .. فإنّ الذي ساد تحت ألوية من سماء الأستاذ بندلي « تجّار مكّة » من بني أميّة ، إنّما هو الإسلام ، ولغته العربيّة ، لغة القرآن الكريم ، والشّواهد ما زالت قائمة حتّى اليوم في تلك البقاع ، تتحدّث عن الإسلام ونبيّه وشريعته ، وليس عن تجّار مكّة أو بني أميّة .



الفصل الثّاني : الإمبراطوريّة العربيّة والأُمم المغلوبة

يقول الأستاذ بندلي في الصّفحة ٥٥ : « لا ريب في أن اشتغال العرب بالفتوحات الواسعة ، وتمصير البلدان ، مع ماتبع ذلك من تدفّق الأموال المغتصبة والمجموعة بشتّى الطّرق إلى جزيرة العرب ، وتفرّق القبائل العربيّة في عرض البلاد المفتوحة وطولها ، ألّهتْهم زمناً طويلاً عن التّفكير في المسائل الاجتاعيّة التي كانت أهمّ بواعث الحركة الإسلاميّة ومصدر ثروتهم ، بل ربّما أنستهم إياها .. » .

ليست الأموال التي تدفّقت على العرب المسلمين مغتصبة ، فالأمثلة من التّاريخ تثبت أنّ سكان البلاد التي فتحها العرب المسلمون رحّبوا بهم لما سمعوا عن عدلهم بعد عهود من الظّلم وجباية الأموال والضّرائب الثّقيلة . فعندما انسحب جيش المسلمين بقيادة أبي عبيدة بن الجراح من حمص ، أعاد إلى أهل حمص ما أخذوه منهم قبالة

حمايتهم ، وقالوا لهم : شغلنا عن نصرتكم والدفع عنكم ، فأنتم على أمركم ، فقال أهل حمص : إن ولايتكم وعدلكم أحب إلينا مما كنا فيه من الظلم والغشم ، ولندفعن جند هرقل عن المدينة^(١) ..

وفي مصر ، دفع أهلها عشر ما كانوا يدفعونه للروم البيزنطيين .

وفي إسبانية ، كما يذكر (دوزي Dozy) : تَسَامَحَ العرب في إسبانية كظهر لرحمة الفاتحين ، ويسروا الضرائب التي فُرِضَتْ ، والتي كانوا يدفعون أضعافها مضاعفة^(٢) .

وجاء في كتاب (فتح السند)^(٣) : « ثم أعطي الأمان للصُّنَاع والتُّجَّار وعوام النَّاس ، وتركوا بعضاً من أسراهم ، وتشكَّلت محكمة لردِّ المظالم ، ومحكمة للذين حملوا السُّلَّاح وقتلوا ضدَّ المسلمين ... ثمَّ نودي على العوام المتضرِّرين بالحرب ، والذين نُهِبَتْ أموالهم أثناء القتال من عوام النَّاس والصُّنَاع والتُّجَّار والكسبة الصُّغار ، وتقرَّر إعطاء كل منهم اثني عشر درهماً .. » .

ومن يصبح فقيراً أو محتاجاً من غير المسلمين ، فلا يعفى من الضَّريبة فحسب ، بل يجري له عطاء من بيت المال ، لذلك قال المؤرِّخ الفرنسي غوستاف لوبون^(٤) : « ما عرف التَّاريخ فاتحاً أرحم من العرب » .

ولم يذكر الأستاذ بندلي ما المشكلات الاجتماعية التي نسيها العرب المسلمون في غمرة فتوحاتهم وغنائمهم ، ولمَ القول : إنَّ تلك المسائل الاجتماعية هي أهمُّ بواعث الحركة الإسلامية ؟ وأين الدليل ؟

(١) فتوح البلدان (البلاذري) ، ص ٧ ، الدعوة إلى الإسلام (توماس آرنولد) ، ص ٧٩

(٢) الدَّعوة إلى الإسلام ، ص ١٥٧

(٣) فتح السند ، أبو المظفر محمد بن سام ، ص : ٢٧٠٢ و ٢٤٧٢ و ٢٤٧٣ ، الطبعة العربية - دار الفكر بيروت ، تحقيق د . سهيل زُّكَّار .

(٤) صاحب كتاب : (حضارة العرب) نشر : دار إحياء التراث العربي - بيروت ، الطبعة الأولى

الإسلام هو الحلقة الأخيرة من حلقات الشرائع السماوية ، والباعث الأساسي له ، إعادة الناس إلى جادة التوحيد ، لأنَّ الشُّرك والوثنيَّة وعبادة غير الله الخالق ، لون من ألوان انحطاط العقل البشري وانحداره .

☆ ☆ ☆

وجاء في الصَّفحة ٥٦ : « إنَّ نظام الضرائب الذي وضع أساسه المصلح العربي ، مع ما أدخله عليه خلفاؤه من التَّغيير والزيادات ، ولا سيَّما عمر بن الخطَّاب مؤسِّس الإمبراطوريَّة العربيَّة الحقيقي ، وواضع دستورها ونظامها ، ثمَّ خلفاء بني أميَّة ، كان عبئاً ثقيلاً على عاتق الأمم المغلوبة أكثر منه على عاتق الأُمَّة الفاتحة ، وذلك لأنَّ هذه الأمم كالأقباط والسُّريان والفرس والتُّرك إلخ ، كانت مضطَّرة بحكم هذا النظام أن تؤدِّي - ماعدا ضريبة الأراضى - الخَراج والجزية ، ضرائبَ ورسوماً أخرى على الصَّنائع والحرف ، ربما كانت أشدَّ وطأة على الأقوام المذكورة من الخَراج والجزية ، لأنَّها لم تكن محدَّدة معروفة ومبنية على قاعدة مقبولة ، وكان مقدارها وزمن تأديتها منوطين بعمَّال الخليفة ، وجباة المال ، بعكس الخراج والجزية ، فإنَّهما كانا محدَّدتين ومعروفين من قبل » ، ومصدر هذه الآراء : « أبحاث عن خلافة معاوية الأوَّل ، ص ٢٣٣ » للأب اليسوعي هنري لامانس .

وفي الصَّفحة ٥٨ ، شبَّهت الشعوب المغلوب « ببقرة حلوب » .

مِنَ الممكن القول : إن ماقاله هنري لامانس قول فاسد في أرومته ، « يفتقر افتقاراً تاماً إلى النزاهة في البحث ، والأمانة في نقل النُّصوص وفهمها ، ويعدُّ نموذجاً سيئاً جداً للباحثين في الإسلام من بين المستشرقين .. وهو لا يسوق أيُّ دليل نقلي أو عقلي .. بل يُلقِي الكلام جزافاً ، ويعتمد على تحكّات ذهنيَّة استقرَّت حسب معانٍ ذهنيَّة سابقة .. ويفهم النُّصَّ فهماً ملتويّاً خبيثاً ، أو يستخرج إلزاعات بتعسُّف شديد ، يدلُّ على فساد الذَّهن وخبث النِّيَّة » (١) .

(١) كما جاء في موسوعة المستشرقين ، ص ٢٤٧ وما بعدها .

ومع ماسبق أضيف الملاحظات التالية :

١ - لم يكن عمر بن الخطاب في يوم من الأيام واضع دستور الإمبراطورية العربية^(١) ، لأنّ دستور هذه الإمبراطورية هو القرآن الكريم ، ويمكن القول إن عمر بن الخطاب منظم ، أو موطد الإمبراطورية العربية ، ولسنا هنا في معرض شرح كيف حلّ المشكلات التي استجدت بعد توسع الفتوح ، ولكن التاريخ يذكر أنّها حلّت على ضوء القرآن الكريم والسنة الشريفة ، لا حسب أهواء عمر ودستوره ونظامه الخاص .

٢ - أمّا نظام الضرائب ، فلم يكن عبئاً ثقيلاً على عاتق الشعوب ، وعند قولنا ضريبة الأراضي ، فهي ليست إلا ضريبة الخراج ، ولو عدنا إلى تعريفه لوجدنا أنّه ضريبة الأراضي التي فتحها المسلمون وتركوها بأيدي أصحابها ، ومثل هذه الضرائب تدفع الشعوب اليوم إلى حكوماتها أضعاف أضعافها ، ولا نقول إنّها عبء ثقل ، والمسلم في تلك الدولة يدفع مثل تلك الضرائب أعشاراً وزكاة ، وربما زادت عليها .

٣ - أمّا قول لامانس : لم تكن - الضرائب - محدّدة معروفة ، ولم تكن مبنية على قاعدة مقبولة ، هذا ينطبق على دولة الروم البيزنطيين ، جاء في كتاب الخراج^(٢) (ص : ٨٣) : « ويعيّن مقدار الجزية اعتباراً لحالتهم الاقتصادية ، فيؤخذ من الموسرين أكثر ، ومن الوسط أقل منه ، ومن الفقراء شيء قليل جداً ، والذين لا معاش لهم أو هم عالية على غيرهم فيعفون من أداء الجزية » ، وهي مقابل الحماية التي كفلها لهم المسلمون ، « لأنّ قبول الجزية تثبت معه عصمة الأنفس والأموال » .

أمّا تشبيه الشعوب المغلوبة « بالبقرة الحلوب » ، فهو تشبيه مقتبس من (يوليوس فلهاوزن) صاحب كتاب (تاريخ الدولة العربية) ، الصفحة ٢٧ : « الذميون بقرة .. الوالي يسكنها من قرونها حتى تسكن ، وعامل الخراج يجلبها » !!

(١) والأصح « الخلافة العربية الإسلامية » ، لأنه لم يترع في عاصمة الدولة إمبراطور ، بل خليفة .

(٢) وهو من أوثق وأشهر كتب المال والسياسة الاقتصادية وأسساها في الدولة الإسلامية .

وجاء في الصّفحة ٦١ : « انتقال الخلافة سنة ٦٦١ إلى بني أميّة خصوم النّبّيّ والإسلام حتّى سنة ٦٢٨ م » .

لقد كانت الهجرة إلى المدينة سنة ٦٢٢ م ، وبعد ثماني سنوات كان فتح مكّة وإسلام الطّلّقاء ، إذن تصوّب العبارة إلى : « حتّى سنة ٦٣٠ م » ، هذا .. وهل التّعميم الوارد في العبارة صحيح سليم ؟

بنو أميّة ليسوا خصوماً للنّبّيّ ، فقد كان منهم من اعتنق الإسلام مخلصاً صادقاً كعثمان بن عفّان ، ومنهم من خاصم النّبّيّ ، أمّا بعد فتح مكّة فقد اعتنقوا جميعاً الإسلام ، ولا يمكن القول - بموضوعيّة - إنّ بني أميّة - ويقصد بهم خلفاء بني أميّة - هم خصوم النّبّيّ ، فلا عبد الملك بن مروان ، ولا الوليد بن عبد الملك ، ولا عمر بن عبد العزيز ، ولا الأمويّون في الأندلس ، خصوم النّبّيّ صلى الله عليه وآله وسلّم .



وجاء في الصّفحة ٧٠ : « ثمّ قتل البرامكة - من قبل هارون الرّشيد - واضطهاد من سلّم من أصحابهم وموالي الأسرة السّابقة ، إلى غير ذلك من مظاهر الظلم » .

لا يجوز للمؤرّخ المطلّع ، ولمفكّر الباحث المنصف ، أن يقول : إنّ قتل الرّشيد للبرامكة - ومن والاهم - هو من مظاهر الظلم ، والموضوع كبير متشعب ، لا مجال لبحثه مطوّلاً ، فقد أشبعته دراسة في كتابي (هارون الرّشيد : أمير الخلفاء وأجل ملوك الدّنيا)^(١) ، ويمكنني إيجاز الأمر بأسطر :

إنّ نكبة البرامكة نكبة وهلاك جماعي ، فهو لا بُدّ عقاب على فعل جماعي ، خُطّط له لكنه لم يتم ، فالرّشيد نكب البرامكة لأنّهم كانوا يميلون إلى كسرويّة فارسيّة ، يظهرن إسلاماً ، ويبطنون مجوسيّة ، وحموا بجاههم ، وبالأموال التي وضعت بين

(١) طبع دار الفكر بدمشق (عدّة طبعات) .

أيديهم الثقافة الفارسيّة ، ونشروها بما لهم من جاه وسلطان ، روى الجاحظ عن ثمامة^(١) ، قال : كان أصحابنا يقولون : لم يكن يرى لجليس خالد - البرمكي - دار إلاّ وخالد بناها له ، ولا ضيعة إلاّ وخالد ابتاعها له ، ولا ولد إلاّ وخالد ابتاع أمّه إن كانت أمّة ، أو أدّى مهرها إن كانت حرّة ، ولا دابة إلاّ وخالد حمله عليها^(٢) ..

لقد نكب الرّشيد البرامكة لمضاهاتهم له ، والبده بترك مشورته ، والبتّ في الأمور دون الرجوع إليه ، حتّى استعمل عدد من المؤرّخين عبارة « دولة البرامكة »^(٣) ، وبالفعل فقد أصبحوا دولة ضمن دولة ، ولم يكن الرّشيد ذلك الخليفة السّاذج البسيط ، ليدع لهم الحبل على الغارب .

ويمكن القول أيضاً : نكب الرّشيد البرامكة بسبب استعمال السّلطة ، أطلقوا عدوّ الرّشيد (يحيى بن عبد الله ووجّهوا معه من أوصله إلى مأمنه) دون علمه أو إذنه ، فكانت إنسانية الرّشيد العالية ، تستحيل قسوة ضارّة كلّما كانت الدّولة محلّ هجوم عليها ، أو دفاع عنها .

ولم يكن البرامكة من البساطة أو السّذاجة بمكان ، بل كانوا في غاية اللّباقة والعلم ، أو ما يعرف في عصرنا اليوم (بالبروتوكولات) ، لقد كانوا على ذكاء يساعدهم على تنفيذ مهمتهم ، ومثلهم من ينتقى لمثل أعمالهم .

وكان الرّشيد يقول بحقّهم : « من يرد غير مائه ، يصدر بمثل دائه ، ومن لم يؤدّبه الجميل ، ففي عقوبته إصلاحه » ، ولم يندم مطلقاً على فعلته ، وأبقى يحيى البرمكي في سجن الرّقّة حتّى توفي سنة ٨٠٥ م وهو ابن سبعين سنة^(٤) .

(١) ثمامة بن أشرس النّيري [ت ٢١٣ هـ / ٨٢٨ م] ، أحد الفصحاه البلغاء ، كان له اتّصال بالرّشيد ثمّ بالمأمون ، وكان ذا نواذر وملح ، من تلاميذه الجاحظ ، وأراد المأمون أن يستوزره فاستغفاه . [الأعلام ١٠٠/٢] .

(٢) تاريخ بغداد ١٤٤/٤

(٣) أوردتها المسعودي ص ٣٩٨ ، والفخري ص ١٩٧

(٤) تاريخ بغداد ١٣٢/١٤

وعلى ما سبق .. إن نكبة البرامكة ليست من مظاهر الظلم مطلقاً ، إنها هلاك جماعي ، على فعل جماعي ، من مظاهره : (إساءة استعمال السُّلطة) ، حتى أصبحوا : (دولة ضمن دولة) ، فهل يدَعُهُم الرُّشيدُ ؟!؟



الفصلُ الثالثُ : حَرَكََةُ بَابِكَ وَتَعَالِيْمُهُ الْاِشْتِرَاكِيَّةُ

جاء في الصَّفحة ٨٢ : « إنَّ قسماً كبيراً من جيش بابك اجتاز الحدودَ البيزنطيَّةَ بعدما أصاب بابك من الفشل ، ونزل في أرض الرُّوم على الرُّحْب والسُّعة ، وهناك تنصَّر » ، وكرَّر ذلك في الصَّفحة ١١١ : « واضطَّرتَّ فلوله إلى الهرب إلى بلاد الرُّوم ، حيث تنصَّروا ، ودخلوا في خدمة إمبراطور القسطنطينيَّة^(١) . »

وفي الصَّفحة ٨٤ : « قال مازيار^(٢) في جلسة من جلسات المحكمة العرفيَّة المذكورة ، إنَّ حيدر الأفشين^(٣) كتب إليه يقول : لو أتبعني لاستطعنا أن نقضي على الإسلام ، ونرجع إلى ديننا الفارسي القديم . »

وفي الصَّفحة ٨٥ : « إنَّ الغاية الكبرى من هذه المؤامرة هو سحق السُّلطة العربيَّة في تلك البلاد ، والقضاء على الإسلام وأهله . »

وهنا يمكن التَّساؤلُ : وهل في تنصُّر هذا القسم الكبير - كما في الصَّفحتين ٨٢ و ١١١ - من جيش بابك تحقيق للأهداف الاشتراكيَّة ؟ وهل ينعم الشعب بالاشتراكيَّة

(١) إمبراطور الرُّوم تيوفيل [ت ٢٢٩ هـ / ٨٤٣ م] في زمن الوراق ، فنصَّبوا ابنه ميخائيل في كفالة أمه (ندوة) .

(٢) مازيار [ت ٨٣٩ م] : آخر سلاطين بني قارن (طبرستان) ، ثار على المعتصم ودعا الفلاحين إلى الثَّورة على سادتهم .

(٣) الأفشين : حيدر بن كلوس الأثروسي ، والأفشين لقب للملوك أشروسنة ، وأشروسنة كورة من بلاد ماوراء النهر ، شرقيها فرغانة ، وغربيها سمرقند .

إذا قُضي على الإسلام ، مع العودة إلى الدِّين الفارسي القديم كما في الصَّفحة ٨٤ ؟ وهل تتحقَّق العدالة الاجتماعيَّة بعد سحق السُّلطة العربيَّة في تلك البلاد والقضاء على الإسلام وأهله ، كما في الصَّفحة ٨٥ ؟

☆ ☆ ☆

ووردت عبارة غريبة في صفحات كثيرة هي : « استناداً على أقوال كَتَبَةِ المسلمين عن حركة بابك وتعاليمه » ، « ذكر بعض مؤرِّخي العرب » ، [الصَّفحة ٨٩] .

« الكَتَبَةُ المتأخرون » ، [الصَّفحة ٩٩] .

« وهناك فئة أخرى من الكتبة وجلَّهم من المتأخِّرين البعيدين عنه زمن الحركة البابكيَّة » ، [الصَّفحة ١٠٠] .

« كَتَبَةُ الإسلام » ، [الصَّفحة ١٣١] .

« أكثر الكتبة المتأخِّرين » ، [الصَّفحة ١٤١] .

« إنَّ تعريف بعض الكتبة للإسماعيليَّة .. » ، [الصَّفحة ١٤٤] .

« كتبة العرب والفرس وشعراؤهم » ، [الصَّفحة ١٥٢] .

« من أقوال بعض كتبة العرب عن القرامطة » ، [الصَّفحة ١٩٩] .

« كتبة العرب والفرس » ، [الصَّفحة ٢٠٠] .

« أقوال بعض الكتبة » ، [الصَّفحة ٢١٠] .

« بعض الكتبة المتأخِّرين » ، [الصَّفحة ٢١١] .

« أقوال كتبة الأعصر المتأخِّرة » ، [الصَّفحة ٢٢٢] .

« كتبة العرب » ، [الصَّفحة ٢١٥] .

لأدري لماذا استعمل الأستاذ بندلي في هذه الجمل كلمة (الكتبة) ، ولم يعترف للعرب المسلمين بمؤرخين ، فهل كان كلُّ مَنْ كَتَبَ عن بآبِكَ والبابكيَّة ، والإسماعيليَّة والقرامطة ، هم من الكتبة ؟ أما كان بينهم من يستحق لقباً آخر ؟ أليسوا هم الذين أرخوا لنا تلك الفترة من تاريخ العرب والإسلام ؟ أليس بينهم علماء ومؤرخون ؟

هذا .. وعلم (مصطلح التاريخ) ، أو : المنهج العلمي في دراسة التاريخ ، علم لبابه وجوهره عربي إسلامي ، أسسه العلماء المسلمون عندما وضعوا القواعد للتوصل إلى الحديث الشريف الصحيح ، ولو اطلع الأوربيون على مصنّفات أئمة الحديث الشريف ، لما تأخر تأسيس علم (مصطلح التاريخ) ، أو البحث المنهجي في دراسة التاريخ حتى أواخر القرن التاسع عشر ، والمنصفون الأوربيون يعلمون أنّ ما يفاخرون به اليوم ، علّم نشأ وترعرع في بلادنا العربيَّة الإسلاميَّة .

فالموضوعيَّة والنزاهة ، والبحث العلمي بما فيه من تحييص وتدقيق وتثبت ودراسة للرأوي والرؤية .. نحن قدمناه إلى العالم ، وهذا لا ينع مناقشة وتمحيص بعض الروايات بسوق دليل تقلي ، أو عقلي موثّق مقبول ، لا يتناقض مع الروايات الصحيحة السليمة .
فالموضوعيَّة تفرض علينا أنّ الخبر الوارد في مصادرنا الموثوقة ، خبر موثوق ، لا داعي لتمريضه وتوهينه ، والارتباب بصحّته ، لأمر ما ، حسّنت النيّة في تمريضه أم ساءت .

« كَتَبَتُ العرب » ، عبارة ظالمة ، لا تليق بالمؤرخين العرب الكبار .

☆ ☆ ☆

وفي الصّفحة ٩١ : « إنّنا لنأسف جدّاً أنّ مؤرّخي الفرس والعرب لم يحفظوا لنا برنامج بآبِكَ الاجتماعي بحرفه الواحد ، وإنّ الشّيء القليل الذي حفظوه لا يشفي غليلاً ، ولا يحلّ الألغاز والصّعوبات التي يجدها الباحث في تاريخ الحركة البابكيَّة وغايتها » ، وفي هامش الصّفحة المذكورة : « نجد خرافات وتُرّهات عديدة عن الخرميين في كتاب (البدء والتاريخ) لمطهر بن طاهر المقدسي » .

ألم نتساءل قبل الأسف ، لماذا لم يحفظ مؤرخو الفرس والعرب ذلك البرنامج الاجتماعي لبابك ؟ وإذا صحَّ وجود برنامج اجتماعي له ، فلماذا لم تشر إليه المصادر الأجنبية الأخرى ؟ فهل كتبت مصادر الروم شيئاً عنه ، خصوصاً وإنَّ جماعة بابك التجؤوا إلى بلاد الروم وتنصروا ، كما يذكر الأستاذ بندلي ؟

على ذلك .. ألا يمكن القول : لم يكن لديهم برنامج إصلاح اجتماعي ؟! وإلا لأورد أطرافه المؤرخون العرب ، وأتمه المؤرخون الفرس أو المؤرخون البيزنطيون .

☆ ☆ ☆

وفي الصفحة ١٠٣ : « إنَّ الطَّبيعة والعدل يقتضيان أن لا يكون لأحدٍ أراضٍ أو عقار أو نساء أكثر مما لغيره ، وعلى ذلك يجب عند اختلال هذه القاعدة ، أن يؤخذ من الغنيِّ المغتصب ما يزيد على حاجته ويُعطى المحتاجون ليعود النَّاس إلى المساواة الأصليَّة ، وأن يكون المُلْك والنِّساء شائعة كالماء والنَّار والمراعي .. هذا هو العمل الطَّيب الَّذي يرضي الله ويجازي المرء عليه أضعافاً » .

من قال إن العدل أن يتساوى الكسول والمُجدد ؟

وأن يعطى من مال المنتج العامل بنشاط إلى المتسكِّع الخامل ؟

أمَّا الغنيُّ المغتصب ، فلا نأخذ من ثروته ما يزيد عن حاجته لنعطي المحتاجين ، بل نأخذ ثروته كلّها ، مادامت مغتصبةً ، وكذلك الفقير المغتصب ننظر إليه بالعين ذاتها التي نظرنا من خلالها إلى الغنيِّ المغتصب .

الطَّبيعة والعدل ألاَّ يداوى الفساد بفساد ، ولا الاغتصاب باغتصاب ، إنَّ الخلل الاجتماعي يعالج بنظْم تمنع الاستغلال بكلِّ صوره ، وتمنع ابتداء التَّضخُّم في الثَّروات : ﴿ كَيْلَا يَكُونَ دَوْلَةٌ بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ ﴾ ، [الحشر ٧/٥٩] ، مع تجزؤ الثَّروات على رأس كلِّ جيلٍ .. كلُّ ذلك لا يكفي ، إلاَّ إذا كان مرتبطاً بدعوة خلقية روحية تمهد للتشريعات الاقتصادية التي ستقف في وجه الترف والظلم واحتكار الثَّروات .

وبعد أن كرّر الأستاذ بندلي عبارة « الكتبة المتأخرين » كثيراً ، أورد قول المقدسي^(١) صاحب كتاب (البدء والتاريخ) ، وهو معاصر لبابك ، حيث قال [٢٤/٤] : شهدت بعيني من يقول بإباحة النساء على الرضى منهن ، وإباحة كل ما يلد النفس ، وينزع إليه الطبع ، ما لم يعد على أحد بضر .. » ، وبعد ذلك يقول : « لم يكن بابك يدعو إلى التهتك وتحليل الحرمات ، ولم يقصد بقوله : (إن الناس شركاء في الأموال والنساء) إباحة الجماع ، بل أراد أن يقول إن للمرأة مال الرجل من الحقوق والواجبات العائليّة ، فلها أن تختار من الرجال من أحبّت ، لا من أحبّ ساداتها أو أقاربها ، ولها أن تتصرّف في ما تملك كما يوحيه إليها قلبها وعقلها ومصحتها الشخصيّة » .

وإذا قال المقدسي - وهو شاهد عيان - [١١٧/٦] : « يخرجون على الناس فلا يدعون رجلاً ولا امرأة ولا صبياً ولا طفلاً من قريب وبعيد إلاّ قطعوه وقتلوه .. ويقتلون من أصابوا من الناس من أيّ صنف كان ، صغيراً كان أو كبيراً ، مسلماً أو ذمياً ، حتى مرن الناس على القتل ، وانضوى إليه - إلى بابك - القطاع والخراب والدُّعار ، وأصحاب الفتن ، الذين انضّموا لمآرب شتى إلى البابكيين ، ولم يكونوا على مبادئهم الأدبيّة والاجتماعيّة أبداً »^(٢) .

أولاً : من المسؤول عن أعمال هؤلاء القطاع والخراب والدُّعار وأصحاب الفتن ، وقد انضّموا إلى بابك لمآرب شتى ؟

(١) مطهر بن طاهر المقدسي (المؤرخ) ، صنّف كتابه (البدء والتاريخ) في ستّة أجزاء سنة ٣٥٥ هـ - ٩٦٦ م ، (الأعلام ٢٥٣/٧) .

(٢) وفي الصّفحة ١٢٨ دفاع عن الإسماعيليّة : « خذ مثلاً على ذلك رسالة تُعزى كذباً إلى بعض الإسماعيليّة ، تجد فيها من التهم القبيحة والأقوال الفظيعة .. » ، وفي الصّفحة ١٥٤ : « وهذا إذا صحّ لا يقدح في الإسماعيليّة .. » ، وفي الصّفحة ١٦٠ : « وأفعال الفسق والتهتك التي كانوا يتهمونهم بها كذباً وبهتاناً .. » ، وفي الصّفحة ٢٠٣ : « نحن لا ننكر الحوادث ، إلاّ أنّنا نعللها بغير ما يعللها خصوم القرامطة .. » .. إلى غير ذلك من الدفاع عن البابكيّة والإسماعيليّة والقرامطة .

ثانياً : لماذا إذا ارتكب عامل خَرَج عملاً لا يليق ، ولا يقبله الإسلام مبدأ ومنهجاً ، عمّت الجزئية ، وحوسب الإسلام ؟ كما جاء في الصفحة ٩٧ : « إِنَّ الضَّرَائِبَ الَّتِي كَانَتْ تُوْخَذُ مِنْ تِينِكَ الْمَقَاطِعَتَيْنِ - الْأَهْوَازِ وَفَارَسَ - قَدْ تَضَاعَفَتْ فِي مِئَةِ سَنَةٍ ، مَعَ بَقَاءِ الْأَرْضِ عَلَى حَالِهَا ، فَتَأَمَّلْ ! أَمَّا كَيْفَ وَمَنْ كَانَتْ تُوْخَذُ الضَّرَائِبُ ، فَيُنَا نَتْرِكُ الْجَوَابَ عَلَى ذَلِكَ إِلَى الْقَارِئِ اللَّبِيبِ » .

لذلك أرى أن معظم من حاول تبرير أعمال الفِرَق الباطنية ، والدِّفاع عن مبادئ بعض الفِرَق كالباكية والإسماعيلية والقرامطة .. إِنَّا انطلقوا من خندق بعيد عن الموضوعية ، فرأوا في كل حركة مناوئة للدولة العربية الإسلامية ، ما يدعوهم لتبرير أعمالها والدِّفاع عنها ، حتّى ولو كانت بعيدة عن المنطق والحجّة ، وكأنّهم قد نصبوا أنفسهم (محامين) لأفعالهم وتجاوزاتهم !؟



وجاء في الصفحة ١٠٧ : « إِلَّا أَنْ كُلَّ مَا نَعْلَمُهُ مِنْ شُؤُونِ هَذِهِ الْحَرْبِ ، يَكَادُ يَنْحَصِرُ فِي أَمْرٍ وَاحِدٍ وَهُوَ أَنَّ أَصْحَابَ بَابِكَ كَانُوا يِقَاتِلُونَ قِتَالَ الْأَبْطَالِ ، قِتَالَ مَنْ كَانَ يَدْفَعُ عَنْ مَبْدَأٍ أَوْ اعْتِقَادٍ رَاسِخٍ فِي النُّفُوسِ وَأَمَالَ حَلُوهُ لَهُ ، لِاقْتِتَالِ الْمَاجُورِينَ الْمَرْغَمِينَ ، وَأَنَّهُ لَمْ يَسْمَعْ عَنْ أَحَدِهِمْ خِيَانَةً أَوْ ضَعْفَ ، كُلِّ هَذِهِ الْمُدَّةِ الطَّوِيلَةِ بِخِلَافِ مَا نَعْلَمُهُ عَنْ جَيْشِ وَقَّوَادِ عَدُوِّهِمْ » .

غريبة هذه الموازنة ، وبهذه العبارات ، بين مقاتلي بابك الذي وصفتهم النصوص السابقة بأنهم القَطَّاع والخُرَاب والدُّعَار وأصحاب الفتن ، وأنهم انضموا إلى بابك لمأرب شتّى ، فأين هو المبدأ أو الاعتقاد الرّاسخ في نفوسهم ، اللهم إلا إذا كان هذا المبدأ هو مبدأ القتل والسّفك والنهب ؟ فليَم نجعل منهم أصحاب مُثُلٍ عُلْيَا ، ومبادئ سامية ؟

هذا .. ولم يذكر الأستاذ بندلي ، ولو مثلاً واحداً ، عمّا يعلمه عن جيش المعتصم وقوّاده من خيانة أو ضعف ، مع أن كتب التاريخ حفظت لنا عكس هذه الصّورة ،

لقد جاء جند المعتصم إلى الأفشين يطلبون الإسراع في الزحف : « أيُّها الأمير لا تحرمنا شهادة إن كانت قد حضرت » ، كما جاء في الطُّبري ٣٨/٩ ، وابن خلدون ٣/٢٦٠ ،
والكامل في التاريخ ٥/٢٤٢



وورد في الصَّفحة ١١٣ : « فاضطرَّ - بابك - أن ينسحب من ساحة الحرب ، ويلجأ إلى قلعتِه في بدين حيث أقام عدَّة أشهر يدافع عن نفسه وأصحابه دفاع الأبطال ، إلى أن نفدت مؤونته ، وخارت قواه ، فاضطرَّ أن يترك عاصمته ليلاً ، ويحاول أن يدخل متخفياً بلاد الرُّوم ، ليطلب مساعدة صديقه الإمبراطور تيوقييل ، فخانتَه الأقدار ، بل خانَه أحد بطارقة الأرمن سهل بن سَنباط^(١) . »

وهنا يفرض سؤال نفسه : ما الصِّداقة التي جمعت بين بابك وتيوقييل ؟ الأستاذ بندلي لم يشر إليها من قريب أو بعيد ، مع أن كتب التاريخ أوردت : كتب بابك إلى حليفه تيوقييل عندما ضيق عليه الأفشين ، قائلاً : إنَّ ملك العرب - المعتصم - قد جهَّز إليَّ جمهور جيشه ، ولم يبقَ في أطراف بلاده من يحفظها ، فإن كنت تريد الغنيمة فانهب سريعاً إلى ما حولك من بلاده فخذها ، فإنك لا تجد أحداً يمانعك عنها^(٢) ..



وجاء في الصَّفحة ١١٤ : « ضجَّ النَّاسُ بالتكبير وعمَّهم الفرح وأظهروا السُّرور ، وصارت سكان بغداد وسامراً تتصافح في الشُّوارع ، فكان ذلك من أعظم الفتوح في الإسلام ، ويوم قبضَ عليه - على بابك - كان عيداً للمسلمين » .

(١) في الأصل : سنباط بن سهل خطأ .

(٢) الطُّبري ٩/٥٦ ، ابن خلدون ٣/٢٦٢ ، الكامل في التاريخ ٥/٢٤٧ ، مروج الذهب ٤/٥٩

وهنا نتساءل أيضاً ، لماذا ضجَّ النَّاسُ - وننَّبَهُ إلى كلمة (النَّاس) بشكلٍ خاصٍّ - بالتكبير وعمَّهم الفرح وأظهروا السرور ؟ لولا أنَّهم تخلَّصوا من خطر عظيم ، وانتصرت دولتهم على عدوٍّ مخيفٍ ، لقد فرح النَّاسُ وضجُّوا ، ولم يفرح الأثرياءُ فقط بالتكبير ، ولم يعم الأغنياءُ دون غيرهم الفرح .. لقد فرح النَّاسُ ، نساءً ورجالاً ، كباراً وصغاراً ، فقراءً وأغنياءً ..



الفصلُ الرَّابِعُ : الإسماعيليَّةُ

يقول الأستاذ بندلي عن الإسماعيليين ، الصَّفحة ١١٩ : « رأوا بعد درس شؤون الدولة العبَّاسيَّة درساً وافياً ، أنه لا بُدَّ للقضاء عليها وعلى نظامها الاجتماعي من بثِّ الدَّعوة الاشتراكيَّة الجديدة بين جميع الأمم والطبقات والأديان المؤلَّفة منها دولة المنصور^(١) وقتئذٍ ، كما لا بُدَّ من جمع كلمة جميع المستائين من حكم خلفاء بغداد ، وإثارة عواطف البغض فيهم عليهم ثمَّ دكَّ تلك الأسس التي كانت قائمة عليها الدولة المذكورة ، وأهمها الدِّين والأدب والعاطفة القوميَّة ، أو ما كان يقوم وقتئذٍ مقامها » .

وبناء على ما سبق ، نستنتج أنَّ الحركة الإسماعيليَّة حركة سياسيَّة استهدفت قلبَ نظام الحكم العبَّاسي - أي الخلافة - عن طرق شتَّى ، منها استغلال الحاجة والفرق ، بالدَّعوة إلى الاشتراكيَّة لتحقيق أحلام الفقراء بحياة أفضل ، والعمل على محاربة مقوِّمات تلك الدولة ديناً ولغةً وأدباً وقوميَّةً ، وبكلمة مختصرة ، العمل على محاربة الإسلام .
وأثبت الزَّمن أنَّ الدِّين والأدب والقوميَّة أشياء خالدة لا تُدكُّ ، وأحداث عاميَّهِ ١٩٨٩ و ١٩٩٠ في العالم ، خير شاهد .

وتظهر لباقة الأستاذ بندلي جليَّة واضحة في الجملة الأخيرة من المقطع السَّابق ، وهي : « وأهمها الدِّين والأدب والعاطفة القوميَّة ، أو ما كان يقوم وقتئذٍ مقامها » ،
(١) أبو جعفر المنصور ، الخليفة العبَّاسي الثاني : [٧٥٤ - ٧٧٥ م] .

فألذني كان يقوم مقامها هو الإسلام !! وتوضح ذلك في الصفحة ١٣١ : « ومن كان غرضهم دك أركان الدولة العباسية المؤسسة على العصبية القومية والإسلام » .



الفصل الخامس : القرامطة

جاء في الصفحة ١٦١ : « هدف (صاحب الزمان) تحرير الناس من نير العبودية وظلم الدولة وأصحاب الأملاك » . وفي الصفحة ١٧٢ : « .. ولا شك دخول أبي طاهر مكة عنوة (في ١٢ كانون الثاني من سنة ٩٣٠ م) وسلبه بيتها المقدس وقتله حجّاجها وسكانها إلى غير ذلك من الفظائع التي اقترفها هو وجيوشه في بيت الله والمدينة مما لا بدّ من ذكر بعضه هنا للوقوف على قسم من برنامج القرامطة الذي له علاقة بالدين والأدب » . وفي الصفحة ١٧٣ : « فكان يتعرّض للحجّاج في طريقهم إلى الحرمين أو منها ، ويحاول أن يمنعهم من تأدية الحجّ ، وإقامة شعائره التي كان يحسبها من شعائر الجاهلية ، ومن قبيل عبادة الأصنام ، حتّى كاد يقضي على الحجّ وشعائره ، وينسي المسلمين طريقهم إلى الحرمين إلّا في ماندر من السنين ، وكان يقتصر في هذه الغزوات على نهب الحجّاج ومنعهم من زيارة البيت الحرام .. » . وفي الصفحة ١٨١ : « فترك عاصمة بلاده ، وخرج يريد بيت الله الحرام ، ليضرب الإسلام في صميم قلبه ، ويقضي عليه في منشه إن استطاع إلى ذلك سبيلاً » ، وفي الصفحة ١٨٢ : « وكان يدعو أصحابه وقد ثملوا بسورة الفتح ، وما غنوه من المال والحلي أن أجهزوا على الكفار وعبدة الأحجار ، ودكّوا أركان الكعبة ، واقلعوا الحجر الأسود حتّى لا يبقى منه أثر » ، وفي الصفحة ١٨٥ : « كان في جملة مانهبه القرامطة في مكة الحجر الأسود المعروف ، وهو الحجر الذي كانت ولا تزال الحجّاج تطوف حوله وتبرك به .. » ، وفي الصفحة ذاتها (١٨٥) : « أقام أبو طاهر وأصحابه في مكة اثني عشر يوماً وهم يُعمِلون السيوف بأهاليها وبحجّاج بيت الله ، وينهبون أموالهم ، ويأتون من الأفعال

ما تقشعر له الأبدان ، وقد أخذوا كلَّ ما وصلت إليه أيديهم من الحلي الثمينة والتُّحف القديمة التي كانت معلقة على جدران الكعبة أو محفوظة في خزانتها .. » .

طبعاً ، الأستاذ بندلي لم يقر القرامطة على أفعالهم : « .. ويأتون من الأفعال ما تقشعر له الأبدان .. » ، ولكن - بعد تأكيدنا على سلامة ما أورده الأستاذ وصحَّته - نسأل :

- هل ذبح الحجيج في الحَرَم ، يحقق تحرير النَّاس ، ورفع نير العبوديَّة وظلم الدَّولة؟!؟

- وهل صحيح أنَّ الحج في الإسلام من شعائر الجاهليَّة ، ومن قبيل عبادة الأصنام؟

- وهل حقاً أن الحجَّاج يطوفون حول الحجر الأسود ، أم حول الكعبة؟

أمورٌ كانت تحتاج إلى الإيضاح ، ثم الاستنتاج - وبموضوعيَّة تامَّة - أنَّ أهداف القرامطة التي كشف الأستاذ بندلي عن حقيقتها ، هي ضرب الإسلام في عقيدته وكعبته وأتباعه ، فأين تحرير النَّاس من نير العبوديَّة وظلم الدَّولة وأصحاب الأملاك؟ إنَّ الذين ذبحوا في الحَرَم المكِّي هم (النَّاس) الذين نريد تحريرهم ، لا رجال الحكم العباسي وأصحاب الأملاك .



وورد في الصَّفحة ٢٠٤ : « وسائر فِرَق الإسماعيليَّة تنتظره - تنتظر إمام الزَّمان (المهدي) - وتعول عليه في دكِّ دولة الظُّلم وإقامة دولة العدل والمساواة ، ومملكة (السُّلم والمحبة) .. » .

« دكِّ دولة الظُّلم » ، ألا وهي الدَّولة العباسيَّة ونظامها الاجتماعي ، إذن الهدف عند جميع الفرق الباطنيَّة ، أو على الأقل عند مؤسسيها ، ضرب الإسلام حقداً عليه ،

وثأراً منه ، لإعادة عقائدهم القديمة ، مستغلين في هذا السبيل كل ما يمكن أن يُستغل من عواطف ومشاعر عند الفقراء تارة ، وعند غيرهم من الحاقدين أو الناقمين أو الطامعين ..



وجاء في الصّفحة ٢١٢ : « فلم يكده هذا الخبر ينتشر بين جيرانهم حتى خرجت عليهم سكان أواسط جزيرة العرب ، وانفصلت عنهم ، ثم تبعهم سكان عُمان سنة ٣٧٥ هـ = ٩٨٥ م ، وقبائل المتفق التي انقضت عليهم سنة ٣٧٨ هـ = ٩٨٨ م وكسرتهم شرّ كسرة ، ثم تعقبتهم إلى عاصمتهم التي التجأ إليها القرامطة فحاصرتهم فيها ، لكنها لم تقوَ على فتحها ، فتحوّلت عنها إلى القطيف ففتحتها .. » .

بينما جاء في الصّفحة ٢٠٠ : « فلا عجب والحالة هذه ، إذا كان سكان البلاد المذكورة راضين عن حكومتهم ونظامها ، وعاملين على تأييدها عند الحاجة ، كما لا عجب أيضاً إذا كنا لم نسمع ، ولم نقرأ شيئاً يستفاد منه وجود طبقة من الناس ، تعمل على قتل النظام الجديد ، أو إسقاط الحكومة التي أوجدته ومشت عليه . » .

أليس بين المقطعين تناقض بيّن ؟

في الصّفحة ٢٠٠ : « كان سكان البلاد المذكورة - وهي البحرين ، أي ساحل الخليج كلّه - راضين عن حكومتهم ونظامها .. » ، ولم نسمع ، ولم نقرأ شيئاً يستفاد منه وجود طبقة من الناس تعمل على قتل النظام الجديد ، أو إسقاط الحكومة التي أوجدته ومشت عليه .

بينما في الصّفحة ٢١٢ : « فلم يكده هذا الخبر ينتشر بين جيرانهم حتى خرجت عليهم سكان أواسط جزيرة العرب وانفصلت عنهم ، ثم تبعهم سكان عُمان .. » .

لم نسمع ، ولم نقرأ شيئاً يستفاد منه وجود طبقة من الناس تعمل على قتل النظام الجديد ، أو إسقاط الحكومة .. بسبب بطشها ، وشدة إرهابها ، وفحشها في القتل

والتنكيل . ولكن بعد افتضاح أمرها ، وضعف قوتها : « فلم يكد هذا الخبر - خبر انهزامهم في حربهم مع السلطان صمصام الدولة (٩٨٩ - ٩٩٨ م) التي انتهت بكسرهم ، ورجوع فلولهم إلى البحرين - ينتشر بين جيرانهم حتى خرجت عليهم سكان أواسط جزيرة العرب ، وانفصلت عنهم ، ثم تبعهم سكان عمان .. » .

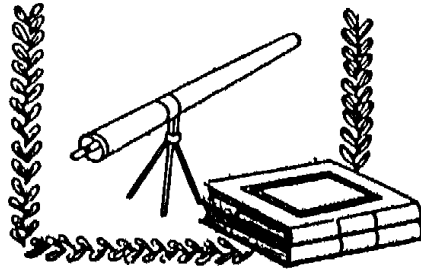
وبعد الحديث عن قرامطة البحرين وعمان ، ورد في الصفحة ٢١٦ : « فيا حبذا لو قام بيننا سائح كناصر خسرو أو ابن بطوطة ، فزار تلك الجمهوريّة العربيّة ، وما يجاورها من البلاد التي تأثرت بنظامها وتعاليمها الاشتراكيّة ، وبحث هناك عن تاريخها في الأعصر المظلمة ، وما حَفِظَ من كتبها القديمة ، فيطلعنا على أحوالها الحاضرة » .

عبارات الأستاذ بندلي هنا ، تناقض فيما يظهر من إعجاب وإكبار لدولة القرامطة ، وتمنيّات بالكتابة عن أحوالها وتاريخها ، تناقض ما جاء في الصفحات : ١٧٢ و ١٧٣ و ١٨١ و ١٨٢ و ١٨٥ من وصفه لأعمال القرامطة التي لا تقوم بمثلها وحوش الغاب ، من اقتحام للمدن ، وبخاصة المقدّسة منها ، وقتل للحجاج ، ونهبهم للأموال ، وخراهم للديار ، فهل هذه هي الجمهوريّة التي يتمنى أن يعرف أخبارها في تلك الأعصر المظلمة ؟

وأبيّ عصور مظلمة تلك ؟ أهى عصور بغداد مدينة العلم والنور والرقي والتقدم ؟ أترأه يبكي على طبقات فقيرة ظلمها المجتمع ؟ ولو قبلنا جدلاً وجود طبقات فقيرة ، فهل يسمح لنا العقل والعلم والموضوعيّة أن نسميها عصور ظلام ؟ وهل وجود طبقة فقيرة اليوم في بعض الدول التي رادت أعماق المحيطات ، وتحرّرت من الجاذبيّة الأرضيّة فغزت الفضاء وهبطت على أجرامه ، هل نسمح لأنفسنا بتسمية عصرها اليوم ، بعصر الظلام ؟

صحيح تماماً أنّ العصور الوسطى هي عصور ظلام ، وحرقت للعلماء ، ومحاربة

للمعرفة ، هذا حقٌّ لا ريب فيه ، لكنه لا ينطبق إلاّ على أوربة ، فالشرق في العصور الوسطى شرق المكتبات والجامعات والعلماء ، بينما كانت أوربة غارقة في ظلام الجهالة وعمائتها ، فحاكمت رجال الفكر والعلم على ما يعلّمه رجال الدّين مخالفاً لآراء الكنيسة ، يقول غوستاف لوبون في (حضارة العرب) ساخراً منّ يقارن العرب في العصور الوسطى بالأوربيين في الوقت نفسه : « فقد كان الوضع على عكس الوقت الحاضر تماماً ، العرب هم المتحضّرون ، والأوربيّون هم المتأخّرون ، ولا أدلّ على ذلك ، من أنّنا نسبّي تاريخ أوربة في ذلك الوقت العصور المظلمة » .



خاتمة

كان الفصل السابق دراسات ونظرات في كتاب الأستاذ بندلي الجوزي الأهم : (من تاريخ الحركات الفكرية في الإسلام) ، واستكمالاً نوجز أهم الفكر التي وردت في مقالات الأستاذ بندلي ، والتي جمعت في كتاب : (بندلي صليبا الجوزي ، دراسات في اللغة والتاريخ الاقتصادي والاجتماعي عند العرب)^(١) ، والذي ضمّ المقالات التالية :

الجزية والخراج في أوائل الإسلام : (سياسة الخلفاء الاقتصادية) ١ و ٢^(٢) :

يذكر الأستاذ بندلي في الصفحة ٢٢ : « من فضل النبي العربي على أمته وأكبر الأدلة على عبقريته وقوة إرادته أنه أول من وفق في تاريخ هذه الأمة على مانع إلى جمع شتاتها ، وتوحيد كلمتها ، وجعلها شعباً واحداً ، أو أمة واحدة ، بمعنى هذه الكلمة الحقيقي ، تسعى وراء غاية كبرى Ideal معتمدة في ذلك على وسائل أدبية وسياسية معقولة ، تضمن لها بلوغ هذه الغاية في أقرب وقت ، وذلك بعد أن كانت قبائل متخالفة متطاحنة لا جامعة أدبية أو دينية تجمعها ، ولا شعور قومي يربط أجزاءها المتباعدة المتنافرة ، وهو ما لم يتم لغير محمد - صلى الله عليه وآله وسلم - قبله ، مع أن الذين حاولوا جمع الأمة العربية بالسيف ، إن كان في جنوب الجزيرة ، أو في وسطها وشمالها كانوا كثيرين ذكر التاريخ بعضهم وأهمل أكثرهم ، وهذا شأنه مع من أصابه الفشل .

(١) جمع وتقديم الأستاذين : جلال السيد وناجي علوش ، نشر : دار الطليعة - بيروت ، الطبعة الأولى

١٩٧٧ م .

(٢) (المقتطف) ، نشر القسم الأول من الدراسة في ١ أيار (مايو) ١٩٢٩ ، والقسم الثاني في حزيران

(يونيو) ١٩٢٩ م .

وإنَّ لمن أقوى الأدلَّة على بعد نظر المصلح العربي الكبير ، وحسن سياسته ، وعظيم ذكائه الطَّبِيعِي ، أنَّ جمعه لتلك القبائل المتباغضة المفكَّكة العَرِي ، بل لتلك الرِّمال المتناثرة ، لم يكلفه من التَّعب والضَّحايا ما كلف غيره من موخِّدي الأمم ، ومؤسِّسي الممالك الضَّخمة قبله وبعده ، مع توافر الوسائل لديهم ، ومساعدة الأحوال لهم أكثر من مساعدتها له .

لقد جعل الأستاذ بندلي (السِّياسة الاقتصادية) أهمَّ أسباب سقوط الدَّولة العربيَّة (الأمويَّة) .

وفي رأينا أنَّ السَّبب الأهم من ذلك هو تعصُّب الأمويين للعرب ، ذاك التَّعصُّب الَّذِي بعث روح الشُّعوبيَّة في أرجاء الدَّولة ، شعوبيَّة بدأت باللسان والأقلام ، وانتهت بالأسنَّة والرِّماح ، مما جعل العباسيين يستغلون كراهية (الموالي) لبني أميَّة ودولتهم ، فضلاً عن أنَّ تولية العهد الأموي لاثنتين معاً أحياناً ، قد أورث شقاقاً ومنافسة في البيت الأموي فككَّ دولتهم وعجَّل بسقوطها .

ولكن الهفوة الكبرى ، تبني الأستاذ بندلي لآراء بعض المستشرقين دون تمحيص أو نقد ، حيث يقول في الصَّفحة ٢٣ : « إنَّ النِّبيَّ العربيَّ لم يفكر قط في بناء مملكة ضخمة كإحدى الممالك الَّتِي ذكرناها » ، وهي : مملكة الإسكندر الكبير ، أو إمبراطوريَّة الرومان ، أو إحدى ممالك المغول والتُّرك بعده ، ومع أنَّ الأستاذ يقرر : « إلاَّ أنَّ ذلك لا يقدر في عمله - صلى الله عليه وآله وسلَّم - لأنَّ الغرض الأوَّل من دعوتِه لم يكن سياسياً ، بل اجتماعياً ودينيّاً ، ولا أراني بعيداً عن الحقيقة إذا قلتُ إنَّ توحيد الأُمَّة العربيَّة السِّياسي على يد محمَّد - صلى الله عليه وآله وسلَّم - كان نتيجة توحيدها الأدبي والديني » ، (الصَّفحة ٢٣) .

إنَّ مقولة : « إنَّ النِّبيَّ العربيَّ لم يفكر قط في بناء مملكة ضخمة كإحدى الممالك الَّتِي ذكرناها » ، مقولةٌ قالها موير Miur في كتابه (الخلافة) الصَّفحة ٣٤ ، وجاك ريسلر في كتابه (الحضارة العربيَّة) الصَّفحة ٢٧ ، وهي مقولة ينقضها :

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ ، [الأنبياء ١٠٧/٢١] ، و ﴿ إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ، وَلَتَعْلَمَنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴾ ، [ص ٨٧/٣٨ و ٨٨] ، و ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ، [سَبَأ ٢٨/٣٤]^(١) .

وتنبأ صلى الله عليه وآله وسلم : « إِنَّ اللَّهَ سَيَفْتَحُ عَلَيْكُمْ بَعْدِي مِصْرَ ، فَاسْتَوْصُوا بِقَبْطِهَا خَيْرًا ، فَإِنَّ لَهُمْ فِيكُمْ صَهْرًا وَذِمَّةً »^(٢) .

كما تنبأ أثناء حضرة الخندق شمالي المدينة المنورة ، قبيل غزوة الأحزاب (٥ هـ = ٦٢٧ م) بفتح الحيرة وقصور كسرى ، وفتح القصور الحُمري في الشام ، وأن دينه وسلطانه سيبلغان ما بلغا ملك كسرى^(٣) ، وقد بلغ فعلاً ما بلغه ملك كسرى وأكثر .

وقال الأستاذ عن أبي يوسف صاحب (كتاب الخراج)^(٤) : « لم يكن يفرق بين الخراج والجزية ، فهو يستعمل كلمة خراج للدلالة على الجزية وبالعكس » ، (الصّفحة ٣٥) .

والصّواب ، لقد فرّق أبو يوسف بين الخراج والجزية ، ولكنه عدّ الخراج فيئاً^(٥) .

ففي (فصل في الفئء والخراج) ، الصّفحة ٢٥ من كتاب الخراج ، يقرّ

(١) وَيُصِرُّ الْأُسْتَاذُ فِي الصَّفْحَةِ ٢٠٦ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ (بِالْعَالَمِينَ) وَبِـ (كَافَّةُ النَّاسِ) الْعَرَبُ فَقَطْ ، وَلَكِنْ اللَّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ لَا تَسْعَفُهُ فِي ذَلِكَ مِنْ نَاحِيَةٍ ، وَلْتَبَيَّنْ إِسْرَالُ رَسَائِلَ إِلَى كَسْرَى وَقَيْصَرَ وَالْمَقْوَسِ .. مِنْ نَاحِيَةٍ ثَانِيَةٍ ، وَهُؤُلَاءِ لَيْسُوا مِنْ قَوْمِهِ الْعَرَبِ قَطْعًا ١٤١ !

(٢) الْكَامِلُ فِي التَّارِيخِ ١٢٢/٢ وَ ١٢٣

(٣) الْكَامِلُ فِي التَّارِيخِ ١٤٦/٢

(٤) (كِتَابُ الْخَرَاجِ) لِلْمِقَاضِي أَبِي يُوسُفَ يَعْقُوبَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ [١١٣ - ١٨٢ هـ - ٧٣١ - ٧٩٨ م] ، صَاحِبِ الْإِمَامِ أَبِي حَنِيفَةَ ، اقْتَرَحَ عَلَيْهِ إِتْسَاءَهُ وَتَصْنِيفَهُ هَارُونَ الرَّشِيدَ ، وَاعْتَمَدْنَا هُنَا طَبْعَةَ : الْمَطْبَعَةِ السَّلْفِيَّةِ وَمَكْتَبَتِهَا - الْقَاهِرَةَ ، الطَّبْعَةُ الرَّابِعَةُ ١٣٩٢ هـ .

(٥) الْفِيءُ : هُوَ الْمَالُ الَّذِي يَصِيبُهُ الْمُسْلِمُونَ دُونَ قِتَالِ . (لِسَانُ الْعَرَبِ : فَيَأُ) .

الباب الأول (1) في صفة الارض وما فيها من الجبال

والبحار وغير ذلك

الباب الثاني (2) في ذكر الاماكن السبعة واشتقاقها

ولا يختلف في كيتها

الباب الثالث (3) في تفسير الفاظ التي يتكرر ذكرها

في هذا الكتاب فرسخ درج ودرج

الباب الرابع (4) في اقوال الفقهاء في الحكم

ارض الفرج والعينة وكيف

تسبب ذلك عند ارض

عشر ارض ضارب بحسن القيمة

الباب الخامس (5) في محل من اصاب البلدان

نموذج من خط الأستاذ بندي

أبو يوسف : « فأمّا الفياء يا أمير المؤمنين - يخاطب هارون الرشيد - فهو الخراج عندنا ، خراج الأرض ، والله أعلم » .

ويقول أبو يوسف في الصفحة ١٣١ (فصل فيمن تجب عليه الجزية) : « والجزية واجبة على جميع أهل الذمة .. وإنما تجب الجزية على الرجال منهم دون النساء والصبيان .. » .

لقد عدّ أبو يوسف الخراج فيئاً ، ولكنه على الأرض حصراً ، أمّا الجزية ، فتفرض بعد الفتح على الرجال حصراً .



الجزية والخراج^(١) :

يقول الأستاذ في الصفحة ٤٤ عن الدولة العريية : « همها الأعظم كان جمع المال » ، أي كانت (الغنية هي الهدف) ، وهي تهمة قالها ستانلي لان بول في كتابه : *Arabs in Spain*, P.43 ، وفيليب حتي في كتابه : *History of the Arabs*, I, P. 195 ، ونورمان بينز في كتابه الإمبراطورية البيزنطية ، الطبعة العربية الثانية ، الصفحة ٥٥ ، نشر : الدار القومية للطباعة والنشر .

ويكفي أن نذكر هنا بقول عمر بن عبد العزيز : « إن الله أرسل محمداً ﷺ داعياً ، ولم يبعثه جايياً »^(٢) ، وبقول ابن عباس : « ليس في أموال أهل الذمة إلا العفو »^(٣) .

(١) مجلة الكلية ، مجلة الجامعة الأمريكية في بيروت ، المجلد ١٨ ، تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٣١ م .

(٢) الطبري ٥٥٨/٦ ، أحداث سنة ١٠٠ هـ .

(٣) الخراج ، الصفحة ١٣٣ ، وهذا يذكرنا بإرجاع المسلمين المال إلى أهل حصص ، عندما انسحبوا جنوباً إلى اليرموك .

وقال الأستاذ بندلي في الصّفحة ٤٥ : « إنَّ الضَّرَائِبَ الَّتِي وَضَعَهَا الْعَرَبُ عَلَى أَهْلِ الذَّمَّةِ لَمْ تَكُنْ مَجْدًا ذَاتَهَا بَاهِظَةً وَلَا مَجْحَفَةً ، لِأَنَّهُمْ حَاولُوا أَنْ يِرَاعُوا فِي وَضْعِهَا حَالَةَ الْمَزَارِعِينَ وَالْعَمَالِ ، فَقَسَّمُوهُمْ إِلَى ثَلَاثِ طَبَقَاتٍ : ١ - طَبَقَةُ الْمَوْسِرِينَ ، وَ ٢ - طَبَقَةُ الْأَوْسَاطِ ، وَ ٣ - طَبَقَةُ الْمُحْتَاجِينَ ، وَهُمْ الْفَلَاحُونَ الْعَامِلُونَ بِأَيْدِيهِمْ ، فَجَعَلُوا جِزِيَةَ أَصْحَابِ الطَّبَقَةِ الْأُولَى ثَمَانِيَةً وَأَرْبَعِينَ دِرْهَمًا ، وَجِزِيَةَ الطَّبَقَةِ الثَّانِيَةِ أَرْبَعَةً وَعِشْرِينَ دِرْهَمًا ، وَجِزِيَةَ الطَّبَقَةِ الثَّلَاثَةِ اثْنَيْ عَشَرَ ^(١) ، وَأَخْرَجُوا مِنْهَا النِّسَاءَ وَالْأَوْلَادَ وَالشُّيُوخَ فَوْقَ السِّتِّينَ سَنَةً ، وَالْمَرْضَى الْمَزْمِنِينَ وَالْعَبِيدَ ، أَمَّا ضَرِيْبَةُ الْأَرَاضِيِّ أَوْ الْخَرَاجِ أَوْ الطُّسُقِ ^(٢) كَمَا كَانُوا يَسْمُونَهَا أَحْيَانًا ، فَلَمْ تَكُنْ أَيْضًا ثَقِيلَةً عَلَى عَاتِقِ الْفَلَاحِ وَصَاحِبِ الْأَرْضِ ، لِأَنَّهُمْ رَاعُوا فِي وَضْعِهَا طَبِيعَةَ الْأَرْضِ وَمَا تَحْتَمِلُهُ ، وَلِهَذَا كَانَ خَرَاجُ أَرَاضِي مِصْرَ ، غَيْرِ خَرَاجِ الْعِرَاقِ وَفَارِسَ وَهَلْمَ جَزَاءً » .

وقال الأستاذ أيضاً في الصّفحة ٥٦ : إنَّ عَمْرَ بْنَ الْخَطَّابِ كَانَ يَكْتُبُ أَمْوَالَ عُمَّالِهِ إِذَا وَلَاَهُمْ ، ثُمَّ يَقَاسِمُهُمْ مَا زَادَ عَلَى ذَلِكَ ، حَرَصًا لِلْعَدْلِ وَالْإِنصَافِ فِي الْجَبَايَةِ .



حَنِينِ الْعَرَبِ إِلَى بَنِي أُمَيَّةٍ ^(٣) :

اعتمد الأستاذ بندلي في مقالته هذه على يوليوس فلهاوزن وكايتاني والأب اليسوعي هنري لامانس ، وكتاب (الأغاني) لأبي الفرج الأصفهاني .

(١) الخراج ، الصّفحة ٦٩

(٢) الطُّسُقُ : ما يوضع من الوظيفة على الجربان من الخراج المقرّر على الأرض (فارسي معرّب) ، وكتب عمر إلى عثمان بن حنيف في رَجُلَيْنِ مِنْ أَهْلِ الذَّمَّةِ أَسْلَمَا : ارفع الجزية عن رؤوسها وخذ الطُّسُقَ مِنْ أَرَاضِيهَا ، (لسان العرب : طسق) .

(٣) القسم الأول (المقتطف) حزيران (يونيو) ١٩٣١ ، والقسم الثاني (المقتطف) تموز (يوليو) ١٩٣١ م .

جاء في موسوعة المستشرقين ، الصّفحة ٣٤٩ ، بعد ذكر مصنّفات لامانس حول الخلافة الأمويّة : « وفي هذه المصنّفات بالغ لامانس في تمجيد الأمويين بدافع من الحقد الشّديد على الإسلام ، وفارق هائل بين ما قام به يوليوس فلهاوزن في كتابه (الدّولة العربيّة وسقوطها) من إنصافٍ لمعاوية ، ولبعض الأمويين من تحامل اقترفه المؤرّخون المسلمون ، الّذين كتبوا في العصر العبّاسي ، وكانوا تبعاً لذلك متأثّرين بكراهية العبّاسيين للأمويين ، ومشايعين لرواية أهل العراق ، وبين الاندفاع الأهوّج عند لامانس في تبرير أبشع جرائم يزيد والأمويين بعامة » .

أمّا كتاب (الأغاني) ، فهو كتاب أدب ، لا كتاب تاريخ يعتمد ، وهذا لا يعني مطلقاً أنّ كلّ كتاب أدب لا يؤخذ به ، بل يؤخذ به إذا كان صاحبه ثقةً ومعروفاً عنه الأمانة في النّقل والصّدق في الرّواية ، جاء في (لسان الميزان) للإمام الحافظ شهاب الدّين أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني بشأن صاحب (الأغاني) لأبي الفرج الأصفهاني : يأتي بالأعاجيب محدثنا وأخبرنا ، وهذا ما ذكره أيضاً عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذّهبي في (ميزان الاعتدال في نقد الرّجال : ١٢٣/٣ و١٢٤) .

☆ ☆ ☆

السّفْيَانِي^(١) :

بعد حديث الأستاذ بندي عن فكرة المهدي ، يقول في الصّفحة ٩٤ : « فَمِمَّنْ ذَكِّرُوا بين الّذين أدخلوا على الإسلام هذا التّعليم عبد الله بن سبأ ، وعبد الله بن السّوداء وغيرهما ، وكلّهم كانوا من اليهود الّذين أظهروا الإسلام ليفسدوا - كما يقول صاحب (الفرق بين الفرق)^(٢) - على المسلمين دينهم بتأويلاتهم في عليّ وأولاده .. » .

(١) نشر القسم الأوّل في (المقتطف) حزيران (يونيو) ١٩٣٣ ، والقسم الثّاني في عدد تموز (يوليو)

١٩٣٣ م .

(٢) في (الفرق بين الفرق) الصّفحة ٢٢٥ : « عبد الله بن السّوداء كان يعين السبائية (؟) على قولها « ولعلّ الالتباس جاء من هنا ، وبعض المسلمين يعدّون ابن سبأ (أو ابن السّوداء) شخصيّة أسطوريّة خياليّة ، لا وجود لها أصلاً .

وصواب ما سبق : عبد الله بن سبأ هو ابن السّوداء ذاته ، جاء في الأعلام ٨٨/٤ :
« عبد الله بن سبأ (ت نحو ٤٠ هـ = نحو ٦٦٠ م) يقال له ابن السّوداء ، لسواد
أمّه » ، وجاء في القاموس الإسلامي^(١) : « عبد الله بن سبأ ، رأس الفرقة السبئية ،
ويعرف بلقبه ابن السّوداء » .

وفي فجر الإسلام ، الصفحة ١١٠ : « ونحن نعلم أنّ ابن السّوداء هذا لقب لُقّب به
عبد الله بن سبأ » .

☆ ☆ ☆

أمير أموي من سلالة مسيحية :

للعلامة (بارتولد) عضو أكاديمية لينينغراد العلمية ، مقالة نقلها عن الروسية
الأستاذ بندلي ، ونشرها في (المقتطف) ، تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٣١ م ، وبما أنّ
المقالة ليست من صنعة الأستاذ بندلي ، لانقف طويلاً عندها ، ولكن نوجّه الأنظار
أو الانتباه إلى أن العلامة (بارتولد) اعتمد الواقدي بشكل بارز في دراسته .

ومحمد بن عمر الواقدي : [٧٤٧ - ٨٢٣ م] أحد الرواة الذين جرّحوا لذكره أقوالاً
كذبها قومٌ عدولٌ ثقات كالإمام الشافعي^(٢) ، وإنه لمن دواعي الأسف أن بعض كتاب
الغرب قد احتجّوا بأقوال الواقدي هذا ، وتتبعوا بالذات تلك الروايات التي جرّحها
الثقات .

يقول ابن خلكان^(٣) عن الواقدي : « وضعّفوه في الحديث وتكلموا فيه »^(٤) ،
والإمام الشافعي يقول : « كتب الواقدي كلّها كذب » .

- (١) لأحمد عطية الله ، نشر : مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة الأولى سنة ١٩٧٠ م .
- (٢) محمد بن إدريس الشافعي [١٥٠ - ٢٠٤ هـ = ٧٦٧ - ٨٢٠ م] ، الإمام الشهير ، ولد في غزّة
(فلسطين) ، وتوفّي بالقاهرة .
- (٣) أحمد بن محمد بن إبراهيم خلكان : [٦٠٨ - ٦٨١ هـ = ١٢١١ - ١٢٨٢ م] ، صاحب كتاب (وفيات
الأعيان وأنباء أبناء الزمان) ، وهو من أشهر كتب التراجم .
- (٤) وفيات الأعيان ٣٤٨/٤

الأمومة عند العرب :

كُرَّس صدر في قازان سنة ١٩٠٢ ، ترجمه الأستاذ بندلي عن الألمانية ، والموضوع أصلاً كتبه G.A.Wilken ، ولن نقف مطوّلاً عنده ، لأنّه ليس من صنعة الأستاذ بندلي وإنشائه ، ولكن نوجّه الانتباه إلى فقرة جاء فيها حرفياً : « إنَّ عليّاً - صهر النبيّ - اتَّخذ بعد فاطمة ، أكثر من مائتي امرأة من المطلّقات ، ومما قيل عنه إنّه كان أحياناً يبني على أربع نساء ، بعد أن يطلق مثل هذا العدد . » .

هذه العبارات على خطئها وبُعدها عن الحقيقة تماماً ، استناداً لدراسة سيرة علي كرم الله وجهه ، قيلت بحق الحسن بن علي رضي الله عنه ، وهو بعيد كلّ البعد عنها ، فلم يُخصّ للحسن أكثر من عشر نساء ، وهذا ليس بغريب في ذلك العصر .

القرآن والبحر :

مقالة نشرت في (المقتطف) تموز (يوليو) ١٩٢٩ ، مترجمة عن الروسية ، فهي للعلامة فاسيلي بارتولد ، عضو أكاديمية لينينغراد العلميّة ، نقلها إلى العربيّة الأستاذ بندلي .

ومما جاء في الصّفحة ١٩٤ : « إنَّ تصوّرات القرآن عن البحر وعواصفه تمتاز بشدّة جلّائها ، وقوّة وصفها ، وإنّ محمّداً الذي لم يعرف بسعة تخيّلاته في وصف الطّبيعة ، حتّى في وصف جنّات النّعيم ، صوّر لنا تصويراً جليلاً ذا حياة جريان الأفلاك في البحر (النّحل ١٤)^(١) وتسيير الله للنّاس فيه ، ويصف فرحهم وهم في الفلّك ﴿ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ ﴾^(٢) ، وشدّة خوفهم إذا ﴿ جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ ﴾^(٣) ، (يونس ٢٢) ، ويشبّه حياة الكفّار ﴿ بِسَرَابٍ

(١) ﴿ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْماً طَرِيحاً وَتُسَخِّرُوا مِنْهُ جَلِيَّةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَازِيرَ

فِيهِ وَلِتَلْبَتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ ، [النّحل : ١٤/١٦] .

(٢) ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا

بقية ﴿^(١)﴾ ، ﴿ أو كظلمات في بحر لَجِيٍّ يغشاها مَوْجٌ من فوقه مَوْجٌ من فوقه سحابٌ ظلماتٌ بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ﴾^(٢) ، [النور ٤٠] .

إننا لسوء الحظ لا نجد في السيرة النبوية التي لاتزال الأبحاث الحديثة تززع ثقتنا بها ، موادَّ كافية تقدر معها أن نجيب عن السؤال الآتي ، وهو : كيف ومتى تحصلت لدى محمد - صلى الله عليه وآله وسلم - تصوراتهِ الجليَّة عن البحر وعواصفه ، وهذا السؤال في نظري على جانب عظيم من الأهميَّة ، لأن وصف البحر وماله علاقة بالبحر من الموضوعات التي لم يطرقتها الشعر العربي ، وعلى الأخص الجاهلي منه ، من المعلوم أنَّ أصحاب السيرة النبوية لا يذكرون عن رحلات النبيِّ البحريَّة ، أو رحلاته إلى أحد شواطئ البحر شيئاً ، بل هم لا يذكرون شيئاً عن زيارته للمرافئ القريبة من مكَّة كجدَّة وشعيب .. » .

أولاً : عبارة « .. السيرة النبوية التي لاتزال الأبحاث الحديثة تززع ثقتنا بها .. » ، وتساءل لمن هذه الأبحاث الحديثة ؟ فنجدها في الصفحة ١٩٦ للآب اليسوعي لامانس في كتابه (مهد الإسلام) !؟!

ثانياً : أمَّا القول : « من المعلوم أنَّ أصحاب السيرة النبوية لا يذكرون عن رحلات النبيِّ البحريَّة أو رحلاته إلى أحد شواطئ البحر شيئاً ، بل هم لا يذكرون شيئاً عن زيارته للمرافئ القريبة من مكَّة كجدَّة وشعيب » ، لم يذكروا شيئاً عن رحلات النبيِّ - صلى الله عليه وآله وسلم - البحريَّة .. لأنها لم تكن ، فما درست في العالم سيرة بتفاصيلها ودقائقها كسيرة محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم ، لقد ذكر

= جاءتها ريحٌ عاصِفٌ وجاءهم المَوْجٌ من كلِّ مكانٍ وظنُّوا أنَّهم أُحيطَ بهم دَعَا اللهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِن أُجِبتنا مِنْ هذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿ ، [يونس ٢٢/١٠] .

(١) ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بَقِيعةٍ يَحْسبُهُ الظَّالِمُونَ مَاءً .. ﴾ ، [النور ٣٩/٢٤] .

(٢) أورد الأستاذ بندلي في مقاله الآية بشكل خاطئ وناقص ، فصوَّبنا الخطأ وأضفنا النقص .

أصحاب السيرة مشيته وضحكه وتبسمه ، وكيف كانت جلسته ، ووصفوا احتبائه واستلقائه وتحريك يده حين كلامه ، وكيف أكل ، وكيف شرب ، حتّى إنهم ذكروا خُفّه وناقته وبغلته وحماره .. فمن باب أولى أن يذكرها ما هو أهمُّ مما سبق لو وُجدَ !!

☆ ☆ ☆

مَنْ الْمُصِيبُ^(١) ؟

يؤكد الأستاذ بندلي في هذه المقالة ، التي ردّ فيها على الأستاذ عبد اللطيف الطيّبائي ، بروح العالم الباحث المنصف (الصّفحة ٢٠٢) : « وإنّي أكره الجدلّ الباطل ، ولا أتعامى عن الحقيقة إن بدت لي في أبحاث غيري » .

ويذكر الأستاذ في مقاله هذه ، أنّه اعتمد في أبحاثه على آراء المستشرقين ، مثل كايثاني ، وفلهاوزن ، وجولدتسيهر ، والأب هنري لامانس .

وجاء في الصّفحة ٢٠٨ : فَشِلَ النَّبِيُّ فِي الْحَدِيثِ فِي السَّنَةِ ٦ هـ = ٦٢٨ م ، « الفشل الذي اضطر معه أن يعود إلى المدينة ولم يقض وأصحابه شعائر الحجّ .. » .

أولاً : لم يقض أصحابه شعائر العمرة ، لاشعائر الحجّ .

ثانياً : وضوح الرؤيا في الابتداء ، جعل النبيّ يقبل بنود صلح الحديبية كما أملتها قريش ، فحقّق الهدف في الانتهاء ، فلما كانت الهدنة ، ووضعت الحرب أوزارها ، وأمن الناس بعضهم بعضاً ، والتقوا فتفاوضوا في الحديث والمنازعة ، فلم يكلم أحداً بالإسلام يعقل شيئاً إلاّ دخل فيه ، ولقد دخل تينك السنّتين - وهما مدّة الهدنة الفعلية قبل نقضها من قبل قريش - مثل ما كان في الإسلام قبل ذلك وأكثر .

وصلح الحديبية اعتراف رسمي موقّع من قريش ، بأنّ النبيّ ومن معه ، قوّة مستقلة متميّزة ، وصنو قريش زعيمة القبائل ، وهذا يعني أيضاً - أمام كلّ قوى جزيرة

(١) نشرت في (المقتطف) ، تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٢٩ م .

العرب - أن قريشاً قد اعترفت رسمياً بمن كانت تريد استئصاله ، مما جعل القبائل العربية تعيد حساباتها .

وأثر صلح الحديبية بأسرع مما كان متوقّعا ، وبأعجب مما كان يتصوّره إنسان ، حتى ذكرت دائرة المعارف الإسلامية : « أن محمّداً فاز في صلح الحديبية على قريش فوزاً سياسياً باهراً »^(١) . فلو جاء الصلح لصالح قريش ، لماذا إذن نقضته بنداً بعد آخر ؟ فلو جاء الصلح لمصلحتها ، لحرصت عليه ، وعملت جاهدة على إبقائه ، وسعت بكل ما تملك على تثبيت وجوده ، مع الالتزام المطلق به ، بل وتجعل تمديده هدفاً ، وإطالة مدّته مطلباً ، والحفاظ عليه ألا يخرج مبدأ .

☆ ☆ ☆

مَسِيلَمَةُ الْكَذَّابِ (٢) :

البحث للأستاذ بارتولد ، ترجمه عن الروسية الأستاذ بندلي ، وما جاء فيه ، الصفحة ٢٣٧ : « .. ولكن قد يكون صحيحاً أن مسيلمة وأتباعه وبينهم الرجال^(٣) ، وهو أحد القراء ، خرجوا على النبي الذي رجح عن كثير من أفكاره السابقة القريبة إلى النصرانية ، وعقد صلحاً مع القرشيين » .

ولم يذكر في البحث مثالاً واحداً عن الفكر التي رجح عنها ، مع أنها كثيرة !!

ويستغرب (بارتولد) كل حديث عن مسيلمة ، ويعده خرافةً ، ويضعف روايات المؤرخين التي لا تصوّر مسيلمة كما تخيّل مسبقاً ، حتى شكّ بمرجه (كتاب الأغاني) عندما أورد التفاصيل المخجلة البذيئة في حياة مسيلمة ، ودافع عنه قائلاً : « إن الحديث الموشى بالتفاصيل المخجلة البذيئة ليس إلا حديث خرافة لا قيمة تاريخية

(١) دائرة المعارف الإسلامية ٣٢٩٧

(٢) نشرت في (الرابطة الشرقية) ، الأعداد : ١٩٢٨/١٢/١٥ و ١٩٢٩/٢/١٥ و ١٩٢٩/٣/١٥ م .

(٣) الرجال هونهار بن عنقوة ، ارتدّ مع مسيلمة ، قتله في (حروب الردّة) زيد بن الخطاب .

له ، لا يتفق مع تعاليم مسيامة الأديبة « ، (الصّفحة ٢٤٣) ، ونذكر هنا بقول مسيامة
لأتباعه عندما حضره الموت : « أمّا الّدّين فلا دين ، ولكن قاتلوا عن أحسابكم »^(١) ،
فاستيقن القوم أنّهم كانوا على غير شيء ؟!



(١) الاكتفاء ١٣/٢

الأستاذ بِنْدَلِي مَالَهُ وَمَا عَلَيْهِ

مَالَةٌ : لقد تخرَّج على يَدَيْ الأستاذ بِنْدَلِي علماءٌ كثيرون ، حاز بعضهم على أعلى الألقاب والجوائز ، من بينهم (أنستاسيا) زوجة الأكاديمي السُّوفِييتِي الشهير (ماكاروف) ، الَّتِي حازت على جائزة الدولة لأبحاثها العلميَّة البيولوجيَّة ، والبروفيسور (فلاديمير) صاحب المؤلفات العديدة والمعروفة عالميًّا في إطار العلوم الفيزيائيَّة - الرِّياضيَّة .

حضرت جلسة المدافعة امرأة عجزت تجاوزت التسعين من عمرها ، دعاها الدكتور ضياء ، وكانت مفاجأة ، لقد وقفت لتقول بعد تهنئتي وشكري : يسرُّني ويثلج صدري أن أسمع اسم الجوزي ثانية بعد أكثر من خمسين سنة ، لقد كان خفيف الظلِّ ، قريباً إلى القلب ، لقد أحييت ذكرياتي عن أستاذي العربي المقدسي المسيحي ، صاحب المحاضرات الشيقة جداً ، درَّسنا تاريخ الإسلام والقرآن ، وطالبنا بالامتحان الأخير بحفظ عشرين سورة من القرآن الكريم ، مع الشُّرح ، للامتحان الأخير ، وقال لنا منذ محاضرتة الأولى : أنا أعرف أنكم جميعاً مسلمون ، لا تتذمَّروا منِّي إن لم أقل شيئاً مناسباً عن الإسلام ، واسم هذه العجوز الَّتِي تحدَّثت بشكل رائع : سارة بالابي عاشور بيبي (انظر صورتها في دفعة ١٩٢٩) ، وهي صورة قدَّمتها لي بعد المدافعة مع كتاب عن معبد النَّار في باكو من تأليفها ، هدية تقدير وتهنئة .

ويمكننا القول إنَّ للأستاذ بِنْدَلِي ما يلي :

١ - ثقافته الواسعة ، وشخصيَّته المطلعة .

- ٢ - وهو لا يحمل خلفيّة الاستشراق الموظّف لخدمة التبشير .
- ٣ - دفاعه عن أمّته ، والحنين إلى الوطن ومسقط رأسه .
- ٤ - دعوته إلى الوحدة العربيّة ، وجمع شمل طاقاتها ، وتوظيف ثروتها النفطيّة لخدمة قضاياها التحرّريّة ، ورفاهية الأُمّة .
- ٥ - التنبّيه إلى الأخطار المحدقة بالأُمّة العربيّة عامّة ، وفلسطين خاصّة .
- ٦ - تقده المخلص لافتراءات بعض المستشرقين .
- ٧ - رجوعه عن الخطأ : « وهو ما يناقض في الظاهر ما قرّرناه سابقاً .. »^(١) ، « وإنّي أكره الجَدَل الباطل ، ولا أتعامى عن الحقيقة إن بدت لي في أبحاثٍ غيري .. »^(٢) .
- ٨ - أمانته في الإحالة إلى المصادر ، ودقّته في النّقل منها .
- ٩ - إعجابه بالرّسول العربيّ الكريم : « المصلح العربيّ الكبير ، وحسن سياسته ، وعظيم ذكائه الطّبيعي^(٣) .. » ، « المصلح الكبير »^(٤) ، « مظاهر عبقريّته .. »^(٥) .
- ١٠ - وفاءه لأصدقائه ، ومواصلة مراسلتهم من (باكو) ، ذكر الأستاذ محمّد عليّ الطّاهر ، صاحب صحيفة (الشّورى) ، والتي كانت تصدر بالقاهرة : « كتب إلينا أنّ العلامة الفلسطينيّ الأستاذ بندليّ الجوزي ، قد وصل إلى باكو في روسية ، وأخذ يباشر أعماله التّدريسيّة في جامعاتها .. »^(٦) .

(١) دراسات في اللّغة والتّاريخ .. ص : ١٨٠

(٢) المرجع السّابق ، ص : ٢٠٢

(٣) المرجع السّابق ، ص : ٢٢

(٤) المرجع السّابق ، ص : ٥٦/٥٤/٤٨/٤٢/٤٢

(٥) من تاريخ الحركات الفكرية في الإسلام ، ص : ١٨

(٦) صحيفة الشّورى ، بتاريخ : ٢٦ أيلول (سبتمبر) ١٩٢٨ م

مَا عَلَيهِ : نمهد هنا بقولنا : إنَّ التَّاريخ العربي الإسلامي نشأ في كنف أهل الحديث الشَّريف ، علماً محققاً ، خضع لقواعد النِّقد المعروفة (بالجرح والتَّعديل) ، وهو منهج شديد الحرص على الأمانة نصّاً وروايةً وراويّاً .

بعد هذا ، نذكر ما على الأستاذ بندلي من ملاحظات :

١ - لجوؤه إلى التَّمريض والتَّضعيف في مواطن كثيرة : « فإذا صحَّ .. » ، « يقولون » ، « على ما يذكرون » ، « حكاية » كما في الصِّفحات : ٢٣١ / ٢٠١ / ١٩٩ : ٢٣٨ / ٢٤٣ (من تاريخ الحركات الفكرية في الإسلام) .

٢ - واستعمل كلمة « الجيل » بدل « القرن » الذي هو عُرْفاً في كتابة التَّاريخ مئة سنة ، كما في الصِّفحات : ١٨ / ١٩ / ٣٠ / ٣١ / ٤٥ / ٥٥ / ٥٨ / ٧٩ / ٩٢ / ١١٥ / ٢١٨

٣ - الدَّعوى بلا دليل : النَّبيُّ يسافر كلُّ سنة للتَّجارة ، وكان اسمه (قثم بن عبد اللات) ، ولا شك أنَّ النَّبيَّ العربي لم يقصد .. ولم يفكر ببناء مملكة ضخمة^(١) ..

٤ - ركَّز على العبارات التالية : « مؤسس الدِّين الإسلامي ، المصلح العربي ، واضع الشَّريعة الإسلاميَّة ، المُشترع العربي » ، كما في الصِّفحات : ٢٤ / ٢٣ / ٢٢ / ١٨ / ٢٦ / ٣١ / ٣٢ / ٣٣ / ٣٥ / ٣٨ / ٤٠ / ٤٢ / ٤٤ / ٤٨ / ٥٤ / ٥٦ / ١٣٥ / ١٤٦ / ١٩٧ / ١٩٨ .. دون أن يذكر أنَّ هذا المُشترع يؤمن به مئات الملايين من البشر نبياً مُرسلاً .

٥ - ذمَّ المُشترقين وانتقدم (الصِّفحة ١١ وما بعدها) ، ثمَّ اعتمد على آرائهم وادِّعاءاتهم ، علماً أنَّ نتاجهم كان مزيجاً من قدير ضئيلٍ من الحقيقة ، وقدير كبيرٍ من الخيالات والافتراءات ، وهذا لا يعني أنَّ كلَّ مُشترق متعصّب حاقد ، فهناك عددٌ لم يتبع الهوى ، ولم يَمِل مع الدَّس والتَّحامل .

(١) من تاريخ الحركات الفكرية في الإسلام ، على التَّوالي ، الصِّفحات : ٢٢ / ٣١ / ٤٤

٦ - واستخدم عبارة « كَتَبَ المسلمون » ، كما في الصَّفحات : ٣٥ / ٣٧ / ٨٩ / ٩٩ / ١٠٠ / ١٣١ / ١٤١ / ١٥٢ / ١٨٧ / ١٩٩ / ٢٠٠ / ٢١١ / ٢٢٢ / ٢٣٠ ، بدل عبارة « المؤرِّخون المسلمون » ، وفي ذلك غمط لمكانتهم كبير .

٧ - كما استعمل عبارة (الاحتلال) ، بدل عبارة (الفتح) : « اللُّغة اليونانيَّة لغة مصر وسوريَّة الرِّسميَّة قبل الاحتلال العربي .. » ، « .. سكان العراق وفارس قبل الاحتلال العربي » ، « إنَّ العربَ من يوم احتلُّوا مصر .. » .

٨ - ومن الهفوات في الأعلام : الرَّاهب أبو عامرة ، وصوابه : أبو عامر .
إسماعيل بن جعفر الصِّديق ، وصوابه : إسماعيل بن جعفر الصَّادق ...

وذكر عبد الله بن سبأ وعبد الله بن السَّوداء ، كشخصيَّتين مختلفتين ، وهما شخصيَّة واحدة . وذكر أبا الفرج وابن العبري ، وهما أيضاً شخصيَّة واحدة (الصَّفحة ٨١) .

٩ - واعتمد (الأغاني) في استقاء بعض أخباره ، كما في الصَّفحات : ٧٢ / ٧٤ / ٩٧ / ٩٩ / ١٧٩ / ٢٤٣ .. وهو كتاب أدب ، لا كتاب تاريخ يعتمد .

١٠ - والجزم في أمور لم تثبت : بنو أميَّة خصوم النَّبيِّ والإسلام ، قتل البرامكة من مظاهر الظلم .. ، كما كان يؤكِّد محمَّد في بادئِ دعوته أنَّ الله يظهر له في الرُّؤيا التي كان يراها .. لأنَّ المراد هنا بالعالمين و « بالنَّاس كافة » العرب فقط ..

إنَّ أحداً من أصحاب محمَّد أو أعدائه الذين رووا سيرته ، لم يزعم أنه - ﷺ - كان يؤكِّد في بدء دعوته أنَّ الله يظهر له في الرُّؤيا ، ولم يعتقد ذلك أحد من المسلمين قط ، أمَّا اعتقاد الأستاذ بندلي أنَّ آيات القرآن الكريم المذكورة : (العالمين .. النَّاس كافة) لا يمكن تأويلها إلا بالمعنى الذي يراه ، فهو دعوى عريضة بعيدة جداً عن الموضوعيَّة ، وروح الحوار العلميَّة التي عهدناها عند الأستاذ بندلي الجوزي .

الملحق

البروفيسور ضياء الدين موسى بونياتوف الباكوي^(١)

ينتمي الأكاديمي ضياء الدين موسى بونياتوف إلى مجموعة بارزة من العلماء الذين كَوَّنوا بأبحاثهم العميقة رصيذاً حقيقياً لعلم الاجتماع في الاتحاد السوفييتي ، والذين مجَّدوا علم التاريخ والدراسات الشرقيَّة وراء حدود الاتحاد السوفييتي^(٢) .

البروفيسور بونياتوف متخصص في تاريخ العصور الوسطى في أذربيجان ، وتاريخ الخلافة العربية الإسلاميَّة ، ولقد حقَّق في هذا المجال اعترافاً وتقديراً واسعين لدى الأوساط العلميَّة . إنَّ طريق حياته الغني والمجيد ، والخصب والمتنوع العلوم ، والتربوي والاجتماعي والسياسي ، المثال الواضح للتفاني ونكران الذات في سبيل خدمة بلاده وشعبه .

ولد ضياء الدين موسى بونياتوف يوم الأربعاء ٢١ كانون الأوَّل سنة ١٩٢١ م ، في مدينة (استارا) الأذربيجانيَّة ، لعائلة موظَّف حكومي ، وبعد أن أنهى المدرسة المتوسطة سنة ١٩٣٩ في مدينة (غيوكتشاي) ، انخرط في عداد الطلاب الضباط في كلية (باكو) العسكريَّة للمشاة .

(١) نسبة إلى مدينة باكو ، عاصمة جمهورية أذربيجان .

(٢) هذه الترجمة للبروفيسور ضياء الدين موسى بونياتوف ملخَّصة عن كتاب صدر سنة ١٩٨١ م بمناسبة بلوغ بونياتوف السَّتين من عمره ، قدَّمه : م . ا . إسماعيلوف العضو المراسل لأكاديميَّة العلوم الأذربيجانية ، والدكتور ت . ب . غسانوف ، دكتور في العلوم التاريخيَّة ، لذلك نجد عبارة الاتحاد السوفييتي تتكرر في هذه الترجمة .

وبدأ من شهر شباط سنة ١٩٤٢ ، وحتى الاندحار الكامل لألمانية النازية ، عمل بونياتفوف على جبهات الحرب العالمية الثانية ، وشارك بشكل فعّال في معارك تحرير القفقاس ، وأوكرانية ، ومولدافية ، وروسية البيضاء ، وبولونية ، كما وشارك في عملية احتلال برلين ، وكان خلال هذه الأحداث قائد فصيلة ، ثم سرية ، ثم قائد كتيبة ، ولقد وُجدَ دائماً في أكثر نقاط الأعمال القتالية اشتعالاً ، جاعلاً من نفسه مثلاً وقدوة للمقاتلين في الجسارة والشجاعة في القتال ضدّ عدوّ مستميت ؛ ولقد جرح بونياتفوف خلال المعارك مرّتين .

وتقديرًا لشجاعته ، واعترافاً بجسارته وبطولته في تنفيذ المهام الملقاة على عاتقه من قبل قيادته ، منحه مجلس السوفييت الأعلى في ١٩٤٥/١١/٢٧ لقب بطل الاتحاد السوفييتي^(١) .

عمل منذ أيار سنة ١٩٤٥ ، وحتى أيار ١٩٤٦ معانواً لقائد منطقة (بانكوف) العسكرية في برلين ، وكان ما يزال ضابطاً صغيراً بعد ، ثم شارك الألمان المعادين للنازية والشيوعيين في إعادة الحياة الطبيعية لمدينة برلين ، ولقد قدّرت حكومة ألمانية الشرقية خدمات بونياتفوف عالياً ، فقلّدته وسام النجمة الذهبية (فافين برودرشافت) ، كما قلّده اتحاد الشبيبة الشيوعية الألمانية الميدالية الذهبية (آرتور بيكر) .

وبعد تسريح بونياتفوف من الخدمة سنة ١٩٤٦ ، انتسب إلى معهد موسكو للدراسات الشرقية ، وتقدّم سنة ١٩٥٠ للدراسات العليا في المعهد المذكور ، وكان على اتّصال وثيق مع أستاذه المستعرب السوفييتي ي . أ . بيليايف المشرف على دراسته ، كما بنى بونياتفوف صلاتٍ وثيقةً مع غيره من العلماء البارزين الذين كان لهم التأثير الكبير في توجيهه فيما بعد ليصبح شخصيّة بارزة في ميدان الاستعراب .

(١) والبروفيسور بونياتفوف لا يضع على صدره إلا هذا الوسام ، على الرّغم من كثرة الأوسمة التي قدّمت إليه .

وفي سنة ١٩٥٤ تقدّم بأوّل أبحاثه لنيل الدكتوراه ، وكانت دراسة عن :
(الإمبرياليّة الإيطاليّة في إفريقية) ، وفي سنة ١٩٥٤ بدأ بونياتوف العمل في دائرة
أكاديميّة العلوم في جمهوريّة أذربيجان ، وخلال عشر سنين أصبح بونياتوف كبير
العاملين في معهد التّاريخ ، وبدءاً من سنة ١٩٦٤ تولّى إدارة قسم تاريخ القرون
الوسطى والشرق في معهد الدّراسات الشّرقية التابع لأكاديمية العلوم في أذربيجان .
ومنذ شهر نيسان ١٩٨١ ، وحتىّ شباط ١٩٨٦ تولّى إدارة المعهد ذاته ، وفي شباط
١٩٨٦ عمل بونياتوف عميداً لقسم تاريخ القرون الوسطى والشرق في معهد أكاديميّة
العلوم للدّراسات الشّرقية في أذربيجان ، وفي أيار ١٩٨٨ اختير ثانية مديراً لمعهد
الدّراسات الشّرقية التابع لأكاديمية العلوم الأذربيجانيّة حتّى سنة ١٩٩١ ، حيث أصبح
نائباً لمدير الأكاديميّة .

إنّ الإبداع العلمي عند بونياتوف يتطوّر باتجاهين اثنين :

١ - البحث التّاريخي في العلاقات الاجتماعيّة - الاقتصاديّة لأذربيجان وأقطار
الشرق الأوسط في القرون الوسطى .

٢ - ودراسة وشرح وتحقيق مؤلّفات كُتّاب القرون الوسطى في التّاريخ والعلوم ،
وثقافة شعوب الشرق الأوسط والأدنى .

إنّ الشهرة الواسعة لضياء الدين موسى بونياتوف كباحث كبير ، وعارف مختص
بتاريخ أذربيجان ، جلبها إليه كتابه : (أذربيجان من القرن السّابع حتّى القرن
التّاسع الميلادي) ، الذي نُشر سنة ١٩٦٥ ، فلقد كان هذا الكتاب الأوّل من نوعه في علم
التّدوين التّاريخي الأساسي لتاريخ أذربيجان في فترة الحكم العربي الإسلامي ، وعلى
أساس دراسة متقنة ، وتحليل دقيق لدائرة واسعة من المصادر العربيّة والفارسيّة
والتركيّة والأرمنيّة والجيورجيّة النّادرة ، والآثار الخطيّة المجهولة لمؤلّفين من العصور
الوسطى ، قدّم بونياتوف لوحة كاملة للحياة الاجتماعيّة والاقتصاديّة والسياسيّة في
أذربيجان قبيل الحكم العربي وأثناءه .

ففي هذه الدراسة تمّ بشكل عميق وشامل ، توضيح الكثير من المشكلات الرئيسيّة في تاريخ القرون الوسطى في أذربيجان ، مثل علاقات الأراضي ونظام استثمارها ، الصّرائب ، الحياة الاجتماعيّة ، التجارة .. غير أنّ مكاناً هاماً في هذه الدراسة خصّص لدراسة حركة (بابك الخُرْمِي) .

ومن خلال أبحاث بونيا توف قدّم سنة ١٩٧٨ عمله الهام : (دولة الأتابكة في أذربيجان في عصر نهضة الشّرق ، ولقد حاز من جراء هذا العمل جائزة الدّولة في العلمي ، والدراسة العميقة للمشكلات الاجتماعيّة والاقتصاديّة والثّقافيّة لتطوّر أذربيجان في عصر نهضة الشّرق ، ولقد نال من جراء هذا العمل على جائزة الدّولة في جمهوريّة أذربيجان ، في مجال العلم والفن لسنة ١٩٨٠ .

إنّ الاطّلاع الواسع ، ومحبّة العمل ، مع الموهبة الكبيرة في البحث ، كل أولئك مكّن البروفيسور بونيا توف من كتابة أكثر من مئة وخمسين بحثاً منشوراً خطّها قلمه .

ومن أبحاثه العديدة ، تلك الّتي اهتمّت بالتجمّعات السّكانيّة المأهولة ، وتدقيق جداول الأنساب ، ووصف الحقائق الهامة للعلاقات التاريخيّة لأذربيجان مع دار الخلافة ، وجورجية ، والأقطار الأخرى .

كما اهتم البروفيسور بونيا توف بالكشف عن المصادر العربيّة المتعلّقة بالطّب ، وعلم الزلازل ، وعلم الفلك ، وضمّها في إطار علمي .

إنّ أعمال التّنقيب الدّقيقة هذه لتشهد على الاجتهاد ، والنّهج الدّقيق في البحث للبروفيسور بونيا توف ، الّذي قدّم خدمات جلّي في مجال ترجمة وتحقيق ونشر مصادر عربيّة فريدة ، تعود للقرون الوسطى في تاريخ أذربيجان وجغرافيتها في القرون الوسطى ، وفي تاريخ آسية الوسطى والقفقاس ومناطق أخرى ، ومن هذه المصادر المترجمة والمنشورة باسم البروفيسور بونيا توف :

كتاب : (تلخيص الآثار وعجائب المَلِك القَهَّار) لعبد الرَّشيد الباكوي ، الذي عاش في القرن الرَّابِع عشر الميلادي وبداية القرن الخامس عشر ، ويعدُّ هذا الكتاب أوَّل عمل جغرافي معروف لكاتب من مدينة باكو ، ولقد قدَّمه البروفيسور بونياتوف سنة ١٩٧١ .

وكتاب : (سيرة السُّلطان جلال الدين منكبورتِي^(١)) ، لشهاب الدِّين النَّسوي من القرن الثالث عشر ، قدَّمه البروفيسور بونياتوف سنة ١٩٧٣ ، وهو يعطي صورة تاريخيَّة سياسيَّة لدولة خوارزمشاه ، والمناطق الداخلة ضمن إيران حالياً ، وأذربيجان ، وجورجية ، وأرمينية ، والعراق ، وآسية الصُّغرى قبيل الغزو المغولي .

وكتاب (أخبار الدَّولة السَّلجوقيَّة) لصدر الدِّين علي الحسيني من القرن الثالث عشر ، قدَّمه البروفيسور بونياتوف سنة ١٩٨٠ ، ويعدُّ هذا الكتاب واحداً من المصادر الأساسيَّة لتاريخ ما وراء القفقاس وشمال إيران في نهاية القرن الثَّاني عشر الميلادي ، حيث تضمَّن الكتاب معلومات دقيقة عن الأتابكة في أذربيجان من سلالة (ألديغيزيين = شعوب البحر) ، وعلاقاتهم المتبادلة مع سلاطين آل سلجوق ، والاتِّحاد الجورجي الشيريفاني ضدَّ القوات المسلَّحة الأتابكيَّة والسَّلجوقيَّة .

واستخلص البروفيسور بونياتوف من (كتاب الفتح) لابن أسامة الكوفي ، المعلومات الجديدة المختلفة عن معلومات المؤلِّفات الأخرى عن أذربيجان في فترة الحكم العربي ، وقدَّمها بكتاب سنة ١٩٨١ في باكو .

(١) جلال الدِّين منكبورتِي بن محمد ، آخر شاهات خوارزم ، تولَّى سنة ٦١٧ هـ (١٢٢٠ م) ، ومنذ السُّنة الثَّالية لحكمه اشتبك في حرب دفاعيَّة ضدَّ التَّوسع المغولي بقيادة جنكيزخان ، الذي انتهى بالاستيلاء على خوارزم سنة ٦٢٨ هـ (١٢٣٠ م) وهي السُّنة التي توفي فيها منكبورتِي ، [القاموس الإسلامي : ٦٣٠/١] .

ومن (معجم البلدان) لياقوت الحموي ، و (نزهة القلوب) لحمد الله القزويني ،
قدّم البروفيسور بونياتوف سنة ١٩٨٣ المعلومات التاريخية والجغرافية عن المدن
الأذربيجانية قبل وبعد الغزو المغولي .

وقدّم البروفيسور بونياتوف مع إسكندروف سنة ١٩٨٣ ترجمة محقّقة للكتاب
جلال الدين السيوطي : (كشف السلسلة عن وصف الزلزلة) ، الذي احتوى على
معلومات واسعة عن علم الزلازل العربي في القرون الوسطى .

وفي سنة ١٩٨٣ أيضاً تعرّفت دائرة مؤرّخي الطب في الاتحاد السوفييتي على
الترجمة المحقّقة لبونياتوف لمخطوطة : (رسالة عن الجراحة وأدواتها) ، لجراح القرن
الحادي عشر الميلادي أبي القاسم خلف بن عباس الزهراوي .

والبروفيسور ضياء الدين موسى بونياتوف أول من ترجم إلى الروسية الكتاب
الثمين (السفر الألباني) ، ل (مخترغوش) ، والذي يحتوي على حقائق كثيرة عن
الفترة من القرن السابع ، وحتى القرن الثاني عشر الميلادي ، وكتاب يوهان
ديغالونيفونتيبوس : (معلومات عن شعوب القفقاس) ، وكتاب المؤرخ التركي
الحديث بنجربيه أوتشوك : (النساء القائدات في الأقطار الإسلامية) .

كما قام بترجمة العديد من الكتب ، مزوّداً إيهاها بالتعليقات والحواشي ، مثل
كتاب : (رحلة في أوربة وآسية وإفريقية : ١٣٩٦ - ١٤٢٤ م) ، للكاتب يوهان
شيلتبرغ ، و (رحلة الأمير يشبك) لمحمود الحلبي ..

إنّ هذا الجهد ، جلب للبروفيسور بونياتوف شهرة كواحد من أكبر المؤرّخين
المتّيزين بالعمق والأصالة ؛ الاستنتاجات المؤثّقة ، والحجج الدامغة ، تشهد على ذلك
أبحاثه الأخيرة ، مثل : (دولة خوارزم شاه : ١٠٩٧ - ١٢٣١ م) ، الصّادر سنة ١٩٨٦
في موسكو ، والذي يغطّي مئة وأربعين عاماً من تاريخ آسية الوسطى ، ومناطق
أخرى في زمن سيادة شاهات خوارزم ، السّلالة الرّابعة .

يبحث هذا الكتاب في نشوء وتطور وسقوط هذه الدولة ، وفيه معالجة مسائل التاريخ الاقتصادي والسياسي لدولة شاهات خوارزم ، أما القسم الأكبر منه فمخصص في مسائل التاريخ والثقافة .

وتابع بونياتوف نشاطه العلمي في الترجمة معرّفاً القراء على مواد جديدة عن تاريخ أذربيجان وثقافتها ، ومناطق أخرى في العصور الوسطى ، وقد ترجم جزءاً من هذه المصادر من اللغة العربية إلى الروسية ، مثل البحث الفلسفي للمؤرخ محمد فضولي . وإنّ لبونياتوف خدمات كبيرة في إعداد الدارسين الحاذقين في العلوم الشرقية ، فهو يعدّ المؤسس المعترف به لمدرسة المؤرخين المستعربين في جمهورية أذربيجان ، لقد لعب دوراً هاماً في إعداد كادر من العلماء في الاتحاد السوفياتي وخارجه ، وكان مستشاراً مناقشاً مقرّظاً لاثنتي عشرة رسالة دكتوراه^(١) ، ومديراً للعشرات من رسائل الدراسات العليا .

ونظراً لوجوده في موقع مدير معهد الدراسات الشرقية ، التابع لأكاديمية العلوم في جمهورية أذربيجان ، قام بعمل علمي كبير ، باذلاً جهوداً وطاقات كبيرة لتطوير الدراسات الشرقية في أذربيجان ، وتعزيز الاتصالات وتوسيعها مع الهيئات الاستشراقية في الاتحاد السوفياتي وخارجه .

ولما كان البروفيسور بونياتوف ممثلاً لأذربيجان في رابطة مستشركي عموم الاتحاد السوفياتي (الثقافي) ، وممثلاً للمجلس العلمي لمسائل تاريخ المجتمعات الإقطاعية والمشاعية في أذربيجان ، يعطي اهتماماً خاصاً لتوثيق وتوفير الأبحاث الاستشراقية في جمهورية أذربيجان ، لدفع المهتمين بالدراسات الشرقية في أذربيجان إلى مواقع الطليعة في علم الاستشراق الكبير .

(١) وذلك حتى سنة ١٩٨١ م ، سنة بلوغه الستين .

شارك البروفيسور بونياتوف في عدد كبير من الندوات والمؤتمرات المحلية والعالمية ، منها : أعمال المؤتمرات من السادس ، وحتى العاشر للمجمع التاريخي التركي في السنوات : ١٩٦٦ ، ١٩٧٠ ، ١٩٧٦ ، ١٩٨٦ ، والمؤتمر العالمي للمؤرخين في بغداد سنة ١٩٧٣ ، والمؤتمر الحادي والثلاثين للمستشرقين في طوكيو سنة ١٩٨٣ حيث تقدم بمذكرات قيمة عن مدة بقاء الخزر في أذربيجان في القرنين السابع والثامن ، وعن نشاط خوارزمشاه جلال الدين منقورني في القفقاس عام : [١٢٢٥ - ١٢٢٦ م] ، وعن خصوصيات سلطان قونية في مؤلفات ابن الفواتي ، وعن مؤلف محمود الحلبي (رحلة الأمير يشبك) كمصدر تاريخي تركي للقرن الخامس عشر ، وعن مشاركة القفقاسيين في الاستيلاء على مدينة بغداد سنة ١٢٥٨ م ...

وتقديرًا لخدماته الكبيرة في البحوث التركية ، اختير سنة ١٩٨٢ عضواً مراسلاً للمجمع التاريخي التركي .

وشارك البروفيسور بونياتوف بشكل فعال في الحياة السياسية والاجتماعية لأذربيجان^(١) ، وقام وراء حدود بلاده بنشاط اجتماعي علمي كبير ، وهو عضو في اللجنة السوفيتية للمحاربين القدماء ، وعضو في رئاسة جمعية الصداقة السوفيتية - العربية ، ورئيس تحرير (أخبار أكاديمية العلوم الأذربيجانية) ، و (الفلسفة والقانون) ، وعضو رئيسي في تحرير الموسوعة الأذربيجانية ، وعضو جمعية الصداقة الأذربيجانية - الألمانية الديمقراطية ، وعضو في الكثير من الجمعيات والمنظمات العلمية والثقافية .

وكثيراً ما كان يحاضر بطل الاتحاد السوفيتي بونياتوف في الجنود والضباط ، ويقوم بالمساعدة في تربية المقاتلين على الإرث البطولي السابق ، ويعدّ منظمًا ومشاركاً

(١) اهتماماته اليوم بالشؤون العلمية أكثر من اهتمامه بالشؤون السياسية ، وسمعت من عدد كبير من مثقفي الجبهة الشعبية الحاكمة في أذربيجان ، لو أراد بونياتوف لكان رئيس جمهورية أذربيجان دون منافس .

فَعَالاً فِي جَمْعِيَّاتٍ عَسْكَرِيَّةٍ وَطَنِيَّةٍ كَثِيرَةٍ ، مِثْلَ : (دَرَبِ الْآبَاءِ - طَرِيقِ الْآبْنَاءِ) ،
(الْمَسِيرَةِ) .. وَكَانَ فِي قَوَامِ أَلْوِيَّةِ الدَّعَايَةِ ، وَتَوَاجَدَ فِي الْكَثِيرِ مِنْ مَنَاطِقِ الْجُمْهُورِيَّةِ ،
وَحَاضِرٍ فِي مَوْضُوعَاتٍ عَسْكَرِيَّةٍ وَطَنِيَّةٍ شَتَّى ، وَكَثِيراً مَا كَانَ يَنْزِلُ ضَيْفَاً عَلَى طُلَّابِ
الْمَدَارِسِ الْعَلِيَا فِي الْجُمْهُورِيَّةِ .

وَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ عَدَمِ مَسَاوَمَتِهِ فِي الْعِلَاقَةِ السُّطْحِيَّةِ وَالِاسْتِهْلَاقِيَّةِ مَعَ الْعِلْمِ ، يَجَسَّدُ
بُونِيَاتُوفَ النُّوعِ الْأَفْضَلَ لِلْعَالَمِ الْحَدِيثِ فِي الْحُبِّ الْكَبِيرِ لِلْعَمَلِ دُونَ تَأَمُّلِ مَنَفْعَةٍ
شَخْصِيَّةٍ^(١) ، وَالنِّزَاهَةَ وَالتَّوَاضُعَ وَالِاهْتِمَامَ فِي عِلَاقَاتِهِ مَعَ نَفْسِهِ ، وَمَعَ غَيْرِهِ مِنْ زَمَلَائِهِ
الْمُبْدَعِينَ .

إِنَّ خِدْمَاتِ الْبَرُوفِيسُورِ ضِيَاءِ الدِّينِ مُوسَى بُونِيَاتُوفَ تَقْدَّرُ تَقْدِيرًا كَبِيرًا مِنْ قَبْلِ
الْحُكُومَةِ السُّوفِيَّةِيَّةِ ، الَّتِي قَلَّدَتْهُ الْكَثِيرُ مِنَ الْأَوْسَمَةِ الْعَالِيَةِ وَالْمِيدَالِيَّاتِ ، فِي سَنَةِ
١٩٨١ قُلَّدَ وَاحِدًا مِنْ أَعْلَى الْأَوْسَمَةِ (وَسَامِ ثَوْرَةِ أُكْتُوبَرِ) ، وَبِمُنَاسَبَةِ مَرُورِ أَرْبَعِينَ عَامًا
عَلَى النُّصْرِ ، تَمَّ تَقْلِيدُهُ وَسَامِ الْحَرْبِ الْعَظْمَى مِنْ الدَّرَجَةِ الْأُولَى .

وَعَلَى سَبِيلِ الْعَمَلِ الطَّوِيلَةِ فِي الْمَجَالِ الْعِلْمِيِّ الْاجْتِمَاعِيِّ ، وَإِعْدَادِهِ الْكُوَادِرَ الْعِلْمِيَّةَ ،
وَبِمُنَاسَبَةِ بَلُوغِهِ السُّتَيْنِ فِي سَنَةِ ١٩٨١ ، قُلَّدَ شَهَادَةَ تَكْرِيمِ رِئَاسَةِ مَجْلِسِ السُّوفِيَّةِيَّةِ الْأَعْلَى
لِجُمْهُورِيَّةِ أُذْرَبِيْجَانَ الْاِسْتِرَاكِيَّةِ السُّوفِيَّةِيَّةِ ، وَفِي سَنَةِ ١٩٨٢ تَمَّ تَكْرِيمُهُ بِلِقَبِ الْجِدَارَةِ فِي

(١) لَقَدْ أَشْرَفَ عَلَى أَطْرُوحَتِي ، وَصَوَّرَ لِي مَعْظَمَ تَرَاثِ بَنْدَلِي فِي مَحْفُوظَاتِ مَعْهَدِ التَّارِيخِ فِي أَكَادِمِيَّةِ الْعُلُومِ
بِأَذْرَبِيْجَانَ ، وَلَمْ يَطْلُبْ مِنِّي إِلَّا طَلَبًا وَحِيدًا ، قَالَ لِي : اشْتَرَيْتَ مِنْ مِصْرَ كِتَابَ (نَهَايَةُ الْأَرْبِ فِي
فُنُونِ الْأَدَبِ) لِلنُّوَيْرِيِّ مِنَ الْجُزْءِ الْأَوَّلِ وَحَقِ الْخَامِسِ وَالْعَشْرِينَ ، إِنْ صَدَرَتْ تَمَتَّةُ الْأَجْزَاءِ أَحْضَرَهَا
مَعَكَ ، فَحَمَلْتُ لَهُ الْأَجْزَاءَ مِنْ ٢٦ إِلَى ٣١ ، فَقَالَ لِي : الْكِتَابُ أَثْمَنُ هَدِيَّةٍ تَقَدَّمُ لِي .
وَبَعْدَ الْمَدَافَعَةِ عَنْ أَطْرُوحَتِي ، الَّتِي دَامَتْ أَكْثَرَ مِنْ سَاعَتَيْنِ ، وَالَّتِي دَعَيْتُ إِلَيْهَا لِلْمُنَاقَشَةِ اثْنَا عَشَرَ دَكْتُورًا
أَكَادِمِيًّا ، وَقَفَ يَنْتَظِرُ نَتِيجَةَ التَّصْوِيَّتِ عَلَى مَنْحِي (الدَكْتُورَاهُ فِي التَّارِيخِ الْإِسْلَامِيِّ) ، وَلَمَّا رَأَى
النَّتِيجَةَ الْمُوَافِقَةَ عَلَى مَنْحِي الدَّرَجَةِ بِالْإِجْمَاعِ ، دَمَعَتْ عَيْنَاهُ ، وَاقْتَرَبَ مِنِّي يَقْبَلُنِي قَائِلًا : مَبْرُوكٌ ،
مَبْرُوكٌ ، وَفِي خَتَامِ حَفْلَةِ الْوِدَاعِ فِي مَعْهَدِ الْاِسْتِرَاقِ قَالَ : لَاتُنْسَى مِنْ رِسَالَتِي بَيْنَ أَوْتَةٍ وَأُخْرَى تَطْلُعُنِي
فِيهَا عَلَى إِنتَاجِكَ الْجَدِيدِ وَأُحْوَالِكَ وَأُحْوَالِ اسْرَتِكَ .

العلوم في جمهورية أذربيجان ، وعلى نجاحاته في تطوير العلوم قُلد في سنة ١٩٨٣
الميدالية الفضية في معرض عموم الاتحاد السوفيتي للإنجازات الوطنية .

إنّ البروفيسور ضياء الدين موسى بونياتوف موجود في المواقع المضيئة من الإبداع
العلمي ، ممتلئاً حيوية ، وفكراً جديدة ، وخططاً خلافة ، ولقد توج أعماله بترجمة
معاني القرآن الكريم إلى الأذربيجانية .

☆ ☆ ☆

أهم مراحل حياته ، والأوسمة التي يحملها :

وُلِدَ في ٢١ كانون الأول ١٩٢١ في مدينة (أستارا) الأذربيجانية .

- ١٩٣٠-١٩٣٩ درس في المدارس المتوسطة لمدينة (غيوكتشاي) .
١٩٣٩-١٩٤١ طالب ضابط في كلية باكو العسكرية للمشاة .
١٩٤٢-١٩٤٥ حارب على جبهات الحرب العالمية الثانية ، قائد فصيلة ، فرائد
سرية ، ثم قائد كتيبة .
١٩٤٢ قُلد وسام النجمة الحمراء .
١٩٤٣ قُلد وسام الشجاعة ، ووسام الدفاع عن القفقاس ، ووسام الدفاع عن
ستالينغراد .
١٩٤٥ حاز على وسام لينين ، وميدالية النجمة الذهبية ، بطل الاتحاد
السوفيتي ، كما قُلد وسام الراية الحمراء ، وميدالية النصر على ألمانية في
الحرب العظمى : ١٩٤١ - ١٩٤٥ .
١٩٤٥-١٩٤٦ معاون قائد منطقة (بانكوف) العسكرية في مدينة برلين .
١٩٤٦-١٩٥٠ طالب في معهد موسكو للدراسات الشرقية .
١٩٥٠-١٩٥٤ طالب معيد في الدراسات العليا في المعهد ذاته .
١٩٥٤ دافع عن أطروحة لنيل الدرجة العلمية (مرشح في العلوم التاريخية) .

- ١٩٥٤-١٩٦٤ كبير العاملين في الأبحاث العلميّة في معهد التاريخ التابع لأكاديمية العلوم في جمهورية أذربيجان الاشتراكية السوفييتيّة .
- ١٩٥٨-١٩٥٩ مدرّس في كئيّة كبروف للدراسات الشرقيّة .
- ١٩٦٠ كبير لجنة الوصف في وزارة التعليم المتوسّط والعالي للاتّحاد السوفييتي ، ومُصدّق بلقب كبير العاملين العلميين .
- ١٩٦٤ دافع عن أطروحة لنيل درجة (دكتور في العلوم التاريخيّة) .
- ١٩٦٤-١٩٨١ مدير وحدة تاريخ القرون الوسطى والشرق في معهد الدراسات الشرقيّة التابع لأكاديمية العلوم في أذربيجان .
- ١٩٦٥ كبير لجنة الوصف في وزارة التعليم العالي والمتوسّط الخاص في الاتّحاد السوفييتي وحاز على لقب بروفيسور .
- وقدّ ميدالية مرور عشرين عاماً على الحرب العالميّة الثانية .
- ١٩٦٦ تقدّم بذاكرة إلى المؤتمر السادس للمجمع التاريخي التركي في أنقرة .
- ١٩٦٧ اختير عضواً مراسلاً لدى أكاديمية العلوم في جمهورية أذربيجان .
- ١٩٦٨ قلّد ميداليّة مرور خمسين عاماً على تأسيس القوات المسلّحة السوفييتيّة .
- ١٩٧٠ رئيس أكاديمية العلوم في أذربيجان ، وصدّق مديراً لتحرير أخبار أكاديمية العلوم في جمهورية أذربيجان ، وقلّد ميدالية العمل المتفاني بمناسبة مرور مئة سنة على مولد فلاديمير إيليتش لينين .
- ١٩٧٤ قلّد الميداليّة الذهبيّة (فافين برودرشافت) ، وميداليّة (أنور بيكر) .
- ١٩٧٥ ميداليّة مرور ثلاثين سنة على النصر في الحرب العالميّة الثانية .
- ١٩٧٦ اختير أكاديمياً في أكاديمية العلوم في جمهورية أذربيجان السوفييتيّة .
- ١٩٧٨ قلّد ميدالية مرور ستين سنة على القوات المسلّحة السوفييتيّة .
- ١٩٧٩ نال كتابه دولة الأتابكة في أذربيجان على جائزة الدولة في مجال العلوم والفنون .

عضو التحرير الأساسي للموسوعة الأذربيجانية .
عضو جمعية الصداقة مع الشعوب العربية .

١٩٨٦-١٩٨١ مدير معهد الاستشراق في أكاديمية العلوم الأذربيجانية .
رئيس الوحدة الأذربيجانية في رابطة المستشرقين لعموم الأتحاد
السوفييتي .
قلد وسام ثورة أكتوبر على نشاطاته في مجال العلوم في الخطة الخمسية
العاشر .

قلد شهادة الشرف لمجلس السوفييت الأعلى في جمهورية أذربيجان على
سني العمل الطويلة في المجال العلمي والاجتماعي ، وعلى إعداد الكوادر
العلمية ، وبمناسبة بلوغه الستين .
ترأس بعثة وجهاء العلوم والثقافة في أذربيجان إلى الأردن .

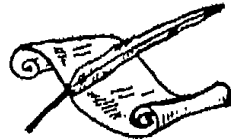
١٩٨٢ قلد وسام عالم حائز على لقب الجدارة في جمهورية أذربيجان ،
ولخدماته الكبيرة في مجال البحث في التاريخ التركي اختير عضواً مراسلاً
للجمعية التاريخية التركية .

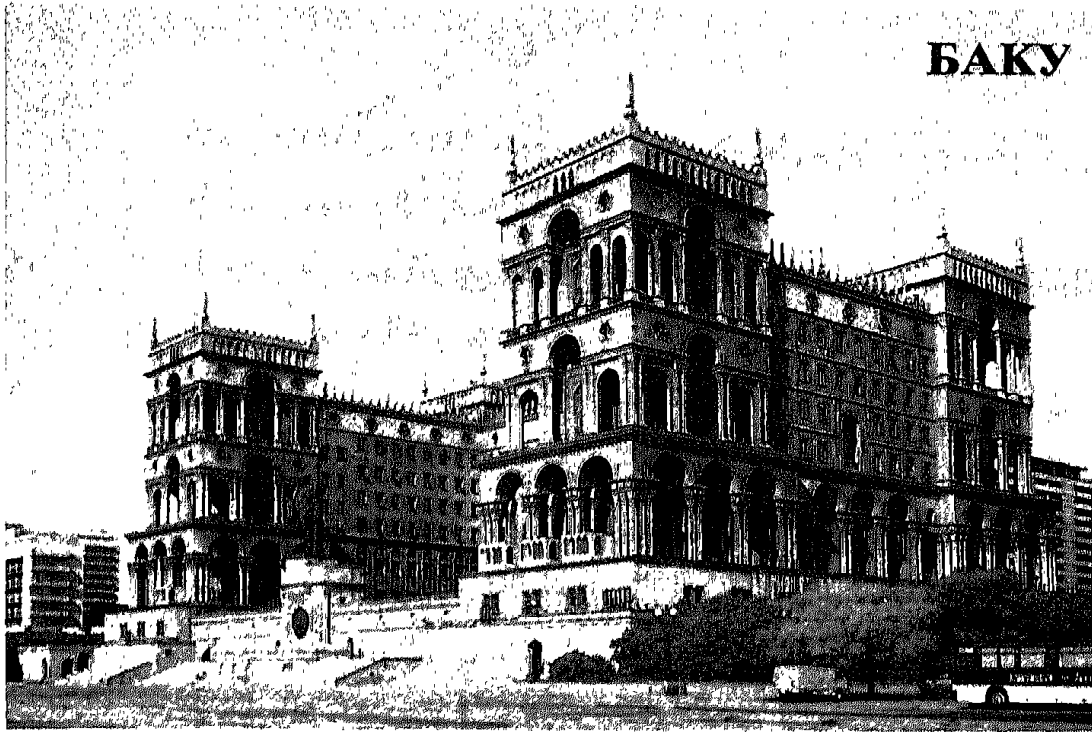
١٩٨٣ قلد ميدالية (محنك العمل) .
شارك في المؤتمر الدولي الحادي والثلاثين للمستشرقين في طوكيو .
حصل على الميدالية الفضية في معرض الإنجازات الوطنية لعموم الأتحاد
السوفييتي (فيدي إنخا) .

١٩٨٥ تقدم في مصر بمذكرة موضوعها : تأثير نصر الشعب السوفييتي في الحرب
العالمية الثانية على تطور عملية التحرير الوطني في آسيا وإفريقية .
وبمناسبة مرور أربعين سنة على الحرب العالمية الثانية قلد وسام الحرب
العالمية الثانية من الدرجة الأولى ، ووسام مرور أربعين عاماً على

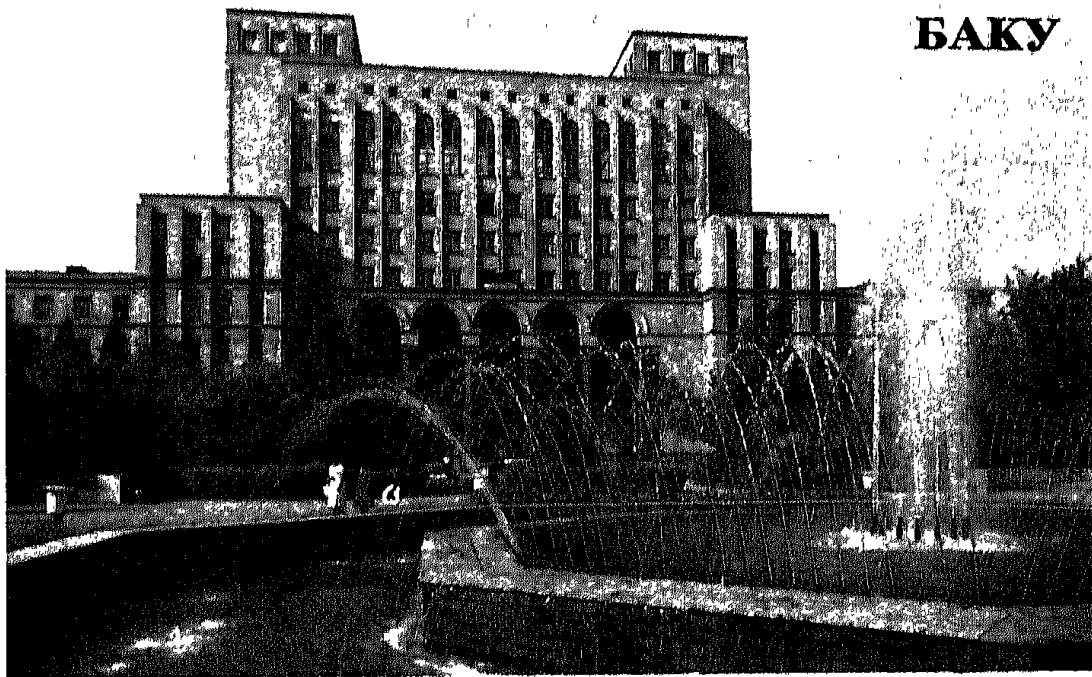
- النَّصر : ١٩٤١ - ١٩٤٥ ، ووسام الاستيلاء على برلين ، ووسام تحرير
 وارسو ، ووسام الشرف العسكري .
- ١٩٨٦ المشرف على قسم تاريخ الشرق في العصور الوسطى في معهد الاستشراق
 التابع لأكاديمية العلوم في جمهورية أذربيجان .
- ١٩٨٨ انتخب مديراً لمعهد الدراسات الشرقية في أكاديمية العلوم الأذربيجانية .
 اشترك في لجنة الحفاظ على بحر آرال في جمهورية أوزبكستان ، وبسبب
 مرور ٤٣٠ سنة على تجديد مدينة (أورغنچ) ، وبقرار من مجلس
 المدينة في ٢٤ أيلول ١٩٨٨ ، حاز على لقب مواطن شرف لمدينة أورغنچ
 لخدماته في مجال الأدب ، ودراسة تاريخ خوارزم ، وعلى الرصيد الكبير
 في حل المشكلات البيئية في بحر آرال ، وهو أول من حصل على لقب
 مواطن شرف في مدينة أورغنچ .
- ١٩٩١ نائب رئيس أكاديمية العلوم في جمهورية أذربيجان .
 وهو اليوم في موقع الاحترام والتقدير من كل الناس في أذربيجان ،
 ولولا الإطالة لذكرت أكثر من موقف احتجت فيه إلى توقيع رئيس
 الوزراء الأذربيجاني ، فحل الأمر بهاتف واحد منه ، أمد الله بعمره ،
 وما هذه الترجمة له إلا من قبيل تطبيق حديث رسول الله ﷺ :
 « مَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرِ اللَّهَ » ، فشكراً للبروفيسور ضياء الدين
 موسى بونياتوف ، وأثابه الله خيراً في دينه ودنياه .

☆ ☆ ☆

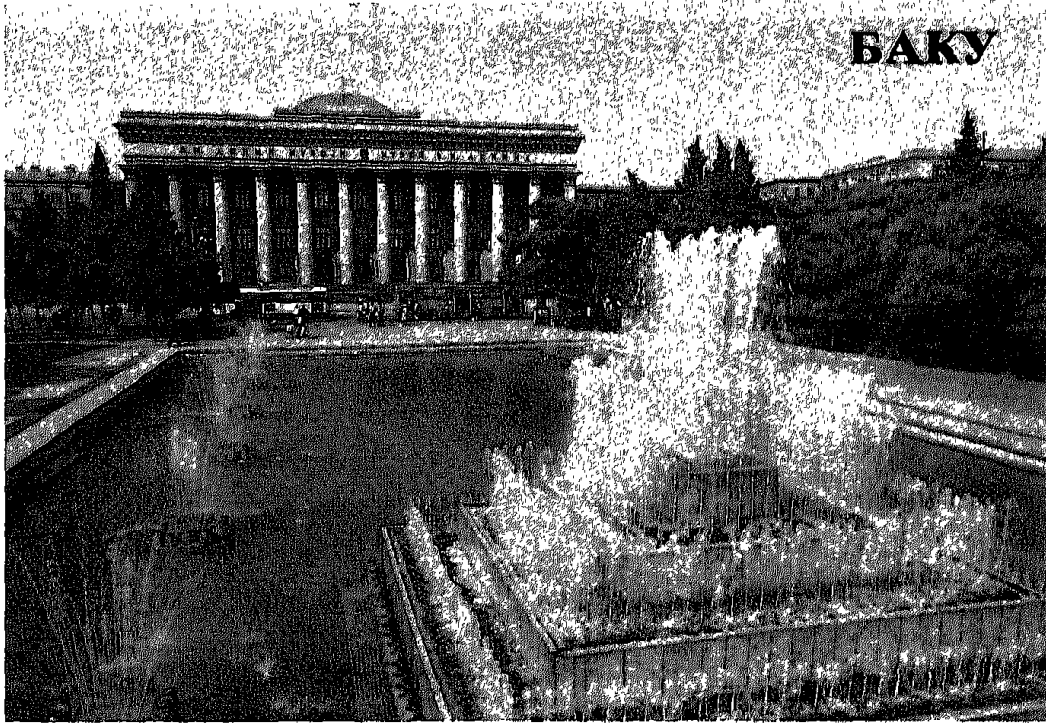




المقر الحكومي في باكو



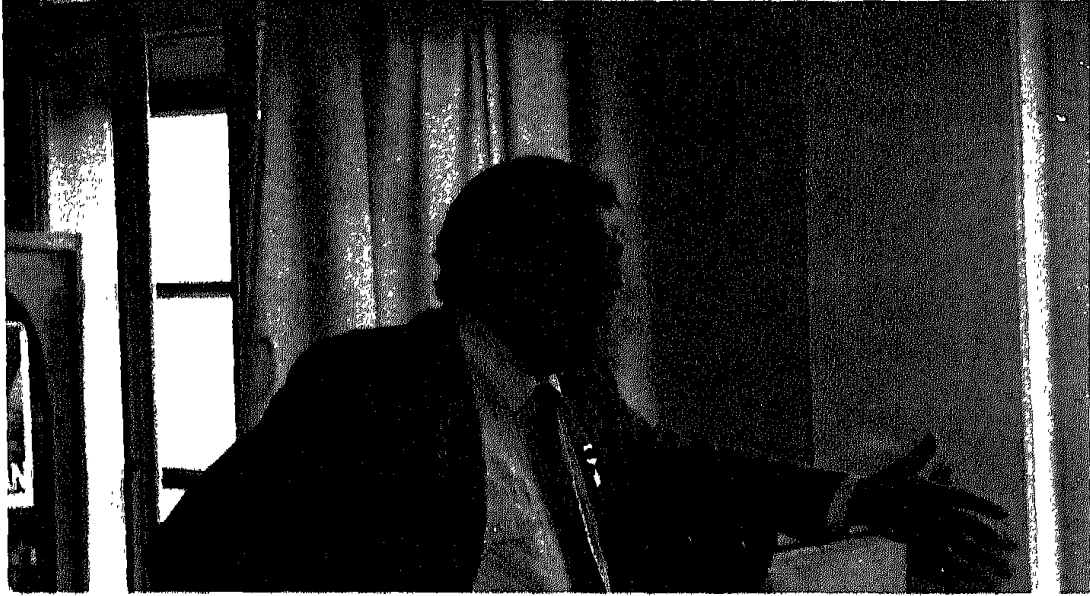
أكاديمية العلوم في باكو



متحف باكو



محطة القطارات (باكو)



البروفيسور ضياء الدين موسى بونيا توف



الأستاذة سارا بالاتي عاشور بيّلي في حفل الدفاع عن الأطروحة

هذه هي لمحات وجنبه متعمه عن المرحوم الدكتور دندلي الجوزي
الذي كان ائدا حيا حل على ترميمه العرب بالتخلص من العارث الباليه ،
والتواعات المستوحده على العمول ، والتوره على النظم الفاسده ، والاسفار
البعيضي الذي كان ، ولدينال يعمل على تعرفه صنف العرب في رتبتي او طائهم .
وكيفه فخر ان كتابه " من رايح الوكالت الكثرية في الرسم " لا يزال يعبر
بريجا رئيسا للمؤرخين والباقين ، وذلك بعد خمس وخصني سنه على
طسه ، انه اي كمي قد ادى بالسلم كامله في سبيل وطنه ، وعمومه ، ولدينا بنيه

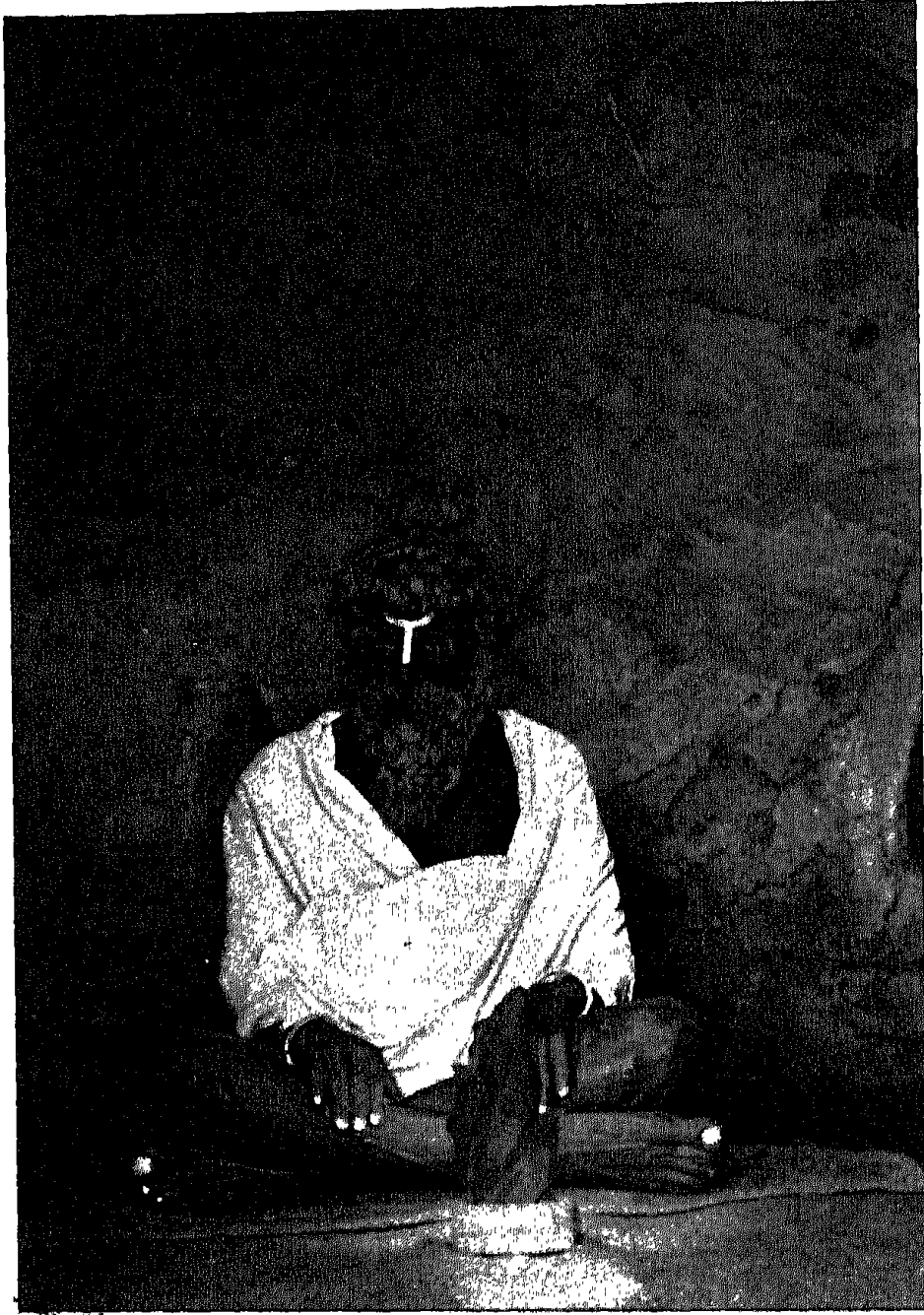
ابن ابيه : نوري عيني

نوري الجوزي

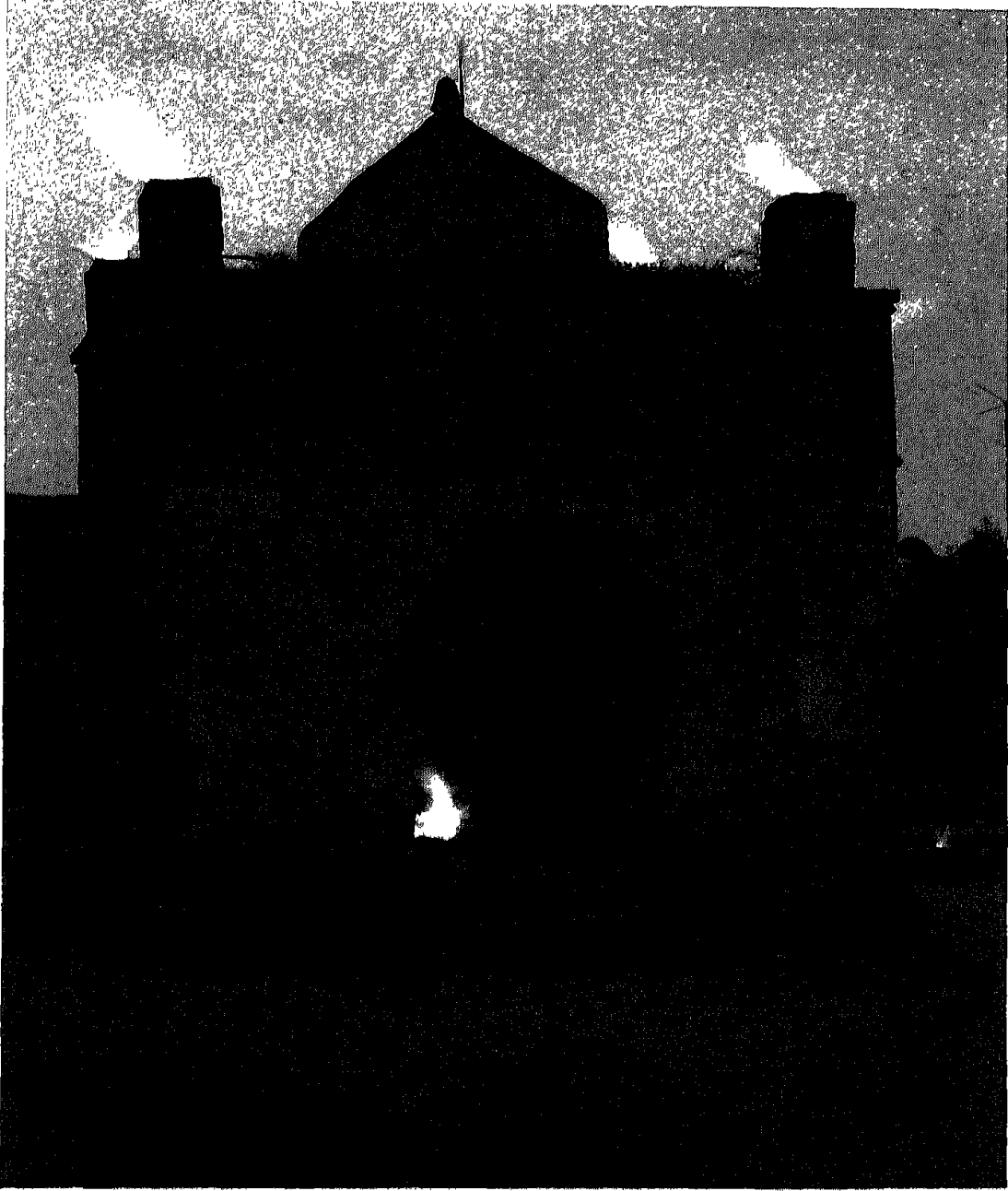
دمعه في ٨/١/١٩٨٤



معبد النار في (أتشكا) قرب باكو



متعبد في معبد النار



معبد النار (النيران المشتعلة من الغاز الطبيعي المنطلق من الأرض)

الكتاب الثاني (١١٨) في تصنيف الفاظ التي تتكرر ذكرها
في هذا الكتاب. فرج درج، رقيقة
السكة

الكتاب الثالث (١١٩) في اقوال الفقهاء في أحكام
أرض الفسخ والغنيمه وكيف
تسب ذلك، من أرض
عشر، أرض ضارب، خمس غنيمه

الكتاب الثاني (١٢٠) في محل من اخبار البلاد

Якут не воели, все
что написано по пред-
шесвенникам.

Ан - Исмаил говорит:

О Хунае (30) Якута Эмочев нем.

также Самур (31) Каскамуя, (32)

Кувей (32) Касмарн, (32)

نموذج آخر من خط الأستاذ بنديلي

أهم سلع التصدير من ميناء يافا
(الكميات بالكيلو ، الأتة ، الحبة أو الصندوق)

السنة	القمح (كيلو)	الشعير (كيلو)	الذرة (كيلو)	السهم (أقة)	زيت الزيتون (أقة)	الصابون (أقة)	البرتقال (حبة)	صوف الغنم (أقة)	القطن (أقة)
١٨٥٧	٤٥٤٥٥٥	٢٤٥٠١١	٣٩٣٩٢	٥٠٣٠٠٠	٢٠٠٠٠	١٠٠٠٠٠٠	٦٠٠٠٠٠٠	١٠٠٠٠٠	-
١٨٥٨	١٨٠٠٠	١٤٣٤١٤	١٦٦٧١٢	٨٢٠٠٠٠	١٠٠٠٠٠	٨٠٠٠٠٠	٣٠٠٠٠٠٠	٤٠٠٠٠٠	-
١٨٥٩	٣٠٠٠٠	٣٠٠٠٠	٢٥٠٠٠	٤٠٠٠٠٠	١٠٠٠٠٠	٥٠٠٠٠٠	٦٠٠٠٠٠٠	-	-
١٨٦٠	-	-	-	١٠٠٠٠٠٠	٢٠٤٠٠٠٠	٥٠٠٠٠	٥٠٠٠٠٠٠	٥٥٠٠	٢٠٠٠٠
١٨٦٢	٧٩٩٢٨	١١٧٦٦١	٥٧٨١٠	١٨٥٦٠٧٨	١٦٧٣٦٩٦	١٠٠٠٠٠	٨٠٠٠٠٠	٢٠٠٠	٢٠٠٠٠
١٨٧٣	٣١٠٠٠٠	١١٠٠٠٠	٢٥٠٠٠	٣٠٠٠٠٠٠	٢٥٠٠٠٠	٦٠٠٠٠٠	٢٧٧٥٠٠٠٠	١٠٠٠٠٠٠	٤٠٠٠٠٠
١٨٧٤	٢١٢٠٠٠	١٢٠٠٠٠	١١٥٠٠٠	٢٠٠٠٠٠٠	١٣٠٠٠٠٠	١٠٠٠٠٠٠	٢٥٥٠٠٠٠٠	١٢٠٠٠٠٠	١٠٠٠٠٠
١٨٧٥	٤٤٨٠٠٠	٢٨٨٠٠٠	٧٠٥٠٠	٢٨٠٠٠٠٠	١٠٠٠٠٠٠	١٣٠٠٠٠٠	١٠٢٠٠٠٠٠	٥٠٠٠٠	٥٠٠٠٠
١٨٧٦	٤٣٠٠٠٠	٢٥٠٠	٨٠٠٠٠	٢٣٥٠٠٠٠٠	٣٥٠٠٠٠٠٠	٢٤٦٠٠٠	١٤٠٠٠٠٠٠	١٥٠٠٠٠٠	-
١٨٧٧	-	-	١٦٠٠٠	١٨٧٠٠٠٠	١٠٠٠٠٠٠٠	٢٢٠٠٠٠٠	١٤٢٠٠٠٠٠٠	١٢٠٠٠٠٠	-
١٨٨٠	١٨٩٥٠٠	١٠٠٥٠٠	٢٥٣٠٠	١٧٠٠٠٠٠	٨٠٠٠٠٠٠	١٤٥٠٠٠٠	١٤٥٠٠٠٠٠	١٠٥٠٠٠٠	-
١٨٨١	٤٤٠٠٠٠	٢٥٥٠٠٠	٨٠٠٠٠	١٤٢٠٠٠٠٠	١٦٠٠٠٠٠	٨٥٠٠٠٠	١٧٠٥٠٠٠٠	١٣٥٠٠٠٠	-
١٨٨٢	٤٨٢٩٠٥	١٨٢٧٠	١٤٣٣٠٢	٢٢٩٢٨٤٤	٤٠٦١١٥	١١٢٤٠٠٠	١١٦٣٥٠	١٢٩٠٠٠٠	-

المصدر : التقارير السنوية للقناصل البريطانيين .

عدد السفن القادمة إلى يافا
 (بين قوسين المحولة بالأطنان) ١٨٨٢ - ١٨٥٦

السفن الساحلية	السفن النجارية	السفن الشراعية	السنة
(٥١٣٥) ٩٧	(٣٣٦٠٠) ٧٢	(٦١١٠) ٣٩	١٨٥٦
(٣٥٣٤٤) ١٦١		(١٣٠٣١) ٤٩	١٨٥٧
(٦٢٠٨٦) ٣٢٦		(٩٣٤٦) ٣٤	١٨٥٨
(١١١١٩٢) ٤٣١	١٤٤	(٢٤٧٧) ١٤	١٨٥٩
(١٥٠٠٠) ٢٠٠	١٤٤	(٤١١١) ٢١	١٨٦٠
	(٥٩٥٠٠) ١٤٣	(١٣٥٥٥) ١٧٦	١٨٦٢
(٢٩٩٤٥) ١٠٣٤	(١٠٤٧٦٦) ١٧١	(٣٧٩٩) ٢٢	١٨٧٣
(١٥٩٩٧) ١٢٩٣	(١٦٤٧٠٠) ١٨٤	(٤٤٥١) ٣١	١٨٧٤
(٢٣٨١٢) ١٢١٥	(١٤٩٤٢٢) ١٦٨	(١٨٥٧٤) ٧٦	١٨٧٥
(٢٥٤٦٠) ١٤٥٠	(١٧٠٢٧٢) ١٦٩	(٥٩٤٢) ٣٢	١٨٧٦
(٢١٧٥٠) ١٢٠٠	(١٥٠٨٠٠) ١٣٣	(٥٧٢٩) ٢٨	١٨٧٧
(١٨٢٧٢) ٧٥٣	(١٨٨٠١٦) ١٨٤	(٧٥٤٩) ٥٨	١٨٧٩
(٢٩٥٥٤) ٩٤١	(٢١١٠٢٩) ٢٤٩	(٣٣٨٦) ٣٠	١٨٨٠
(٢٥٢١٧) ٨٤٦	(١٩٥٧٩٨) ٢٢٧	(٤١٢٠) ٢٢	١٨٨١
(١٣٥٨٩) ٤٣٦	(٢٨٨٤٩١) ٢٤٢	(٣٧٧٣) ٢٣	١٨٨٢

المصادر : Parliamentary Papers, Public Record Office, London :
 تحولات جذرية في فلسطين ، ص ١٦٥ عن المصدرين أعلاه .

تصاعد الصادرات الرئيسية من يافا (الكمية بالكيلو ، أو بالأقفة ، أو بالحبّة)

التصاعد (عدّة المرات)	معدّل التصدير السنوي للسّنوات ١٨٧٣ - ١٨٧٧ ١٨٧٩ - ١٨٨٢	معدّل التصدير السنوي للسّنوات ١٨٥٧ - ١٨٦٠ و ١٨٦٢ - ١٨٦٣	السّلعَة
٤,٧٩	٢٧٩,١٥٦	٥٨,٣٣٣	القمح (كيلو)
٠,٨٤	١٠١,٨٦٣	١٢١,٣٧١	الشعير (كيلو)
٠,٩٢	٦١٦٧٨	٦٧١١١	الذرة (كيلو)
١,٦٥	٢٠٥٩٢٤٩	١٢٤٥٤٢١	السّمسم (أقفة)
١,٤٦	١٠٧٣٤٦	٧٠٥٦٢٤	زيت الزيتون (أقفة)
٢,١٢	٩٠٤٤٤٤	٤٢٠٠٠٠	الصابون (أقفة)
١١,٥٤	١١٥٤٤٤	١٠٠٠٣	صوف الغنم (أقفة)
٣,٢٥	١٩٦٥٠٠٠٠	٦٠٥٠٠٠٠	البرتقال (حبّة) ^(٢)

(١) استناداً إلى باور ٢٢٦ ، Bauer, Das Palästina Arabisch ، فالكميل والأوزان :

١ أقفة : ١,٢٨ كغ ، ١ رطل : ٢,٨٨ كغ ، ١ كيلو : ٣٦ لترأ .

(٢) معدّل السّنوات ١٨٧٣ - ١٨٧٧ و ١٨٧٩ فقط ، لأن المعطيات ابتداء من سنة ١٨٨٠ هي بالصندوق (انظر : تحولات

جذرية في فلسطين ، ص : ١٠٩ ، اعتماداً على التقارير السنوية للقناصل البريطانيين) .

قيمة أهم ثلاث سلع من سلع التصدير

من يافا في كل سنة من السنوات بالقروش

وحصتها من القيمة الكلية للسلع المصدرة

السنة	سلع التصدير	القيمة بالقروش	الحصة من مجموع التصدير
١٨٧٥	القمح	٨,٩٦٠,٠٠٠	٦٥,٢
	السهم	٧,٠٠٠,٠٠٠	
	الصابون	٥,٥٨٠,٠٠٠	
١٨٧٦	زيت الزيتون	٢,٤٥٠,٠٠٠	٧٩,٢
	الصابون	١١,٠٣٠,٠٠٠	
	القمح	٩,٠٣٠,٠٠٠	
١٨٧٧	السهم	٦,٠٧٧,٥٠٠	٨١,٣
	زيت الزيتون	٥,٥٠٠,٠٠٠	
	البرتقال	١,٢٣٠,٦٦٦	
١٨٧٩	زيت الزيتون	١٠,٠٠٠,٠٠٠	٨٢,٣
	الصابون	٧,٤٢٥,٠٠٠	
	البرتقال	٣,٣٨٠,٠٠٠	
١٨٨٠	الصابون	٧,٦١٢,٥٠٠	٦٢,٢
	البرتقال	٥,٨٠٠,٠٠٠	
	القمح	٥,٦٨٥,٠٠٠	
١٨٨١	القمح	١١,٠٠٠,٠٠٠	٦٨,٣
	البرتقال	٦,٨٢٠,٠٠٠	
	الصابون	٥,١٠٠,٠٠٠	
١٨٨٢	القمح	٩,٨٩٩,٥٥٢	٦٤,١
	البرتقال	٨,١٤٤,٥٠٠	
	الصابون	٦,١٨٢,٠٠٠	

(١) تحولات جذرية في فلسطين ، ص : ١٠٢

سعر الاستهلاك في القدس
في سنة ١٨٥٨ - ١٨٨٠ بالقروش (٢٢)

١٨٨٠	١٨٥٨	السَّلعة	١٨٨٠	١٨٥٨	السَّلعة
٨	٣	رطل عدس	٢,٥	٠,٥	رطل جبر
٩-٨	٩-٧	رطل أرز	٣٠	٢٥-١٨	حل الجمل من الحطب
١١,٢٥-٥	١٢-١٠	ثمنية قح (٢٢)	١,٥	٣	رطل اللّحم
٦,٢٥-٣	٦,٥	ثمنية شعير	١٢	١٥-١٣	رطل صابون
٦,٧٥-٢,٧٥	٧	ثمنية ذرة	٨٠	١٠٠-٩٠	عباءة
١٠-٤	٥,٥	رطل طحين	١٠	٢٤-٢٢	حذاء
٣٦	٥٤	رطل زبدة	١,٥	٢-١	رأس قرنييط
١٨	٢٤-١٦	رطل جينة	٣	٣	رطل ملفوف
١٨-١٢	١٥	رطل لحمة خروف	٢	٢	رطل جزر
٨	٧-٦	دجاجة	١,٥	١,٥	رطل لفت
٠,٥	١	٤ بيضات	٢	٤	رطل خيار
٢	٢	حمامة	٣,٥	٤-٣	رطل بصل
٣	٢	رطل ملح	٠,٢٥	٠,٥	رطل رمان
٣	٦	رطل خل	١	١	٨ حبات برتقال
٣٦	٣٠	رطل عسل نحل	١٠	١٦-١٢	رطل لوز
١٦	٢٣-٢٢	رطل سكر	٦	١٢-١٠	رطل زبيب
٩	١٣-١٠	رطل نبيذ	١٥	١٠	رطل زيت زيتون
٦٠٠-٤٠٠	٣٠٠-٢٠٠	الإيجار الشهري لغرفة واحدة	٧	٦-٤	رطل فاصولياء
٨-٤	٨-٥	الأجر اليومي للعامل	٣٣	٢٤	رطل قهوة

Lunes 11-16 &, Toblers dritte Wanderung 331-333 (٢٢)

(٢٢) والثنية = ٢,٢٥ ليدر .

التطوُّر السُّكَّاني لمَدَن فلسطين

١٨٠٠ - ١٩٢٢ م

١٩٢٢	١٨٨٠	١٨٦٠	١٨٤٠	١٨٠٠	المدن
٦٢,٠٠٠	٣٠,٠٠٠	١٩,٠٠٠	١٣,٠٠٠	٩,٠٠٠	القدس
٦,٤٠٠	٨,٥٠٠	١٠,٠٠٠	١٠,٠٠٠	٨,٠٠٠	عكا
٢٤,٦٠٠	٦,٠٠٠	٣,٠٠٠	٢,٠٠٠	١,٠٠٠	حيفا
٤٧,٠٠٠	١٠,٠٠٠	٦,٢٥٠	٤,٧٥٠	٢,٧٥٠	يافا
٧,٤٠٠	٣,٥٠٠	٣,٠٠٠	٢,٥٠٠	٢,٠٠٠	الرَّملة
١٧,٥٠٠	١٩,٠٠٠	١٥,٠٠٠	١٢,٠٠٠	٨,٠٠٠	غزة
١٦,٦٠٠	١٠,٠٠٠	٧,٥٠٠	٦,٥٠٠	٥,٠٠٠	الخليل
٦,٦٠٠	٤,٧٥٠	٣,٧٥٠	٢,٥٠٠	١,٥٠٠	بيت لحم
١٦,٠٠٠	١٢,٥٠٠	٩,٥٠٠	٨,٠٠٠	٧,٥٠٠	نابلس
٧,٥٠٠	٦,٠٠٠	٤,٠٠٠	٢,٢٥٠	١,٢٥٠	النَّاصرة
٧,٠٠٠	٣,٠٠٠	٢,٥٠٠	٢,٠٠٠	٢,٠٠٠	طبرية
				(٣,٥٠٠) ^(١)	
٨,٨٠٠	٧,٥٠٠	٦,٥٠٠	٤,٥٠٠	٥,٥٠٠	صفد
				(٧,٥٠٠) ^(١)	
٢٢٨,٦٠٠	١٢٠,٧٥٠	٩٠,٠٠٠	٧٠,٠٠٠	٥٤,٠٠٠	المجموع

المصدر : Ben Arich «Popalation of the large Towns in Palestine», 680

(١) قبل زلزلة ١٨٣٧ م .

تطور سگان فلسطين

بين : ١٨٥٠ - ١٩١٩ م

أرقام مقارنة					نتيجة التحليل		اللواء
(٧)١٩١٩	(٦)١٩١٥	(٥)١٩١٤	(٤)١٩١٢-١٩١١	(٣)١٨٩٣-١٨٨١	(٢)١٨٨٢	(١)١٨٦٥-١٨٥٠	
٤٢٥,٠٠٠	(٨)٢٤٢,٣٦٢	٢٢,٨٦٨	٢٥٢,٨١٣	٢٣٤,٧٧٠	٢٣٠,٠٠٠	١٨٠,٠٠٠	القدس
١٦٥,٠٠٠	١٥٢,٧٤٩	١٥٤,٥٦٣	١٨٢,٥٧٤	١١٥,٣١٤	١٣٠,٠٠٠	١٠٠,٠٠٠	نابلس / البلقاء
١٥٠,٠٠٠	١٢٧,١٦٤	١٣٣,٨٧٧	١٥٩,٠٠٦	٧٥,٨٨٢	١١٠,٠٠٠	٨٠,٠٠٠	عكا
٧٤٠,٠٠٠	٦٣٤,٢٧٥	٦١٦,٦٠٨	٦٩٥,٣٩٣	٤٢٥,٩٦٦	٤٧٠,٠٠٠	٣٦٠,٠٠٠	المجموع

(١ و ٢) Gottheil «The Population», 312

(٣) Karpat, Ottoman Population Records 262,271

(٤) Me Carthy 21,28

(٥) (إحصاء عثماني) Zamir 92,98

(٦) Sch'oleh, Araber und Juden in Palastian 15 - 18, Ruppin 81'

(٧) تقديرات وزارة الخارجية البريطانية 105, Zamir

(٨) باستثناء بحر السبع .

عدد السكّان التّقديري لمنطقة القدس
(فلسطين الوسطى والجنوبيّة في سنة ١٨٤٧ م)

المجموع	يهود	مسيحيون	مسلمون	القضاء
٤٥,٠٠٠	١٠,٠٠٠	١٠,٠٠٠	٢٥,٠٠٠	القدس
١٠١,٦٠٠	١٠٠	١,٥٠٠	١٠٠,٠٠٠	نابلس
٤٠,٠٠٠	-	٥٠٠	٤٠,٠٠٠	غزة
٢٨,٥٠٠	٢,٥٠٠	١,٠٠٠	٢٥,٠٠٠	الخليل
١٩,٥٠٠	١,٠٠٠	٣,٠٠٠	١٥,٥٠٠	يافا
٨,٧٠٠	-	١,٠٠٠	٧,٥٠٠	الرّملة
٧,٠٠٠	-	٨٠٠	٦,٢٠٠	اللّد
٢٥٠,٦٠٠	١٣,٦٠٠	١٧,٨٠٠	٢١٩,٢٠٠	المجموع

لمصدر : أرشيف وزارة الخارجية (باريس) .

Archives du Ministère des Affaires Etrangères, Paris, 12 (Jurudin, 1.7 1847)

تطور سكان القدس

بين : ١٨٤٠ - ١٨٩٠ م

السنة	المسلمون	المسيحيون	اليهود	المجموع
١٨٤٠	٤٦٥٠	٣٣٥٠	٥٠٠٠	١٣٠٠٠
١٨٥٠	٥٣٥٠	٣٦٥٠	٦٠٠٠	١٥٠٠٠
١٨٦٠	٦٠٠٠	٤٠٠٠	٨٠٠٠	١٨٠٠٠
١٨٧٠	٦٥٠٠	٤٥٠٠	١١٠٠٠	٢٢٠٠٠
١٨٨٠	٨٠٠٠	٦٠٠٠	١٧٠٠٠	٣١٠٠٠
١٨٩٠	٩٠٠٠	٨٠٠٠	٢٥٠٠٠	٤٢٠٠٠ (٢٢)

المصدر : Schick «Die Bauyeshichte» 270 f

(٢٢) بالغ (بن أريه Ben Arich) بعدد السكان اليهود كثيراً جداً .

المصادر والمراجع

« أ »

- الأحكام السلطانية : محمد بن الحسين الفراء ، دار الكتب العلمية - بيروت ، طبعة سنة ١٩٨٣
- أخبار الخوارج : الإمام أبو العباس المبرد ، دار الفكر ، بلا تاريخ أو طبعة .
- أصول التاريخ الأوربي الحديث : هريبرت فيشر ، دار المعارف بمصر - ١٩٦٢
- أطلس التاريخ الإسلامي : هاري و. هازارد ، مكتبة النهضة المصرية - القاهرة ١٩٥٤
- الأعلام : خير الدين الزركلي ، دار العلم للملايين - بيروت ، الطبعة ٦ - ١٩٨٤
- إيران وعلاقتها الخارجية في العصر الصفوي : نصر الله فلسفي ، دار الثقافة - مصر - ١٩٨٩

« ب »

- البداية والنهاية : أبو الفداء ابن كثير الدمشقي ، مكتبة المعارف - بيروت ، ط ١ - ١٩٦٦
- البعثات اليسوعية : د . طلال عتريسي ، الوكالة العالمية للتوزيع ، ط ١ - ١٩٨٧
- بلاد الشام في القرن التاسع عشر : دراسة وتحقيق د . سهيل زكار ، دارحسان - دمشق ، ط ١ - ١٩٨٢

« ت »

- تاريخ أخبار القرامطة : د . سهيل زكار ، دار الأمانة ومؤسسة الرسالة - بيروت - ١٩٧١
- التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للشرق الأوسط في العصور الوسطى : آ . آشتور ، دار قتيبة - دمشق - ١٩٨٥
- تاريخ حوادث الشام ولبنان (أو تاريخ ميخائيل الدمشقي) : تحقيق أحمد غسان سبانو - دار قتيبة - دمشق - ١٩٨١
- تاريخ الخلفاء : جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، المكتبة التجارية الكبرى - مصر ، ط ١ - ١٩٥٢

- تاريخ الدولة العربيّة : يوليوس فلهاوزن ، لجنة التّأليف والترجمة والنّشر - القاهرة - ١٩٥٨
- تاريخ الرّسل والملوك : محمّد بن جرير الطّبري ، دار المعارف بمصر - ١٩٦٠
- تاريخ سورّيّة في العصور الحديثة : د . نادر العطار ، بلا تاريخ أودار نشر .
- تاريخ الشعوب الإسلاميّة : كارل بروكلمان ، دار العلم للملايين - بيروت ، ط ٤ - ١٩٦٥
- تاريخ العالم : جون ا . هامرتن ، مكتبة النهضة المصريّة - القاهرة ، ط ٢ بلا تاريخ .
- تاريخ العرب الحديث [١٥٠٠ - ١٩١٨] : د . عبد الكريم غرايبة ، مطبعة جامعة دمشق ١٩٦٠
- تاريخ العرب والشعوب الإسلاميّة : كلود كاهن ، دار الحقيقة - بيروت ، ط ٢ - ١٩٧٧
- تاريخ العرب العام : لويس أميلي سيديّو ، عيسى الباي الحلبي - القاهرة ، ط ٢ - ١٩٦٩
- تاريخ مختصر الدّول : غريغوريوس الملطي (ابن العبري) ، بلا تاريخ أو طبعة أودار نشر .
- تاريخ اليعقوبي (أحمد بن إسحاق) ، دار صادر - بيروت ، بلا تاريخ أو طبعة .
- تحولات جذريّة في فلسطين [١٨٥٦ - ١٨٨٢] : الكزاندرشولش ، الجامعة الأردنيّة - عمان ١٩٨٨
- تراث الإسلام : بإشراف السيّر توماس أرنولد ، دار الطليعة - بيروت ، ط ٣ - ١٩٧٨
- تغطية الإسلام : د . إدوارد سعيد ، مؤسّسة الأبحاث العربيّة - بيروت ، ط ١ - ١٩٨٣
- التّفكير الإسلامي للتّاريخ : د . عماد الدّين خليل ، دار العلم للملايين - بيروت ، ط ١ - ١٩٧٥
- التّفكير الاشتراكي للتّاريخ : مختارات من فريدريك أنجلز ، نشر دار النهضة العربيّة - القاهرة -

١٩٦٨

- التّنبيه والإشراف : المسعودي (علي بن الحسين) ، المكتبة العصريّة - بغداد ، ١٩٣٨

« ج و ح »

- جغرافيّة فلسطين وحضارتها : (المؤتمر الدّولي الثّالث لتاريخ بلاد الشّام) ، الجامعة الأردنيّة
وجامعة اليرموك ١٩٨٣
- حاضر العالم الإسلامي : لوثرروب ستودارد ، دار الفكر - بيروت ، ط ٤ - ١٩٧٣
- الحركات السّريّة في الإسلام : د . محمود إسماعيل ، دار القلم - بيروت ، ط ١ - ١٩٧٣
- الحضارة العربيّة : جان س . ريسلر ، نشر الدّار المصريّة ، بلا تاريخ أو طبعة .
- الحضارة في الميزان : أرنولد توينبي ، عيسى الباي الحلبي وشركاه - مصر ، بلا تاريخ أو طبعة .

« د »

- دائرة المعارف الإسلاميّة ، دارالمعرفة - بيروت ، بلا تاريخ .
- دائرة معارف القرن العشرين : محمد فريد وجدي ، دارالمعرفة - بيروت ، ط ٣ - ١٩٧١
- دراسات في تاريخ وأثار فلسطين ، جامعة حلب ومركز الأثار الفلسطينية بإشراف د . شوقي شعث - ١٩٨٤

« ر »

- رحلة ابن بطوطة ، دار الفكر - بيروت ، ١٩٦٨
- روح الثورات : د . غوستاف لوبون ، نشر المكتبة العربيّة (عبيد) ، ١٩٢٤

« س وَ ش وَ ص وَ ط »

- سقرنامه : ناصر خسرو ، دار الكتاب الجديد - بيروت ، ط ٣ - ١٩٨٣
- سنن الترمذي (محمد بن عيسى بن سؤرة) ، مطبعة الأندلس - حص ، ط ١ - ١٩٦٦
- سوريّة وفلسطين تحت الحكم العثماني : قسطنطين بازييلي ، دار التقدّم - موسكو - ١٩٨٩
- شخصيات قلقة في الإسلام : د . عبد الرحمن بدوي ، دار النهضة العربيّة - القاهرة ، ط ٢ - ١٩٦٤

- صحيح مسلم بشرح النووي ، المطبعة المصريّة ومكتبتها ، بلا تاريخ .
- الطبقات الكبرى : محمد بن سعد الزهري ، دار صادر - بيروت ، ١٩٦٨

« ع »

- العالم العربي : د . نجلاء عز الدين ، دار إحياء الكتب العربيّة (عيسى الباي الحلبي) ط ٢ - ١٩٦٢
- العبر وديوان المبتدأ والخبر .. (تاريخ عبد الرحمن بن خلدون) ، دار البيان - بيروت ، بلا تاريخ .
- عصر إسماعيل : عبد الرحمن الرافعي ، دار المعارف بمصر ، ط ٣ - ١٩٨٢
- عصر محمد علي : عبد الرحمن الرافعي ، دار المعارف بمصر ، ط ٤ - ١٩٨٢

- العقد الفريد : أحمد بن محمد بن عبد ربه ، لجنة التّأليف والتّرجمة والنّشر ، ط ٣ - ١٩٦٥
 - عيون الأخبار : عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدّينوري ، نسخة مصوّرة عن طبعة دار الكتب
 بمصر ، بلا تاريخ .

« ف »

- فتح الباري شرح صحيح البخاري : أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، دار المعرفة - بيروت ،
 ط ٢ ، بلا تاريخ .
 - فتوح البلدان : أبو الحسن البلاذري ، المكتبة التّجاريّة الكبرى - القاهرة ١٩٥٩
 - الفرق بين الفرق : عبد القاهر بن طاهر البغدادي ، دار الآفاق الجديدة - بيروت ، ط ٣ - ١٩٧٨
 - الفِصل في الملل والأهواء والنّحل : علي بن محمد بن حزم الأندلسي ، دار المعرفة - بيروت ، ١٩٨٦
 - فلسطين عربيّة : د . فؤاد حسنين علي ، معهد البحوث والدراسات العربيّة للتّربية والثّقافة
 والعلوم ، ١٩٧٣
 - في طلب التّوابل : سونياي . هاو ، مشروع ١٠٠٠ كتاب (رقم ٩٨) ، مكتبة نهضة مصر
 ومطبعتها ، ١٩٥٧

« ق وَ ك »

- القافلة المنسيّة : يعقوب العودات (البدوي المثلّم) ، المطبعة التّجاريّة بالقدس ، ١٩٤١
 - القاموس الإسلامي : أحمد عطية الله ، مكتبة النهضة المصريّة - القاهرة ، ١٩٦٣
 - القرامطة : عارف تامر ، منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت ، بلا تاريخ أو طبعة .
 - القرامطة : ميكال يان دي خويه ، دار ابن خلدون - بيروت ، ط ١ - ١٩٧٨
 - قضية القدس : د . خيرية قاسميّة ، دار القدس - بيروت ، ط ١ - ١٩٧٩
 - الكامل في التّاريخ : علي بن محمد بن الأثير ، إدارة الطّباعة المنيريّة - القاهرة .
 - كتاب الأغاني : أبو الفرج الأصفهاني ، عن طبعة بولاق ، دار صعب ، بيروت ، بلا تاريخ .
 - كتاب الخراج : أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم ، المطبعة السّلفية ومكتبتها - القاهرة ، ط ٤
 - كنوز القدس : تنسيق المهندس رائف يوسف نجم ، منظمة المدن العربيّة ، ومؤسسة آل البيت -
 عمان ، ١٩٨٣

« ل و م »

- لسان العرب : جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري ، دار صادر - بيروت .
- محاضرات في الاتجاهات الأدبية الحديثة في فلسطين والأردن : د . ناصر الدين الأسد ، جامعة
الدول العربية - القاهرة ١٩٥٧

- مختصر دراسة للتاريخ : أرنولد توينبي ، الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية ، ط ٢ -
١٩٦٥

- مروج الذهب ومعادن الجوهر : علي بن الحسين السعدي ، دار الفكر ، ط ٥ - ١٩٧٣
- المسيحية في القدس : عارف العارف ، مطبعة دير الروم الأرثوذكس - القدس ١٩٥١
- معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي : زامباور ، مطبعة جامعة فؤاد الأول -
مصر ١٩٥١

- معجم البلدان : ياقوت الحَمَوِي ، دار صادر - بيروت (بلا تاريخ) .
- معجم بلدان فلسطين : محمد محمد شراب ، دار المأمون للتراث - دمشق ، ط ١ - ١٩٨٧
- مع المخطوطات العربية : كراتشكوفسكي ، دار التَّقْدِيم ، موسكو ١٩٦٣
- المغازي : محمد بن عمر الواقدي ، عالم الكتب ، بيروت (بلا تاريخ) .
- الملل والنحل : محمد بن عبد الكريم الشهرستاني ، الباي الحلبي ، مصر ١٩٦١
- من قضايا الفكر الإسلامي كما يراها بعض المستشرقين : كلية الدعوة الإسلامية - طرابلس ١٩٨٨
- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار : أحمد بن علي المقرئ ، دار صادر ، بيروت .
- موسوعة المستشرقين : د . عبد الرحمن بدوي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط ١ - ١٩٨٤
- الموسوعة الفلسطينية ، دمشق ، ط ١ - ١٩٨٤
- ميزان الاعتدال في نقد الرجال : محمد بن أحمد بن عثمان النهدي ، دار إحياء الكتب العربية ،
ط ١ - ١٩٦٣

« ن »

- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة : يوسف بن تغري بردي ، المؤسسة المصرية العامة ،
القاهرة - ١٩٦٣

- نحن والتاريخ : قسطنطين زريق ، دار العلم للملايين ، ط ٥ - ١٩٨١
- النقد التاريخي : د . عبد الرحمن بدوي ، دار النهضة العربية - القاهرة ١٩٦٣

« و »

- الوثائق والمعاهدات في بلاد العرب ، أصدرته جريدة الأيَّام ، دمشق ، بلا تاريخ .
- الوحدة العربية [١٩١٦ - ١٩٤٥] : د . أحمد طربين ، دار الهلال ، ط ٢ - ١٩٦٣
- وفيات الأعيان : أحمد بن محمد بن خلكان ، دار صادر ، بيروت - ١٩٧٧
- ولاية بيروت (ألوية بيروت وعكا ونابلس) : محمد رفيق ومحمد بهجت التميمي ، دار لحد خاطر -
بيروت ، ط ٣ - ١٩٨٧

☆ ☆ ☆

- Atlas Moderne Larousse, Donald Curron, Michel Coqueny, Paris 1969
- Atlas of Middle East, Crace L. Powell M. Margaret Geib, Alex Spengler.
- Encyclopedia Britanica, U. S. A 1974
- Encyclopedia Americana, 1987
- Jerusalem in the 19th. Century, the Old City, Yad Ichak Ben Ariel,
Jerusalem 1984
- Jerusalem, Henry Catton, Croom Helm, London.
- Historical Atlas of the Muslim Peoples, Dr. R. Roolving, Amsterdam 1957
- Larousse, Paris 1930
- Muirs Historical Atlas, Treharne and Handd Fullord, Philip, London.
- Ottoman Empire, Donald Edgar, Pritcler Lieden, E. J. Brill 1972
- Palestinians and their Society: 1880 - 1946, Sarah Graham Brown, London
1980
- The Sick Man of Europe, Charles Swallow, London 1973
- Word Atlas, Hommonds, 1963

مسرد الآيات القرآنية الكريمة

الصفحة	الآية
	سورة البقرة (٢)
١٨٦	﴿ وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين ﴾ ١٩٠
١٧٦	﴿ ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة ﴾ ٢٠٢
١٧٦	﴿ فلکم رؤوس أموالکم لا تظلمون ولا تُظلمون ﴾ ٢٧٩
	سورة النساء (٤)
١٥٠	﴿ وتحرير رقبة مؤمنة ﴾ ٩٢
	سورة المائدة (٥)
١٥٠	﴿ أو تحرير رقبة ﴾ ٨٩
	سورة الأنعام (٦)
١٥٠	﴿ ولا تقتلوا أولادكم من إملاقٍ نحن نرزقكم وإياهم ﴾ ١٥١
	سورة التوبة (٩)
١٥٠	﴿ وفي الرقاب ﴾ ٦٠
	سورة يونس (١٠)
٢١٥-٢١٦	﴿ هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ریح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنُّوا أنهم أحيط بهم دَعَوْا الله مخلصين له الدين لأنَّ أنجيتنا من هذه لسكونن من الشاكرين ﴾ ٢٢

الصفحة	الآية	سورة هود (١١)
١٨٠	٢٧	﴿ وما نراك أتبعك إلا الذين هم أراذلنا ﴾
		سورة النحل (١٦)
٢١٥	١٤	﴿ وهو الذي سخَّر البحر لتأكلوا منه لحماً طرياً وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلمكم تشكرون ﴾
		سورة الإسراء (١٧)
١٥٠	٣٣	﴿ ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ومن قُتل مظلوماً فقد جعلنا لوليِّه سلطاناً فلا يسرف في القتل إنه كان منصوراً ﴾
		سورة الأنبياء (٢١)
٢٠٩	١٠٧	﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾
		سورة الحج (٢٢)
١٨٦	٣٩ و ٤٠	﴿ أذن للمذين يُقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير . الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ﴾
		سورة النور (٢٤)
٢١٦	٣٩	﴿ والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءً ﴾
٢١٦	٤٠	﴿ أو كظلمات في بحرٍ لجيٍّ يغشاه موجٌ من فوقه موجٌ من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض ﴾
		سورة الفرقان (٢٥)
١٤٩	١	﴿ تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً ﴾
		سورة سبأ (٣٤)
١٤٩	٢٨	﴿ وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً ﴾
٢٠٩	٢٨	﴿ وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾

الآية	الصفحة	
		سور ص (٢٨)
٨٧ و ٨٨	٢٠٩	﴿ إن هو إلا ذكر للعالمين . ولتعلمنّ نبأه بعد حين ﴾
		سورة الأحقاف (٤٦)
٣٥	١٨٦	﴿ واصبر كما صبر أولو العزم من الرّسل ولا تستعجل لهم ﴾
		سورة المجادلة (٥٨)
٣	١٥٠	﴿ فتحرير رقبة من قبل أن يتأسأ .. ﴾
		سورة الحشر (٥٩)
٧	١٤٩ و ١٩٧	﴿ كيلا يكون دولة الأغنياء منكم ﴾
		سورة التكوير (٨١)
٨ و ٩	١٥٠	﴿ وإذا الموءودة سئلت ، بأي ذنب قتلت ﴾
		سورة المطففين (٨٣)
٣-١	١٤٨	﴿ ويل للمطففين . الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون . وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون ﴾
		سورة الفجر (٨٩)
١٩ و ٢٠	١٤٨	﴿ وتأكلون التراث أكلاً لما . وتحبّون المال حباً جماً ﴾
		سورة المسد (١١١)
٥	١٤٧	﴿ في جيدها حبل من مسد ﴾



مسرد الأحاديث النبوية الشريفة

الصفحة

(أ)

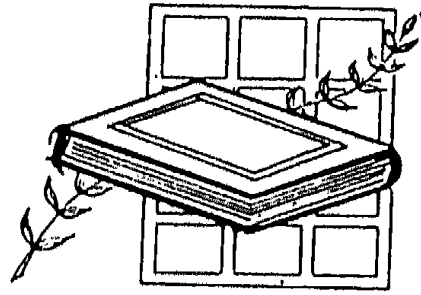
- ١٨٢ « أبايكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم ... »
- ١٧٦ « أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً » - الترمذي
- ٢٠٩ « إن الله سيفتح عليكم بعدي مصر ، فاستوصوا بقبطها خيراً فإن لهم فيكم سهراً وذمة »
- ١٤٩ « إن في المال حقاً سوى الزكاة » - الترمذي

(م)

- ٢٣٩ « من لم يشكر الناس لم يشكر الله »

(ي)

- ١٨٦ « يامعشر قريش ويا أهل مكة ماترون أني فاعل بكم .. »



مسرد الأعلام

	(أ)
ابن الطفيل ١٢٢	آ . آشتور ٢٥٩
ابن العبري (غريغوريوس الملطي)	أرون أروتسون ٦٢
ابن عذارى ١٦٠	آسيا - الدكتور ٩٧
ابن الغواني ٢٣٤	إبراهيم ٦٧ ، ١٨١
ابن كثير الدمشقي ٢٥٩	إبراهيم باشا ٣٦ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ،
ابن مسكويه ١٤٠	٤٧ ، ٥٠ ، ٦٦
ابن المعتز - الشاعر ١٢٢	إبراهيم شحادة الخوري ١١١
ابن النديم ١٥٥	إبراهيم المازني ١٢٦
ابن هشام ١٨٢	إبراهيم هنانو ١١٣
أبو بكر الصديق ١٥٨ ، ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٢	ابن الأثير ١٣٧ ، ١٤٠ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٦٧
أبو تمام ١١٢	ابن أسامة الكوفي ٢٣١
أبو جعفر المنصور ٢٠١	ابن بطوطة ١٥٥ ، ٢٠٥ ، ٢٦١
أبو الحسن البلاذري ٢٦٢	ابن الجوزي ١٨٠
أبو حنيفة ٢٠٩	ابن حزم ١٥٣ ، ١٦٢
أبو الخطاب محمد الأسدي ١٦٦	ابن خلدون ١٤٢ ، ١٧٢ ،
أبو السعود ٧٧	١٧٣ ، ١٧٤ ، ٢٠٠ ، ٢٦١
أبو سعيد الجنابي ١٣٣ ، ١٦٧ ، ١٦٩	ابن خلكان ٢١٤ ، ٢٦٤
أبو الطيب - أحمد بن الحسين = انظر: المتنبي	ابن سبأ (عبد الله بن سبأ ، ابن السوداء)
أبو العباس المبرد ٢٥٩	ابن سعد ١٤٩
أبو عبيدة بن الجراح ١٥٨ ، ١٨١ ، ١٨٨	ابن السكيت ١٨١
أبو العتاهية ١١٧	ابن السوداء ٢١٣ ، ٢١٤
أبو العلاء المعري ١١٢ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢٢ ، ١٢٣	ابن طباطبا ١٥٥
أبو طالب ١٨٠	

- أبو طاهر القرمطي ٢٠٢
أبو الفرج ٢٢٣
أبو الفرج ابن العبري ١٥٣
أبو الفرج الأصفهاني ٢١٢، ٢١٣، ٢٦٢
أبو الفرج الوأواء دمشقي ١١٧
أبو هب ١٤٧
أبو المظفر محمد بن سام ١٨٩
أبو منصور ١٦٧
أبو منصور البغدادي ١٦٤
أبو منصور - صدقة بن يوسف الفلاح ١٢٠
أبو منصور العجلي ١٦٦
أبو النجاح المنيني ١٢٥
أبو نظارة ١٢٣
أبو يوسف = يعقوب بن إبراهيم ٢٠٩، ٢١١، ٢٦٢
أجناتي يوليا كراتشكوفسكي ١١، ٩٢، ١٠٢، ١٠٣،
١١٦، ١١٧، ١١٨، ١١٩، ١٢٠، ١٢١، ١٢٢
١٢٤، ١٢٨، ٢٦٣
أحمد أرسلان - الأمير ٥١
أحمد باشا ٥٥
أحمد باشا موزي ٤٧
أحمد بن حجر العسقلاني ٢٦٢
أحمد بن علي شهاب الدين = انظر: أبو النجاح المنيني
أحمد بن علي المقرئ ٢٦٣
أحمد بن محمد خلكان ٢١٤
أحمد تيجور باشا ١٢٠
أحمد الجزائر ٣٦
أحمد خليفة ١١١
أحمد رشيد ٧٥
أحمد سامح الخالدي ١٠٦، ١٢٤
أحمد الشتناوي ١٦٤
أحمد شوقي ١١٢
أحمد طربين الدكتور ٢٦٤
أحمد عبد ربه ٢٦٢
أحمد عطية الله ٢١٤، ٢٦٢
أحمد غسان سبانو ٢٥٩
أحمد فارس الشدياق ٧٧
الأخطل - الشاعر ١١٧
إدوارد سعيد ٢٦٠
أدمون اللنبي ٦٣
إدوارد كازاليت ٦٧
أرطغرل بن سليمان شاه ٣٢
أرنست رينان ١٤٤، ١٤٥، ١٧٢
أرنولد توينبي ٢٦٠، ٢٦٣
أسامة بن منقذ ١٢٢
إسحاق موسى الحسيني ١٢٥
إسحاق النشاشيبي ١٠٦
إسكندر الخوري ٧٧
الإسكندر الكبير ٢٠٨
إسماعيل ١٨١
إسماعيل بن جعفر الصادق ٢٢٣
إسماعيل بن عباد ١٦٦
إسماعيل بن القاسم العنزي - انظر: أبو العتاهية
إسماعيل الأطرش ٥٣
إسماعيل الخديوي ١٢٣، ٢٦١
أشمدت ١١٦
الإصطخري ١٦٠، ١٦٣
الأصمعي ٧٨، ١٠٩
أفتيم مشبك ١١٠
الإفشين ١٦٤، ٢٠٠
الكراندر شولش ٢٤

- ألكس ٩٧
 ألكسندر ٩٧
 ألكسندرة ٩٧
 إليزابيت - ملكة إنكلترا ٣٤
 إميل كوهن ١٥٢
 أمين الريحاني ١١٨
 أمين الريحايوي ١١٢
 انتيكوف ١٣٤
 أنجلز ١٣٣، ١٣٤
 أندريه الجوزي ٩٦
 أنستاسيا الجوزي ٩٧، ٩٨، ١٤١، ٢٢٠
 أنسطاس حنانيا ١٢
 أنطون خشاب ١١٧
 أهرمزدا - الإله ١٦٤
 اولدنبرغ ١٢١
 أولغا الجوزي ٩٦، ٩٨
 إيتالنسكي ١١٧
 إيشانوف ١٣٩
- (ب)
- تابك الخرمي ١٦٣، ١٦٤، ١٩٤، ١٩٥، ١٩٦، ١٩٧،
 ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٣٠
 بارتولد - المؤرخ ١١٧، ١٣٨، ١٣٩، ١٥٢، ١٥٤،
 ١٥٥، ١٧٥، ٢١٤، ٢١٨
 بارو ٣٨، ٤٦
 باسم الحناد ٢٦٢
 بجرييه أوتشوك ٢٣٢
 بديع الزمان الهمذاني ٧٨
 البراء بن معرور ١٨٢
 براون ١٥٥، ١٦١
 بربارة بافلوويتا ٩٥
- برميوس ١٢١
 بروخوروس - الراهب ٨٧
 بروكلمان = (كارل)
 بشير أبو اللمع - الأمير ٥٢
 بشير الشهابي ٣٦، ٤٩، ٥٠
 بشير جنبلاط ٥٠
 بشير قاسم شهاب - الأمير ٥٠، ٥١
 بطرس البستاني ٧٧
 بطرس - القديس ٨٦
 البغدادى ١٥٤
 البلاذري ١٤٠، ١٦٠، ١٨٩
 بندلي صليبا الجوزي - الدكتور ٥، ٦، ٧، ٨، ٩، ١٠،
 ١١، ١٢، ١٣، ١٤، ١٥، ١٦، ١٧، ٢٤، ٧٩،
 ٨١، ٨٣، ٨٦، ٨٩، ٩٠، ٩١، ٩٢، ٩٣، ٩٥،
 ٩٦، ٩٨، ٩٩، ١٠١، ١٠٢، ١٠٥، ١٠٦، ١٠٧، ١٠٨،
 ١٠٩، ١١٢، ١١٦، ١٢٥، ١٢٦، ١٢٧، ١٢٩،
 ١٣١، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٠، ١٤١،
 ١٤٢، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٨، ١٤٩، ١٥١،
 ١٥٢، ١٥٣، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٦، ١٦١، ١٦٢،
 ١٦٣، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٧، ١٦٩، ١٧٢، ١٧٤،
 ١٧٥، ١٧٧، ١٧٨، ١٧٩، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٦،
 ١٨٧، ١٨٨، ١٨٩، ١٩٦، ١٩٧، ١٩٨، ١٩٩،
 ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٣، ٢٠٥، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢٠٩،
 ٢١٠، ٢١١، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٥، ٢١٧،
 ٢١٨، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٣٥، ٢٤٣،
 ٢٤٧، ٢٤٨
- بنيامين يوانيدس ٨٧
 بلفور = آرثر جيمس ٦٢، ١٠٦، ١٠٧
 بوريس الجوزي ٩٦
 بورقيري أوسبنسكي - الأرشمندريت ٧٦

- بوفور-الجنرال ٥٥
 بوكشمان ٢٤٨
 بولس قرآلي ٥٠
 بونياتوف - الدكتور (ضياء الدين موسى)
 بيان بن سمعان التميمي ١٦٦
 بيترز ١١٩
 بيدرو ٩٨
 بيكر ١٥٩
 بيكو ١٩، ٢٥
 بيليايف - المستشرق ٩٢، ٩٣
 (ت)
 تامارا الجوزي ٩٧
 تانيا الجوزي ٩٦
 ت. ب. - غسانوف ٢٢٧
 الترمذي ١٤٩، ١٧٦، ٢٦١
 تشارلزوارن ٦٧
 تورايف ١١٦
 توفيق الخديوي ١١٢
 توماس آرنولد ١٨٩، ٢٦٠
 تيودوروف - الكاتب ١٠٢
 تيودور نولدكه ١٠، ١٣٥، ١٣٧، ١٥٢، ١٥٩، ١٦١، ١٧٥
 تيوفيل - إمبراطور الروم ١٩٤، ٢٠٠
 (ث)
 ثمامة النيري ١٩٣
 ثيوفانس ١٥٣
 (ج)
 الجاحظ ١٥٤، ١٥٣
 جاك ريسلر ٢٠٨
 جان باتيستافيكو ١٧٣
 جان جاك روسو ١٧٤
 جان س. ريسلر ٢٦٠
 جرجي زيدان ٧، ١١٩، ١٣٨
 جريجوار الحداد - البطريرك ١٢١
 جريس الخوري أيوب ١٠٦
 جلال الدين السيوطي ١١٧، ٢٣٢، ٢٥٩
 جلال الدين منكبوري ٢٣١، ٢٣٤
 جلال السيد ٨، ١٤، ٢٠٧
 جمال باشا ٦٢
 جمال الدين الأفغاني ١٢٣
 جميل الخالدي ١٠٣، ١١٠، ١١٣، ١١٥
 جمال الدين محمد ابن منظور ٢٦٣
 جنكيز خان ٢٣١
 جوتهيل ١١٩
 جورج آدم سميث ٢٦
 جورج خيس ١٠٦
 جورج - الملك ٧٨
 جورج الجوزي ٩٦
 جورج حبيب حنانيا ٧٨، ١٠٩
 جوزفين الجوزي ٩٦
 جولدتسهير (كولدتسهير) ١٠، ١٥٣، ١٥٥، ١٦١، ٢١٧
 جوليت آدم ١٢٣
 جون. أن هامرتن ٢٦٠
 جون لوك ١٧٣
 جيسينوس ١٥٣
 (ح)
 الحسن بن علي ٢١٥
 حسن صدقي الدجاني ١٠٦

- حسين بن علي - الشريف ١١٠
 حسين مروة - الدكتور ٩، ١٥١
 الحلاج = الحسين بن منصور ١٦٠
 حمد الله القزويني ٢٣٢
 حمدان قرمط ١٢٣، ١٦٧
 حنا عبد الله العيسى ٧٨
 حنا عيسى ١٠٩
 حي بن يقظان ١٢٢
 حيدر أبو اللمع - الأمير ٥١
 حيدر الإفشين ١٦٣، ١٩٤
- (خ)
 خالد البرمكي ١٩٣
 خالد بن الوليد ١٤٧
 خالد الدزدار ١١٦
 خديجة - السيدة أم المؤمنين ١٨٠
 خسرو باشا - السلطان ٤٧
 خلف بن عباس الزهراوي ٢٣٢
 خليل بيدس ٧٧، ٧٨، ١٠٦
 خليل جواد بدر الخالدي ٧٨
 خليل سكاكيني ١٢، ٧٨، ٩٥، ١٠٣، ١٠٥، ١٠٦
 ١٠٩، ١١١، ١١٢، ١١٣، ١٢٦
 خليل طوطح - الدكتور ١٢٤
 خوارزمشاه (جلال الدين منكبوري)
 خورشيد باشا ٣٧، ٥٢، ٥٣، ٥٥
 خير الدين ببروسا ٣٢
 خير الدين الزركلي ١١٦، ٢٥٩
 خيرية قاسمية - الدكتورة ٢٦٢
- (د)
 دامون لل - المبشر ٤٢
 داود الصيداوي ١٠٩
- داود باشا ٥٦
 دوركهايم ١٧٣
 دورن ١٢٢
 دوزي ١٥٤، ١٦٠، ١٦١، ١٨٩
 دوستيموس - بطريك القدس ٩٠
 الدومودي راجوز - المارشال ٤٥
 دي خويه (ميكال بان)
 ديمانج ١٢١
 ديمتري الجوزي ٩٦
 الدينوري ٥٤
- (ذ)
 ذميانوس - البطريرك اليوناني ١٠٩
- (ر)
 راغب النشاشيبي ١٠٦
 رانكه ١٤٢، ١٧٢، ١٧٤
 رائف يوسف نجم - المهندس ٢٦٢
 الرجال ٢١٨
 رسول الله ﷺ = النبي ﷺ = محمد ﷺ ١٣٦، ١٤٦،
 ١٤٧، ١٤٨، ١٤٩، ١٥٢، ١٥٧، ١٥٨، ١٦٦،
 ١٧٥، ١٧٦، ١٧٨، ١٧٩، ١٨٠، ١٨٢، ١٨٣،
 ١٨٥، ١٨٦، ١٨٧، ١٨٨، ١٩٢، ٢٠٧، ٢٠٨،
 ٢٠٩، ٢١١، ٢١٥، ٢١٦، ٢١٧، ٢١٨، ٢٢١،
 ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٣٩
 رفلة عبد النور ١٠٦
 رفيق الحسيني ١٢
 روبرش - الرسام ٩٩
 روعي الخالدي المقدسي ٧٨، ٧٩
 روزن ١١٧، ١١٨
 رونزفال ١١٩
 ريتشارد وود ٥١

- (ش)
 شارل شيفر ١٦٩
 شارل ناير ٤٩
 الشافعي - الإمام ٢١٤
 شاه بازوف ٢٤٨
 شفيبل ٢٤
 شكري جرامي ١١١
 شلوسر ١٤٢، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٥، ١٧٢، ١٧٤
 الشنفرى ١٢٢
 شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني ٢١٣
 شهاب الدين النسوي ٢٣١
 الشهابي - الأمير ٥١
 الشهرستاني ١٥٣، ١٦٢، ١٦٥
 شوبان زاده ٢٤٨
 شوقي شعث - الدكتور ٢٦١
- (س)
 سارا (سارة) بالابي عاشور بيبي ٢٢٠، ٢٤٢، ٢٤٨
 سايكس ١٩، ٢٥
 ستانلي لان بول ٢١١
 ستكوفسكي ١٢١
 سعيد جنبلاط ٥٣
 السفياي ١١، ١٢٨، ٢١٣
 سليم الأول ٢٢، ٦٥
 سليم بطرس البستاني ٧٧
 سليم الثالث - السلطان ٣٦
 سليمان الأول القانوني ٢٣، ٣٤
 سليمان باشا ٣٦
 سليمان قبايعين ٧٧
 سنباط بن سهل ١٦٤
 سهل بن سنباط ١٦٥، ٢٠٠
 سهيل بن عمرو ١٨٦
 سهيل زكار - الدكتور ١٨٩، ٢٥٩
 سونيا ي. هاو ٦٥، ٢٥٢
 سيدني سميث - قائد إنكليزي ٣٥
 سيرجي ٩٧
- (ض)
 ضياء الدين موسى بونيا توف - الدكتور ١٥، ٩٥،
 ٢٢٠، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٢،
 ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٣٩، ٢٤٢
- (ط)
 الطبري ١٤٠، ١٥٤، ١٦٠، ١٦٣، ١٨٠، ١٨٢، ٢٠٠،
 ٢١١، ٢٦٠
 طلال عتريسي - الدكتور ٩٠، ٢٥٩
- (ز)
 زامباور ٢٦٣
 زرادشت ١٦٤
 زوكوفسكي ١١٦
 زياد بن أبيه ١٥٩
 زيد بن الخطاب ٢١٨
 زيد بن علي بن الحسين ١٦٦

- طلعة باشا ٦٢، ٦٣
 طه حسين ١٢٣
 (ع)
 عادل جبر ١٢، ١٠٦، ١١٢، ١١٥
 عارف تامر ٢٦٢
 عارف العارف ٨٧، ٢٦٣
 العباس بن الوليد ١٣٨
 عباس الخماش ٧٧
 عباس محمود العقاد ١٢٦
 عبد اللطيف الطيباوي ٩، ٢١٧
 عبد اللطيف الطيبي ١٣٨
 عبد الله باشا - والي صيدا ٣٩، ٤٠، ٤١
 عبد الله بن سبأ، عبد الله بن السوداء ١٦٥، ٢١٣،
 ٢١٤، ٢٢٣
 عبد الله بن عباس ٢١١
 عبد الله بن محمد - المعتز بالله = انظر: ابن المعتز
 عبد الله بن مسلم الدينوري ٢٦٢
 عبد الله بن هارون الرشيد = انظر: المأمون
 عبد الله الحوراني ١٦
 عبد الله محمد بن عثمان الذهبي ٢١٣
 عبد الحميد الثاني - السلطان ٦٠، ٦١
 عبد الرحمن بدوي - الدكتور ١٠٣، ١٥٧، ١٧٤، ٢٦١،
 ٢٦٣، ٢٦٤
 عبد الرحمن بن خلدون = انظر: ابن خلدون
 عبد الرحمن بن عوف ١٨١
 عبد الرحمن الراقمي ٣٧، ٢٦١
 عبد الرشيد الباكوي ٢٣١
 عبد العزى بن عبد المطلب = أبو لهب
 عبد القادر الجزائري - الأمير ٥٤
 عبد القاهر البغدادي ١٦٦، ٢٦٢
 عبد الكريم محمود غرايبة - الدكتور ٦٥، ٢٦٠
 عبد المجيد الأول - السلطان ٤٧، ٥٢
 عبد الملك بن مروان ١٩٢
 عبد الواحد المراكشي ١٦٠
 عثمان بن أرطغرل ٣٢
 عثمان بن حنيف ٢١٢
 عثمان بن عفان ١٦٦، ١٨٠، ١٨١، ١٩٢
 عروة بن الورد ١٢٦، ١٨١
 عطا ييكوف ١٤١
 علي بك ١١٢
 علي بن أبي طالب ١٦٥، ١٦٦، ٢١٣، ٢١٥
 علي بن حزم الأندلسي ٢٦٢
 علي بن الحسين السعودي ٢٦٣
 علي بن عيسى ١٦٧
 علي بن محمد ١٣٣
 علي بن محمد بن الأثير ٢٦٢
 علي جار الله ١١٠
 عماد الدين الأصفهاني ١٥٥
 عماد الدين خليل - الدكتور ٢٦٠
 عمر باشا النمساوي ٥١
 عمر بن الخطاب ١٥٨، ١٦٦، ١٦٧، ١٩٠، ١٩١، ٢١٢
 عمر بن عبد العزيز ١٩٢، ٢١١
 عمرو بن مالك = الشنفرى ١٢٢
 عيسى البابي الحلبي ٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٣
 عيسى الطيبة ١٢
 عيسى العيسى ١٢
 (غ)
 غالينا - الدكتورة ٩٦
 غبريل تارد ١٧٣
 غريغوريوس الملطى = ابن العبري ١٥٣، ١٦٤، ١٦٥،
 ٢٢٣، ٢٦٠

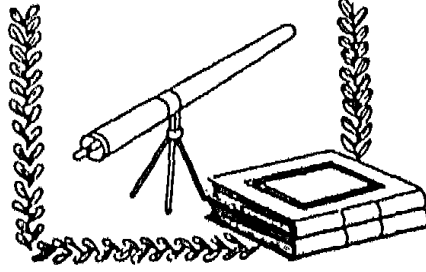
- الغزالي ١٥٥
غوستاف لوبون - الدكتور ٧١، ١٨٩، ٢٦١
غياث بن غوث بن الصلت = الأخطل
- (ف)
- الفارابي ١٢٧
فارس نمر ٢٥
فاسكودي غاما ٦٥
فاسيلي بارتولد ١٢٨، ٢١٥
فاسيليف ١٥٣
فاطمة بنت محمد عليه السلام ١٥٨، ٢١٥
الفخري ١٩٣
فخري النشاشيبي ١٠٦
فرانسوا الأول (فرنسيس الأول) ٣٣، ٣٤
فرين ١٢١، ١٢٢
فريدريك أنجلز ٢٦٠
فضيل النمر ٧٧
فسلوفسكي ١١٧
فكتور روزن ١١٧، ١١٨
فلاديمير ٢٢٠
فلاديمير إيفانوف ١٢١
فلادimir إيليتش لينين ٢٣٦، ٢٣٧
فلاديمير بندلي الجوزي ١٥، ٩٦
فلهاوزن (يوليوس) ١٠، ٥٢، ١٥٧، ١٦١، ١٧٦،
٢١٧، ١٧٥، ١٩١، ٢١٢، ٢١٣، ٢٦٠
فواز صياغ - الدكتور ١٤٢
فنكلر ١٤٤، ١٤٥
فؤاد باشا ٥٤، ٥٥
فؤاد حسنين علي - الدكتور ٢٦٢
فؤاد سابا ١١٦
فواز صباغ - الدكتور ١٤٢
- فولتير ١٧٣
فون بوير ١٥٥
فيصل - الأمير ١١٠، ١١٢
فيكتور هوغو ٧٨
فيكتورية - الملكة ٥٤
فيليب حتي ٧، ٢١١
- (ق)
- قاسم أمين ١٢٣
قثم بن عبداللات ١٧٩، ٢٢٢
قسطندي الجوزي ١٠، ٨٣، ١٠٢، ١٠٤، ١٠٦
قسطنطين بازيلي ٤٧، ٢٦١
قسطنطين زريق - الدكتور ١٣١، ١٣٥، ١٣٧، ٢٦٤
قسطنطين كلورس ٨٧
قسطنطين ماركوف ٩٧
قسطنطين - الملك ٨٧
قبيز ١١٢
قيصر روسية ١٢١، ٢٠٩
- (ك)
- كاترينا جوزي ١٠، ٨٣
كاتيا ٩٧
كادلفين ٢٨، ٤٦
كارل بروكلمان ٧، ٥١، ١٢٠، ٢٦٠
كارلسروهة ١٥٩
كامل العسلي - الدكتور ٦٧
كايتاني ١٥٢، ١٧٥، ١٧٦، ٢١٢، ٢١٧
كراتشكوفسكي (أجناتي يوليا)
كرومر ١١٣
الكراندر شولش ٦٧، ٢٦٠
كسرى ٢٠٩
كليوباترة ١١٢

- م. أ. إسماعيلوف ٢٢٧
 المتنبي ١١٨، ٧٨
 ماركس ١٣٤
 مارك لوزبرسكي ١١٩
 مارمون - للارشال = الدوق دي راجوز ٤٤
 ماريام الكرجي - الأمير ٨٧
 مارينا الجوزي ٩٦
 مازيار ١٩٤
 ماسينيون ١٥٤، ١٦١
 ماكسانس ٨٧
 ماكس نوردو ١١٦
 المأمون - الخليفة ١١٨، ١٩٣
 ماكاروف ٢٢٠
 مترنيخ - وزير النمسة الأكبر ٤٧
 محمد ﷺ = انظر: رسول الله ﷺ
 محمد إسعاف النشاشيبي ٧٨، ١٠٣، ١١٢، ١١٣
 محمد أمين الحسيني - الحاج - مفتي فلسطين ١٠٦
 محمد بن أحمد الغساني = الوأواء الدمشقي ١١٧
 محمد بن الحسين الفراء ٢٥٩
 محمد بن سعد الزهري ٢٦١
 محمد بن عبد الكريم الشهرستاني ٢٦٣
 محمد بن عبد الملك الأندلسي = انظر: ابن الطفيل
 محمد بن عثمان الذهبي ٢٦٣
 محمد بن علي بن الحسين بن... ١٦٦
 محمد بن عمر الواقدي ٢١٤، ٢٦٣
 محمد بهجت التيجي ٢٦٤
 محمد رشاد - السلطان = محمد الخامس ٦٠
 محمد رشيد رضا ١٠٦
 محمد رفيق التيجي ٢٦٤
 محمد سليم الجندي ١١٩
- كنج أبو صالح ٥٣
 كوباي دولن ٢٤٨
 كوبريلي زاده محمد فؤاد ١٥٥
 كوزمين ١٢٢
 كولوفكوف ١١٦
 كونراد سميث ١٣٣
 كيتاني (ليون)
 كيرلس - البطريرك ٩٠
 كينبور ١٤٢، ١٧٢، ١٧٤
- (ل)
- لاقرانتين زافرانتيش زويفا ٩٥
 لامانس ١٠، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٧، ١٥٨، ١٥٩، ١٦١،
 ١٧٨، ٢١٦
- لبيب غاسية ١١١
 لبوا لكتوتت ٢٨، ٢٩
 لحد خاطر ٧٣
 لوثروب سنودارد ٢٦٠
 لودميلا الجوزي ٩٦
 لويد جورج ٢٥-٢٦
 لويس أميلي سيديو ٢٦٠
 لويس بلان - المؤرخ الفرنسي ٤٥
 لويس شينخو اليسوعي ١١٩، ١٥٨
 لويس ماسينيون ١٦٠
 لينين (فلاديمير)
 ليود ميلالو رنيشفا زويفا ٩٥
 ليودميلا زديفا ٩٦
 ليون كيتاني ١٥٦، ١٦١
- (م)
- مجنون ليلي ١١٢، ١٤١

- محمد عبده - الشيخ ١١٢، ١٢٣
محمد علي باشا ٢٧، ٢٨، ٣٧، ٣٨، ٣٩، ٤٠، ٤١، ٤٢،
٤٤، ٤٥، ٤٦، ٤٧، ٤٨، ٤٩، ٢٦١
محمد علي الطاهر ١٠٥، ٢٢١
محمد عياد الطنطاوي - الشيخ ١٢١
محمد فريد المحامي ٣٢
محمد فريد وجدي ٢٦١
محمد فضولي ٢٣٣
محمد كرد علي ١١٩
محمد محمد شراب ٧٧، ٢٦٣
محمود إسماعيل - الدكتور ٢٦٠
محمود الثاني - السلطان ٣٦، ٣٧، ٤١، ٤٦، ٤٧
محمود الحلبي ٢٣٢، ٢٣٤
محمود درويش ١٦
محيي الدين الجزائري ٥٤
مختير غوش ٢٣٢
مدحت باشا ٦٠
مراد الثالث - السلطان ٣٤
مراد الخامس - السلطان ٦٠
مروان الأول ١٥٩
مروانوس الكرجي ٨٧
مريم الجوزي ٨٣
المسعودي ١٥٤، ١٥٥، ١٦٨، ١٩٣، ٢٦٠
مسلم ٢٦١
مسيمة الكذاب ١٣٩، ٢١٨، ٢١٩
المسيح عليه السلام ٤٠، ٦٧، ٨٦
مصطفى الباي الحلبي ١٦٢
مصطفى الحسني الجزائري ٥٤
مصطفى صادق الرافعي ١٢٦
مصطفى الغلاييني ١١٣
مصطفى كامل ١٢٣
مصطفى لطفي المنفلوطي ١٢٦
مطهر بن طاهر المقدسي ١٥٤، ١٩٦، ١٩٨
معاوية - الخليفة الأموي ١٥٨، ١٥٩، ١٦٦، ١٩٠
المعتصم ١٦٤، ١٩٤، ١٩٩، ٢٠٠
المعري = انظر: أبو العلاء المعري
المغيرة بن سعيد العجلي ١٦٦
المغيرة بن الوليد ١٤٧
المقدسي - أبو عبد الله محمد بن أحمد ١٦٠
المقوقس ٢٠٩
مكار يوس - البطريرك ٧٩، ١٢١، ١٣٧
مكسيم غوركي ١٢٢
المنسينيور غريغور يوس ٩٠
المهدي ٢١٢
المهدي - إمام الزمان ٢٠٣
المهدي العباسي - الخليفة ١١٧
الموفق - الخليفة العباسي ١٣٣
مولر ١٥٣، ١٥٤، ١٥٥
مولر بيكر ١٥٣
موير ٢٠٨
ميخائيل إسكندر ٧٧
ميخائيل بن تيوفيل ١٩٤
ميخائيل الدمشقي ٢٥٩
ميخائيل السرياني ١٥٣
ميخائيل نعيمة ٧٧، ١٢٣
ميسرة ١٨٠
ميكافيلي ١٧٣
ميكال بان دي خوييه ١٠، ١٥٤، ١٥٥، ١٦٠، ١٦١،
٢٦٢

هاري ٢٥٩	(ن)
هازارد ٢٥٩	نابليون بونابرت ٣٥، ٣٦، ١٠٤
هربرت صموئيل ٦٤، ١١٠	نابليون الثالث ٥٤
هربرت فيشر ٢٥٩	ناتالي ٩٧
هردر ١٧٣	ناجي علوش ١٤، ٢٠٧
هرقل ١٨٩	نادر العطار - الدكتور ٥١، ٢٦٠
هلال الصابئ ١٥٥	ناصر خسرو ١٥٥، ١٦٩، ٢٠٥، ٢٦١
هنري لامانس ١١٩، ١٧٥، ١٧٦، ١٧٨، ١٨٣، ١٩٠، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٧	ناصر الدين الأسد - الدكتور ٨، ٩، ٢٦٣
هيلانة جوزي ١٠، ٨٣	ناصر عيسى ٧٧
(و)	ناصر أبي النكد ٥١
الواثق ١٩٤	النبي ﷺ = انظر: رسول الله ﷺ
واثلة بن الأسقع ١٤٩	نجلاء عز الدين - الدكتور ٢٦١
الواقدي ١٥٧، ٢١٤	نجيب باشا ٥١
وايزمن ٦٤	نجيب عقيقي ١٥٦، ١٥٧
وصفي عنبتاوي ١١١	نسيب عريضة ٧٧
الوصي = علي بن أبي طالب ١٦٦	نصر الله فلسفي ٦٦، ٢٥٩
الوليد بن عبد الملك ١٩٢	نصري الجوزي ١٣، ٨٣، ٩٧، ٩٨، ١٠٢، ١٠٤، ١٠٨، ١٤١، ٢٤٣
الوليد بن المغيرة ١٤٧	نعمة الصباغ ٧٧
(ي)	نقولا عنصر ١٠، ٨٣
ي. أ. بيلبايف ٢٢٨	نهار بن عنفوة = الرجال ٢١٨
ياسر عرفات ١٦	نورمان بينز ٢١١
ياقوت الحموي ١٤٠، ١٤١، ٢٣٢، ٢٦٣	نولدكه (تيودور)
يحيى بن عبد الله ١٩٣	النووي ٢٦١
يحيى خشاب - الدكتور ١٦٩	النويري ٢٣٥
يزيد الأول ١٥٩	نيتشه ١٧٤
يزيد بن معاوية ٢١٣	نيقولا تشوفين ١٠٤
يعقوب صروف ٢٥	(هـ)
يعقوب صنوع = أبو نظارة	هارون الرشيد - الخليفة العباسي ٩٨، ١١٨، ١٩٢، ١٩٣، ٢٠٩، ٢١١
يعقوب العودات ١١٦، ٢٦٢	

يوسف حنا ١٢٥	يعقوب فراج ١٢
يوسف العيسى ١٢	اليقوي ١٢٦، ١٤٠، ١٥٣، ١٥٤، ١٦٠، ١٦٢، ١٦٣،
يوسف النبهاني ٧٧	٢٦٠
يوليوس فلهاوزن (فلهاوزن)	يوسف أسعد داغر ٨، ٧٧
يونس ٢١٥، ٢١٦	يوسف بلوخ ١٣٤
يوهان ديغالو نيفونتيبيوس ٢٣٢	يوسف بن تغري بردي ٢٦٣
يوهان شيلنبرغ ٢٣٢	يوسف حداد ١١١
يشبك - الأمير ٢٣٢، ٢٣٤	



مسرد الأماكن

الأرض المحتلة ١٤	(أ)
الأرض المقدسة ٢٨، ٥٨، ٦٦، ٦٨، ٨٧	آسية ١٩، ٢٨، ٢٣٢، ٢٣٨
أرض الميعاد ٦٨	آسية الصغرى ٣٢، ٣٥، ٦٩، ٢٣١
أرمينية ١٦٢، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٨، ٢٣١	آسية الغربية ٣٢
أريحا ٢٣، ٦٣، ١١٦	آسية الوسطى ٢٣٠، ٢٣٢
إزمير ٦٠، ١١٨	أبي قبر ٣٥، ٣٧
إسبانية ١٦٠، ١٨٩	الاتحاد السوفياتي ٩١، ٩٤، ٩٦، ١١٨، ٢٢٧، ٢٢٨،
استارا ٢٢٧، ٢٣٦	٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٣٨
الأستانة ١١٥	اتشكا ٢٤٤
اسطنبول ٢٥، ٢٦، ٢٨، ٣٦، ٤٢، ٤٧، ٥١، ٥٥،	أجاسيو (كورسيكا) ٣٥
١٥٥، ١٥٠، ١١٨، ١٠٦، ٦١، ٦٠، ٥٦	أحد ١٨٤، ١٨٦
إسكندرون ٢٣٢	الإحساء ١٦٧، ١٧٠، ١٧١
الأسكندرونة - ميناء ٤٧	إدارة معارف فلسطين ١١١
الإسكندرية ٣٥، ٤٩	أديرة القدس ٤١
أسوار عكا ٣٥	الأدرياتيك ٣٣
أشروسنة ١٩٤	أديسا ١١٨
أصبهان ١٦٣، ١٦٨	أذربيجان ٦، ١٥، ٨٣، ٩٣، ١٢٧، ١٤٠، ١٤١، ١٦٢،
أضنة ٤٦، ٤٨	١٦٣، ١٦٨، ٢٢٧، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٣،
إفريقية ١٩، ٢٨، ٢٢٩، ٢٣٢، ٢٣٨	٢٣٤، ٢٣٧، ٢٣٩
الأقاليم العثمانية ٦١	الأراضي العربية ١١٣
الأقطار الإسلامية ٢٣٢	أربوجان ١٦٨
الأقطار العربية ٣٣، ٣٤، ٣٥، ٤٤، ٤٩	الأردن ٨، ١٩، ٢٥، ٢٣٨، ٢٦٣
أكاديمية بطرسبرغ ١٣٨، ١٣٩، ١٥٥	أرض الأعاجم ١٦٨
الأكاديمية الدينية بموسكو = الأكاديمية الروحانية ٩١	أرض الروم ١٩٤
الأكاديمية الروسية للمعلوم ١١٧	

أوربة الغربية ١٤٦	أكاديمية العلوم البروسيانية ١٣٧، ١٣٥
أورغنغ ٢٣٩	أكاديمية العلوم في أذربيجان ٦، ١٥، ١٣٩، ١٤١،
أوزبكستان ٢٣٩	٢٢٧، ٢٢٩، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٧، ٢٣٨،
أوكرانيا ١١٨، ٢٢٨	٢٣٩
إيالة صيدا ٤٠	أكاديمية العلوم في باكو ٢٤٠
إيران ٦٦، ٩٣، ١٥٦، ٢٣١، ٢٥٩	أكاديمية مدينة قازان ٩١، ١٤٠
إيطالية ٣٣، ٣٥، ٦٥، ٦٩، ١٥٠	أكاديمية لينينغراد ١٣٨، ٢١٤، ٢١٥
(ب)	ألمانية ٦٩، ٢٣٦
باب الأسباط ١١٥	ألمانية الشرقية ٢٢٨
باب الخليل في القدس ١١، ١٢٦	الأماكن المسيحية المقدسة ٣٣
بابل ١٤٣	الأماكن المقدسة (المسيحية واليهودية) ٢٨
بادية الشام ٢٥	الإمبراطورية البيزنطية ٢١١
باريس ٥٢، ٦٠، ١١٥، ١٢٣، ١٥٨، ٢٥٧	إمبراطورية الرومان ٢٠٨
باكو ١٤، ١٥، ٨٣، ٩١، ٩٣، ٩٤، ٩٥، ٩٦، ٩٧،	الإمبراطورية العثمانية ٣٢، ٣٣، ٣٧، ٣٩، ٥٢، ٨٦
٩٨، ١٠٥، ١٣٦، ١٣٧، ١٣٩، ٢٢٠، ٢٢٧،	الإمبراطورية العربية ١٥١، ١٥٢، ١٨٨، ١٩٠، ١٩١،
٢٤٠، ٢٤٤، ٢٤٨، ٢٢١	الإمبراطورية الفارسية ١٥٠
بانكوف ٢٢٨، ٢٣٦	أمريكة ٦٧، ٦٩، ١٢٣
بانياس ٢٥	أمريكة الجنوبية ٦٩
بحر آرال ٢٣٩	الأناضول ٣٨، ٤٣
البحر الأحمر ٢٧، ٤٨، ٦٥	الأندلس ٤٢، ٧٩، ١٦٠، ١٩٢
البحر الأسود ٨٧، ١١٨	أنطاكية ٤٥، ١٢١
بحر الخزر (قزوين) ٨٣	أنقرة ٢٣٧
البحر المتوسط ١٩، ٢٠، ٢١، ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٣٢،	إنكلترا ٢٥، ٣٤، ٤٧، ٤٨، ٥١، ٥٢، ٥٥، ٥٧، ٦٧،
٣٥، ٤٨، ٤٩، ٦٧، ٦٩	٦٨، ٦٩، ١٣٤
البحر الميت ١٩، ٢٢، ٢٨، ٣٢، ٤٨	أنهار فلسطين ٢٢
البحرين ١٣٣، ١٦٠، ١٦٧، ١٧٠، ٢٠٤، ٢٠٥	الأهرام ٣٥
بحيرة طبرية ١٩، ٢٢، ٢٧، ٤٨	الأهواز ١٩٩
بخارى ١٢١	أورانتيس = حوران ١٤٠
بدر ١٤٧، ١٨٤، ١٨٥	أوربة ١٠، ٤٢، ٤٩، ٦٠، ٦٦، ٦٨، ٦٩، ١٤٣، ١٤٥،
بذين ٢٠٠	١٤٦، ٢٠٦، ٢٣٢

البر الإفريقي ٤٢	بلاد عبر القوقاز ١٣٩، ١٤٠، ١٤١
البرج ١٦٨	بلاد القوقاز ١٤١
برج داود ٨٧	بلاد ما وراء النهر ١٩٤
برزند ١٦٣	بلاد الكرج ٧٩
برلين ٦٢، ٦٣، ١٣٥، ١٣٧، ٢٢٨، ٢٣٦، ٢٣٩	بلدان الشرق الداخلية ٦٥
بروسية ٤٧، ٤٨، ٦٧	البلدان العربية ٣٤، ٣٩
بروكسيل ١٣٤	بلجيكا ١٥٨
بريطانية ٢٤، ٣٤، ٣٥، ١١٠	بلغارية ١٠٤
بطرسبرغ ٢٥، ١٢٠، ١٢١، ١٣٩، ١٧٥	البلقاء ٢٥٦
بطريكية الروم الأرثوذكس ٨٤	البلقان ٦١
بطريكية الروم الأرثوذكس بالقدس ٨٤، ٨٥	البندقية ٢٣، ٦٥
بغداد ٦٠، ١١٠، ١١٧، ١٢٢، ١٥٠، ١٦٠، ١٦٣	بولاق ٢٦٢
١٦٤، ١٦٨، ١٩٣، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٥، ٢٣٤	بولونية ٢٢٨
٢٥٠	بيت جالا ٧٧
البقاع ٥٥	البيت الحرام ٢٠٢
البلاد الإسلامية ١٣٣	بيت الدين ٥٣
بلاد الروم ١٦٥، ١٩٧، ٢٠٠	بيت لحم ٢٢، ٣٧، ٥١، ٦٣، ٧٣، ٧٧، ٢٥٥
البلاد السورية ٤٥	بيت مري ١٢٤
بلاد السيران ١٦٨	بيت المقدس (القدس) ٩٠، ١٠٥، ١٢٥
بلاد السيروان ١٦٨	بيره جك (البيير) ٤٧
بلاد الشام ١١، ١٩، ٢٤، ٣٢، ٥٠، ٥١، ٥٧، ٥٨	بيسان ٢٣، ٦٣
٢٦٠، ٢٥٩، ١١٣، ٧٢، ٦٩، ٦٦، ٦٥، ٦٤	بئر السبع ٢٠، ٢٣، ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٦٣، ٢٥٦
بلاد الشرق ١٤٦	بيروت ١٤، ٢٥، ٢٨، ٣٢، ٣٦، ٤٥، ٥٢، ٥٥، ٥٦
بلاد شرقي الأردن ٢٦	٥٧، ٦٢، ١٠٦، ١١١، ١١٢، ١١٣، ١١٦، ١١٩
البلاد الشرقية ١٤٦	١٢٤، ١٣٥، ١٣٧، ١٤٢، ١٥٧، ١٥٨، ١٥٩
بلاد العرب ١٤٠، ٢٦٤	١٦٢، ١٦٣، ١٧٤، ١٨٩، ٢٠٧، ٢١١، ٢٥٩
البلاد العربية ٣٢، ٣٨، ٥٨، ٦٦، ١٤٥، ١٤٨، ١٧٦	٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٤

جبال الأمانوس ٤٢	(ت)	التركستان ١٠٣، ١٢١
جبال الجليل ٢١		تركية ٦٠، ٦٢
جبال الخليل ٢٢		تفليس ٨٧، ١٢٩، ١٦٣
جبال طوروس ٤٢		تل القاضي (دان) ٢٥
جبال فلسطين ٢١		تلمسان ١٦٠
جبال القدس ٢٢		
جبال نابلس ٢١	(ث)	
جبال نابلس والقدس والخليل ٢١		الثورة - مدينة ٧
جبل تل العاصور ٢٢		
جبل الجرمق ٢١	(ج)	
جبل حبشي ١٧٧		جامعة أذربيجان ٩٣، ٩٦، ٩٧، ٢٤٨
جبل الزيتون - الطور ٢٢		الجامعة الأردنية ٢٤، ٦٧، ٢٦٠
جبل الشيخ ٢٢		الجامعة الأزهر ١٠٦، ١١٩
جبل عيبال ٢١		جامعة ستراسبورغ ١٥٩
جبل طارق ٤٢		جامعة اسطنبول ١٥٥
جبل طابور ٢١، ٣٥		الجامعة الأميركية ١١١، ١٢٤، ١٣٧، ٢١١
جبل الطور : جبل الزيتون		جامعة باكو ٩٣، ١٣٥
جبل الكرمل ٢١		جامعة بطرسبرغ ١٢٠
جبل لبنان ٢٨، ٥٠، ٥١، ٥٦، ٥٧، ٥٨، ١٣٦		جامعة بيروت الأميركية ١٣٥
جبل المكبر ٢٢		جامعة جرايفستالد ١٥٧
جبل ١٦٤		جامعة جيتنجن ١٥٧، ١٥٩
جدة ٦٦، ٢١٦		جامعة حلب ٢٥١
جرزان ١٦٣		جامعة دمشق ٦٥، ٢٦٠
الجزائر ٣٢		جامعة الدول العربية ٢٦٣
جزين ٥٣		جامعة سان بطرسبرغ ١١٦، ١١٨
الجزيرة الخضراء ٤٢		جامعة فؤاد الأول ٢٦٣
الجزيرة السورية ٤٧		جامعة قازان ٩٣، ١٠١
الجزيرة السورية الفراتية ١١٩		جامعة لينينغراد ٩٨، ١٢١
جزيرة العرب ١٥٠، ١٨٨، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢١٧، ٢١٨		جامعة ماربورغ ١٥٧
الجزيرة العربية ٢٨، ٥٠، ١٤٨، ١٥٨، ٢٠٧		الجامعة المصرية ١٢٣
		جامعة اليرموك ٢٥٠

- جزيرة القديسة هيلانة ٣٥
الجليل ٦٣، ٣٥
الجليل الأدنى ٢١
الجليل الأعلى ٢١
جنيف ١١٥
جمعية الآثار ١٢٠
جمعية الاتحاد والترقي ١٠٩
جمعية الإخاء الأرثوذكسي ١٠٩
الجمعية التاريخية التركية ٢٣٨
جمعية زهرة الآداب ١٠٩
الجمعية السورية الأرثوذكسية ١١٠
جمعية الصداقة الأذربيجانية- الألمانية ٢٣٤
جمعية الصداقة السوفيتية العربية ٢٣٤
جمعية الصداقة مع الشعوب العربية ٢٣٨
جمعية فلسطين ١٢٠
جمهوريات الاتحاد السوفياتي ٨٧
الجمهورية البحرية ٦٥
جمهورية أذربيجان ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٣٨
جمهورية أوزبكستان ٢٣٩
الجمهورية العربية ٢٠٥
جمهورية لتوانيا ١٠٢
جنوبي سورية ٣٦، ٤٨
جنوبي شرق الأردن ٢٦
جنين ٢٢، ٦٣
جورجيا ١٢٩
جورجية ٢٣، ٢٣١
- الحدود السورية ١٩
الحدود السورية والأردنية ٢٢
حدود فلسطين ٢٧
الحدود اللبنانية ٢١
الحدود المصرية ١٩
الحديبية ١٨٦، ١٨٧، ٢١٧، ٢١٨
الحرمين الشريفين ٢٠٢
حطين ١١٣
حلب ٤٥، ٤٧، ٦٦، ١١٣
حاة ١٢٢
حصص ١٨٨، ١٨٩، ٢١١، ٢٦١
الحمّة - بلدة ١٩
حوران ٥٣، ٥٦، ١٤٠
حوض البحر المتوسط ٦٧
الخيرة ٢٠٩
حيفا ١٤، ٢١، ٣٥، ٥٨، ٦٣، ٧٣، ٢٥٥
- (خ)
خراسان ١٦٨
الخلافة العربية الإسلامية ١٩١
خليج الإسكندرون ٢٨
خليج السويس ٢٨
الخليج العربي ٦٥
خليج العقبة ١٩، ٢٠، ٢٢، ٢٧، ٢٢
خليج عكا ٢٠، ٣٥
الجليل ٢١، ٢٢، ٤٤، ٦٣، ٧٠، ٧٣، ٢٥٥، ٢٥٧
خنت ١٥٨
الخندق ٢٠٩
خوارزم ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٩
خوارزمشاه ٢٣١
- (ح)
حاصبيا ٥٣، ٥٥
الحجاز ٢٧، ١١٠
الحدود البيزنطية ١٩٤

دار المأمون بدمشق ٧٧، ٢٦٣	(٥)	دار الآفاق الجديدة ٢٦٢
الدار المصرية ٢٦٠		دار ابن خلدون ٢٦٢
دار المعارف ١٥٧، ٢٦٠		دار إحياء التراث العربي ١٨٩
دار المعارف بمصر ٢٥٩، ٢٦١		دار إحياء الكتب العربية ٢٦١، ٢٦٣
دار المعرفة ١٦٢، ٢٦١، ٢٦٢		دار الأمانة ٢٥٩
دار المعلمات الروسية ٧٧		دار البيان ٢٦١
دار المعلمين بالقدس ١١٠، ١٢٤		دار التقدم ٢٦١، ٢٦٣
دار المعلمين الروسية ٧٧		دار الثقافة بمصر ٢٥٩
دار مكتبة الحياة ٢٦٢		دار الجليل ١٤٢، ١٥١
دار النفائس ٣٢		دار حسان ٢٥٩
دار النهضة العربية ٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٤		دار الحقيقة ٢٦٠
دار الهجرة ١٦٩		دار الدعوة والإرشاد ١٠٦
دار الهلال ٢٦٤		دار الروائع ١٤٢
دان ٢٥، ٢٦		دار صادر ٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٣، ٢٦٤
الدانوب = الطونة ٦٠		دار صادر ٢٦١، ٢٦٣، ٢٦٤
دائرة المعارف الإسلامية ١٥٢، ٢١٨		دار صعب ٢٦٢
دائرة المعارف الروسية ١٥٥		دار الطليعة ٢٠٧، ٢٦٠
درعا ١٤٠		دار العلم للملايين ١٠٣، ١٥٧، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦٣، ٢٦٤
دمشق ١٥، ٢٦، ٢٨، ٣٢، ٣٥، ٣٦، ٤٥، ٥١، ٥٣،		دار الفكر ١٨٩، ١٩٢، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٣
٥٤، ٥٥، ٥٦، ٥٨، ٦٢، ٧٧، ٨٧، ٩٧، ٩٨،		دار قتيبية ٢٥٩
١٠٨، ١١٠، ١١١، ١١٩، ١٢٠، ١٢٥، ١٤٠،		دار القدس ٢٦٢
١٩٢، ٢٥٩، ٢٦٢، ٢٦٤		دار القلم ١٧٤، ٢٦٠
دير الروم الأرثوذكس ٨٦، ٨٧، ٢٦٣		الدار القومية ٢١١
دير القمر ٥١، ٥٣، ٥٦		دار الكتاب الجديد ١٦٩، ٢٦١
دير الكرج ٨٧		دار الكتب العلمية ٢٥٩
دير كفتين ١٠، ٨٨، ٨٩، ٩٠		دار الكتب بمصر ٢٦٢
دير المصلبة ١٠، ١٣، ٨٧، ٩٠		دار الكتب الظاهرية الأهلية بدمشق ٨٧
الدول الأوربية ٣٣، ٣٤، ٤٦، ٤٩، ٥١، ٥٢، ٥٧		دار الكتب المصرية ١١٩
الدول الأوربية الكبرى ٦٧		دار لحد خاطر ٢٦٤
الدول الشرقية ١٤٣		

رفح ١٩، ٢٠	دول العرب ١١٢
الرقعة - محافظة ٧، ١٩٣	الدول الغربية ٨٦
الرملة ٢١، ٦٣، ٧٣، ٢٥٥، ٢٥٧	الدول الكبرى ٤٧، ٤٨، ٤٩، ٥١، ٥٢، ٥٣، ٥٥، ٥٧
روستوك ١٢١	دولة الأتابكة ٢٣٠، ٢٣٧
روسيية ١٠، ١٣، ٣٤، ٣٧، ٤٧، ٤٨، ٥٢، ٥٥، ٥٧،	الدولة الإسلامية ١٨٦، ١٩١
٦٧، ٧٦، ٧٧، ٩١، ١١٧، ١٢٧، ١٣٦، ١٤٦	الدولة الأموية ١٧٢، ١٨٨، ٢٠٨
٢٢١	دولة البرامكة ١٩٣
روسية البيضاء ٢٢٨	الدولة البيزنطية ١٥٠
روسية القيصرية ٨٦	دولة خوارزم شاه ٢٣٢
روما ٨٧، ١٥٠، ١٥٦، ١٥٨	الدولة الرومانية ١٥٠
رومانية ٦٩	دولة الروم البيزنطيين ١٩١
رومية ١٥٠	الدولة السلجوقية ٢٣١
الري ١٦٨	دولة شاهان خوارزم ٢٣٣
(ز)	الدولة الصفوية ٦٦
زحلة ٥٣، ١٣٧	الدولة العباسية ١٦٤، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٣
زردلف ١٦٨	الدولة العثمانية ٣٢، ٣٤، ٣٦، ٣٧، ٣٨، ٤٦، ٤٨،
زرأبي دلف ١٦٨	٥٠، ٥٢، ٥٧، ٦٠، ٦١، ٦٢، ٦٣، ٦٤، ٦٧،
زرمعقل ١٦٨	٧٦، ٦٨
الززين ١٦٨	الدولة العربية ١٥٧، ١٩١، ٢٠٨، ٢١١، ٢١٣، ٢٦٠،
(س)	الدولة العربية الإسلامية ١٩٩
ساحل آسية الصغرى الغربي ٦٩	(ر)
الساحل الإفريقي ٤٢	رأس طابا ٢٠
الساحل السوري ٥٥	رأس الكرمل ٢٠، ٢١
الساحل الشرقي للبحر المتوسط ٦٥	رأس الناقورة ١٩، ٢٠، ٢٧، ٢٨، ٤٨
سالونيك ٦٠، ٦١	راشيا ٥٣، ٥٥
سامرا - سامراء ١٦٤، ٢٠٠	رابطة المستشرقين ٢٢٨
سان بطرسبرغ ١١٧، ١١٨	رابطة مستشرقين عموم الاتحاد السوفيتي ٢٣٣
سبتة ٤٢	رام الله ٢٢، ٦٣
ستالينغراد ٢٣٦	الراين الأعلى ١٥٩
	رستاق الدرسنجاب ١٦٨

الشام ٣٧، ٣٨، ٥١، ٥٢، ٥٤، ٦٢، ١١٩، ١٢٥،	سفيح جبل لبنان ٢٨
٢٠٩، ١٨٠، ١٥٦	سلسلة جبال الأمانوس ٤٢
شبه جزيرة البلقان ١٠٤	سمرقند ١٩٤
شبه جزيرة العرب ٤٨	السند ١٨٩
الشرق ١٠، ٦٧، ٧٤، ٩٥، ١٠٣، ١١٨، ١٤٠، ١٤٢،	سنجق البلقاء ٢٦
٢٠٦، ١٧٢، ١٥٦، ١٤٦، ١٤٥، ١٤٤، ١٤٣	سنجق القدس ٢٦، ٢٧، ٢٨
الشرق الأدنى ٦٨، ١٤٠، ١٤٧، ٢٢٩	سنجق نابلس ٢٧
شرق الأردن ١٩، ٢٦	سهل الحولة ٢٢، ٢٣
الشرق الإسلامي ١١٧	سهل عكا ٢٠
الشرق الأوسط ٨٦، ٩٣، ٢٢٩	سهل مرج ابن عامر ٢١
الشرق العربي ١٠٩	سهول أنطاكية ٤٥
شقي أوربة ٤٢	السواحل العربية ٦٦
شعب أبي طالب ١٨٥	السودان ٣٨، ٣٩، ٤٩
شعيب ٢١٦	سوريا - القدس ١١٥
شواطئ مصر ٤٩	سورية ٧، ١٩، ٢٧، ٣٥، ٣٦، ٣٧، ٣٨، ٣٩، ٤٠،
(ص)	٤١، ٤٢، ٤٣، ٤٤، ٤٥، ٤٦، ٤٧، ٤٨، ٤٩،
صفد ٢٢، ٦٣، ٧٣، ٢٥٥	٥٠، ٥١، ٥٢، ٥٣، ٥٥، ٥٧، ٦٥، ٦٦، ٧٧،
الصفيرة ١٦٨	٩٣، ٩٨، ١٠٢، ١٠٣، ١١٠، ١١٨، ١٢٠، ١٣٧،
صور ٤٨	٢٢٣، ٢٦٠، ٢٦١
صيدا ٣٩، ٥٣	سورية الجنوبية ٢٧
(ض)	السويس ٢٧، ٢٨
الضفة اليبني لنهر الأردن ٢٧	سويسرا ٦٩، ١١٠
(ط)	سيناء ٢٧، ٢٨
الطائف ٦٠، ١٥٨	(ش)
طبرستان ١٩٤	شارع بندلي جوزي ١٦
طبرية ٢٣، ٦٣، ٧٣، ٢٥٥	شارع الملك جورج ٨٧
طرابلس الشام ١٠، ٣٦، ٩٠، ١١٧	الشاطئ الأندلسي ٤٢
طرابلس ليبيا ٢٦٣	الشاطئ الغربي للبحر الميت ٢٧
طرزسوس ٣٨	الشاطئ الغربي لخليج العقبة ٢٧

(ف)	طشقند ١٠٢، ١٠٣
الثاتيكان ٨٦	طوكيو ٢٣٤، ٢٣٨
فارس ٦٥، ١٦٠، ١٦٧، ١٩٩، ٢١٢، ٢٢٣	طولكرم ٢١، ٦٣
فرساي ٢٥، ٢٦	طيسفون ١٥٠
فرعانة ١٩٤	(ع)
فرنسة ٢٤، ٢٥، ٣٣، ٣٤، ٣٥، ٤٧، ٤٨، ٤٩، ٥١،	العالم الإسلامي ٢٦٠
٥٢، ٥٣، ٥٥، ٥٧، ٦٧، ٦٩، ٨٦، ١١٢، ١٢٣،	العالم العربي ١٢٣، ١٧٦، ٢٦١
١٣٤	عتليت ٦٢
الفريكة ١١٢	عدن ٦٦
فلسطين ٨، ١٢، ١٣، ١٤، ١٥، ١٦، ١٩، ٢٠، ٢١،	العراق ٢٦، ٣٢، ٣٩، ٩٣، ١١٠، ١١٣، ١١٨، ١٣٣،
٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٣٢، ٣٤،	١٥٩، ١٦٤، ٢١٢، ٢١٣، ٢٢٣، ٢٣١،
٣٦، ٣٩، ٤٠، ٤١، ٤٤، ٤٧، ٤٩، ٥٨، ٦١،	العريش ٢٧، ٣٥
٦٢، ٦٣، ٦٤، ٦٧، ٦٨، ٦٩، ٧١، ٧٣، ٧٥،	العقبة ١٩، ٢٣، ٢٧، ٤٨، ١٨١
٧٦، ٧٧، ٧٨، ٨٤، ٩٠، ٩٣، ٩٥، ٩٨، ١٠٢،	العقدانية ١٦٩، ١٧٠
١٠٣، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٦، ١٠٧، ١٠٨، ١٠٩،	عكا ٢١، ٢٧، ٢٨، ٣٥، ٣٦، ٣٨، ٣٩، ٤٠، ٤١، ٤٨،
١١٠، ١١١، ١١٢، ١١٣، ١١٥، ١١٦، ١٢٠،	٦٣، ٧٣، ٧٥، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٦٤،
٢٥٥، ٢٥٦، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٣،	عمّان ١٦٧، ٢٠٤، ٢٠٥
قلنا ١٠٢، ١٠٣	عمّان ١٥، ١٦، ٢٤، ٦٧، ١١٦، ٢٦٠، ٢٦٢،
قبينة ٦٨، ١٥٩	عمد رفح ٢٧
(ق)	عمورية ٧
قازان ٩١، ٩٣، ٩٤، ٩٦، ٩٧، ٩٨، ١٠١، ١٠٢،	عين دارا ٥٣
١٣٦، ١٣٩، ١٤٠، ٢١٥، ٢٤٨،	(غ)
قاشان ١٦٨	الغرب ١٠، ٦٥، ١٤٢، ١٤٣، ١٤٦، ١٥٦، ١٧٢، ٢١٤،
القاهرة ١٥، ٢٥، ٢٧، ٣٧، ٦٣، ٧٩، ١٠٥، ١١٠،	غر ينتش ١٩
١١١، ١١٢، ١٢٠، ١٢٣، ١٢٦، ١٣٩، ١٦٢،	غزة ٢٠، ٢١، ٢٧، ٣٥، ٦٣، ١١٥، ١٢٤، ٢١٤،
٢٠٩، ٢١٤، ٢٢١، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦٢، ٢٦٣،	٢٥٥، ٢٥٧
٢٦٤	غزير - قرية ٣٦
القدس ١٠، ١١، ١٤، ١٥، ١٦، ٢١، ٢٢، ٢٧، ٢٨،	غور فلسطين ٢٣
٣٧، ٤٠، ٤١، ٤٤، ٥١، ٥٨، ٦٢، ٦٣، ٦٧،	غيوكتشاي ٢٢٧، ٢٣٦،
٦٩، ٧١، ٧٣، ٧٥، ٧٦، ٧٧، ٧٨، ٧٩، ٨٣،	

كفر حارم ١١٣	٨٤ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٨
كفتين (دير كفتين)	٩٩ ، ١٠٢ ، ١٠٤ ، ١٠٦ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٠
الكلية الإنكليزية ١٠٩	١١١ ، ١١٢ ، ١١٣ ، ١١٥ ، ١١٦ ، ١٢٤ ، ١٢٥
كلية تيراسانطة ٨٧	١٢٦ ، ١٣٦ ، ١٤٢ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧
كلية التنقيب الجيولوجي ٩٦	٢٥٨ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣
كلية الجيولوجيا ٩٦	٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٧ ، ٢٤٨
كلية الدعوة الإسلامية ٢٦٣	القرى العربية ١١٥
كلية الرياضيات الفيزيائية ٩٦	القسطنطينية ٤٢ ، ٨٧ ، ١٥٠ ، ١٩٤
الكلية الشرقية ٩٣	قسم ١٦٨
الكلية الصلاحية ١١٥	القصور الحجر بالشام ٢٠٩
الكلية العربية ١٢٤	قصور كسرى ٢٠٩
كلية قازان ١٠٢	القطيف ٢٠٤
كلية كيروف ٢٣٧	القفقاس ٢٢٨ ، ٢٣٠ ، ٢٣٢ ، ٢٣٤ ، ٢٣٦
كلية اللغات الشرقية ١١٦ ، ١٢١	قلعة دمشق ٥٤
كلية ليدن ١٣٦	قلعة شيزر ١٢٢
كلية النهضة ١١١	قلعة الطائف ٦٠
كلية اليسوعيين ١١٨ ، ١٥٨	قلعة القدس ٩٩
كنيسة أورشليم ١٣٦	قم ١٦٨
كنيسة قبر السيد المسيح ٤٠	قهوة الصعاليك ١١ ، ١٣ ، ١٤
كنيسة المسكوبية ٨٤	القوقاز ١٢١
كنيسة المهدي ٥١	قونية ٤٢ ، ٤٦ ، ٢٣٤
كوتاهية ٢٨ ، ٤٢ ، ٤٦	(ك)
كوذشت ١٦٨	كاندي ٤٨
(ل)	الكرج = جورجيا ٨٧ ، ١٣٧
لبنان ١٩ ، ٣٦ ، ٤١ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٦٩	كرج أبي ركث ١٦٨
٩٠ ، ٩٣ ، ١١١ ، ١١٢ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢٤	كرج أبي دلف ١٦٨
١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٤٤ ، ٢٥٩	الكرمل ١١٥
اللد ٢١ ، ٦٣ ، ٧٣ ، ٢٥٧	كريت ٤٨ ، ٥٠
لشبونة ٦٥ ، ٦٦	كسروان ٥٢
لندن ٢٦ ، ٢٧ ، ٤٨ ، ٦٠ ، ٦٨ ، ٩٥ ، ١٣٤	الكعبة المشرفة ١٧٦ ، ١٨١ ، ١٨٢ ، ١٨٥ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣

- اللواء الجنوبي في فلسطين ٦٣
اللواء الشمالي في فلسطين ٦٣
لواء القدس ٣٢، ٦٣، ١١٠
ليبزغ ١٢٠
ليدن ١٢٠، ١٣٦، ١٥٩
لينينغراد ٩٧، ٩٨، ١١٦، ١٢١، ١٤٠
(م)
ماردين ١١٩
ماسبندان ١٦٣، ١٦٨
ماه البصرة ١٦٨
ماه الكوفة ١٦٨
المالحة ٩٠
مالطا ٣٦
ما وراء القفقاس ٢٣١
المتحف الآسيوي ١١٧، ١٢١
المتحف الإسلامي ١١٦
متحف باكو ٢٤١
المتحف البريطاني ٢٦
متصرفية القدس ٧٥
المتن ٥٣
مجدل شمس ٥٣
المجلس الاستشاري لدائرة الآثار ١١٦
المجلس الإسلامي الأعلى ١١٦
مجلس الأعيان الأردني ١١٦
مجلس بلدية القدس ١١٦
مجلس التعليم العالي ١١٦
مجلس السوفييت الأعلى ٢٢٨، ٢٣٥، ٢٣٨
المجلس العلمي لمسائل تاريخ المجتمعات ٢٣٣
المجمع التاريخي التركي ٢٣٤، ٢٣٧
المجمع العلمي العربي بدمشق ١١١، ١١٢، ١١٣، ١١٩
١٢٠، ١٢٦
- مجمع اللغة العربية بالقاهرة ١١١، ١٢٣، ١٢٦
محطة القطارات بباكو ٢٤١
المختارة ١٣٣
المدارس الروسية ٧٧
المدائن ١٥٠
المدرسة الأمريكية ١٢٤
المدرسة البطريركية ببيروت ١١٢
مدرسة الحقوق ٩٥
المدرسة الدستورية ١١٠، ١١٣
مدرسة سان جورج ٩٨، ١٢٤
مدرسة صهيون الإنكليزية ١٠٩
مدرسة العبيدية ١١٠
مدرسة الفريز ٩٠
مدرسة قازان المتوسطة مدرسة المطران بالقدس ١٢٤
المدن الأذربيجانية ٢٣٢
مدن العرب ١٧٦
المدينة المنورة ١٤٨، ١٥٧، ١٦٦، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٤،
١٨٥، ١٨٦، ١٨٧، ١٩٢، ٢٠٢، ٢٠٩، ٢١٧
مراكش ١٢٢
مرج دابق ٦٦
مركز الآثار الفلسطيني ٢٦١
المسجد الأقصى ١١٦
مسجد عمر ٤٠
مصر ٢٠، ٢٧، ٣٢، ٣٤، ٣٥، ٣٧، ٣٨، ٣٩، ٤٦،
٤٨، ٤٩، ٦٣، ٦٥، ٦٦، ٦٩، ٩٣، ١٠٢، ١٠٦،
١١٠، ١١٠، ١١٣، ١١٧، ١١٨، ١١٩، ١٢٠،
١٢٣، ١٢٥، ١٢٦، ١٣٨، ١٥٦، ١٨٩، ٢٠٩،
٢١٢، ٢٢٣، ٢٣٥، ٢٣٨، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦٣
مضيق البوسفور ١٥٠
مضيق جبل طارق ٤٢

- مضيق هرمنز ٦٦
 مكتبة منشن (ميونخ) ١١٨
 مطبعة الأندلس ٢٦١
 مكتبة نهضة مصر ٢٦٢
 المطبعة التجارية بالقدس ٢٦٢
 مكتبة النهضة المصرية ٢١٤، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦٢
 المطبعة السلفية ٢٠٩، ٢٦٢
 مكدونيا ١٠٤
 مكتبة الكاثوليكية ١٣٥، ١٣٧
 مكة المكرمة ٢٧، ٣٢، ١٣٣، ١٤٧، ١٤٨، ١٥٨
 المطبعة المصرية ٢٦١
 ١٧٦، ١٧٧، ١٧٨، ١٨٠، ١٨١، ١٨٢، ١٨٣
 المطلقة ١٩، ٢٢، ٢٥
 ١٨٤، ١٨٥، ١٨٦، ١٨٧، ١٩٢، ٢٠٢، ٢١٦
 المعاهد الروسية ٧٧
 المملكة الأردنية الهاشمية ١٥
 معرة النعمان ١١٨، ١٢٠
 مملكة السرب ٦٨
 معهد أذربيجان الصناعي ٩٦
 منطقة الغور ٢٢
 معهد البحوث والدراسات العربية ٢٦٢
 منظمة المدن العربية ٢٦٢
 معهد البوليتكنيك في أذربيجان ٩٦
 المنيعه ١٣٣
 معهد الدراسات الشرقية ٢٣٣
 منين ١٢٥
 المعهد الديني ١٣
 مهرجان ١٦٣
 المعهد الشرقي ١١٩
 مهرجان فنك ١٦٨
 معهد موسكو للدراسات الشرقية ٢٢٨، ٢٣٦
 مهرجان قذف ١٦٨
 المغرب ١٦٠
 مهرجان نقذق ١٦٣
 المغرب الأقصى ١١٢
 الموانئ العثمانية ٣٣
 المقاطعات الشرقية للخلافة الإسلامية ٦
 الموانئ الهندية ٦٥
 مقبرة ماملا (مأمن الله) ٨٧
 مؤسسة آل البيت ٢٦٢
 مقهى الصعاليك = قهوة الصعاليك ١٢٦
 مؤسسة الأبحاث العربية ٢٦٠
 مكتب الإعلام الأميركي ٩٨
 مؤسسة الرسالة ٢٥٩
 المكتبة الأميركية بدمشق ٩٨
 المؤسسة المصرية العامة ٢٦٣
 المكتبة الإيطالية ١٥٦
 موسكو ١٣، ٩١، ٩٤، ٩٧، ١٢١، ١٢٢، ٢٢٨، ٢٣٢
 المكتبة التجارية الكبرى ١١٧، ٢٥٩، ٢٦٢
 ٢٣٦، ٢٦١، ٢٦٣
 مكتبة الجامع الأزهر ١١٩
 مولدافية ٢٢٨
 المكتبة العربية ٢٦١
 تونبليه ١١٢، ١٢٣
 المكتبة العصرية ١٦٨، ٢٦٠
 المياه الهندية ٦٥
 مكتبة المسجد الأقصى ١١٦
 ميناء يافا ٦٩
 مكتبة المعارف ٢٥٩
 ميونخ ١١٨
 مكتبة معهد روزن ١٢٠

هولندة ١٢٠	(ن)
هيراكليون ٤٨	نابلس ٢١، ٢٢، ٢٦، ٢٨، ٣٢، ٣٧، ٤٠، ٤٤، ٤٤، ٦٣،
(و)	٧٠، ٧٥، ٧٧، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٦٤،
واترلو ٣٥	النادي الرياضي العربي ٩٨
وادي التيم ٥٣	الناصره ٢٢، ٦٣، ٧٣، ٧٧، ٢٥٥،
وادي عربة ١٩، ٢٢، ٣٢	نجد ١١٢، ١٨١،
وادي العريش ٣٢	النخل ٢٧
وادي المخازن ٧	نصيبين ٤٧
وارسو ٩٦، ٢٣٩	النقب ٢٧، ٢٨،
الوطن العربي ١٢-١٣، ١٩، ٦٦	النسة ٤٧، ٤٨، ٥٥، ٦٧، ٦٩،
الوطن القومي اليهودي ٦٤	نهر الأردن ١٩، ٢١، ٢٢، ٢٥، ٢٦، ٢٨، ٣٢، ٤٨،
الوكالة العالمية للتوزيع ٢٥٩	نهر جالود ٢١
الولايات العثمانية ٣٤، ٥٢	نهر الدان ٢٥
ولاية بيروت ٢٦، ٧٣، ٧٥	نهر الدجلة ١٦٤
ولاية الشام ٢٦، ٢٧	نهر سسيسبان ٢٧
ولاية عكا ٣٩	نهر الشرقية (الأردن) ٤٠
ولاية فلسطين ٢٨، ٣٢	نهر العوجاء ٢٠
ولاية القدس ٢٨	نهر الفرات ٤٧
(ي)	نهر المقطع ٢٠، ٢١
يسافا ٢٠، ٢١، ٣٥، ٤١، ٦٣، ٦٩، ٧٣، ٧٨، ١١٥،	نهر اليرموك ١٩
١١٦، ١٢٤، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٥، ٢٥٧	نينوى ٢٦
يثرب ١٨١، ١٨٢، ١٨٥	نيويورك ١٠٩
اليرموك ٢١١	(هـ)
يوغسلافية ١٠٤	هاله (هله) ١٢٠، ١٥٧،
اليامة ١٦٧	هامبورغ ٦١
الين ٦٩	هجر ١٦٧
ينجني نوففورود ١١٢	هضبة النقب ٢٠، ٢٣،
اليونان ٣٧، ٤٦، ١٠٤	هندان ١٦٣، ١٦٨،
	الهند ٣٥، ٤٨، ٦٥، ١١٢، ١٥٦،

مسرد الأقباط والشعوب والقبائل والجماعات

الإسماعيليون ٢٠١	
الإسماعيلية ٨، ١٥١، ١٦٥، ١٦٧، ١٩٥، ١٩٦، ١٩٨،	(أ)
١٩٩، ٢٠١، ٢٠٣	الائتلافيون ٦١
الإشتراكيون ١٤٦	آل البيت ٢٦٢
الإشتراكية ١٥١، ١٥٣، ١٩٤، ٢٠١، ٢٠٥	آل تنوخ ٥٠
الأعاجم ١٦٨	آل جفنة ١٣٥، ١٣٧
الإفرنج ٧٨	آل سلجوق ١٥٥، ٢٣١
الأقباط ٤٠، ١٩٠	آل شهاب ٥٠
الإقطاعيون ١٢٧	آل معن ٥٠
الإقطاعيون العرب ١٤١	الأتابكة ٢٣١، ٢٣٧
الإقطاعية ١٣٩	الاتحاديون ٦١، ٦٢
الأكراد ١٦٣	اتحاد الشبيبة الشيوعية الألمانية ٢٢٨
أكراد الجبل ١٦٣	الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين ١٤٢
الإمامية ١٦٦	الأترك ٣٩، ١٥٤
الإمبراطورية العثمانية ٦٥	الأجيال الوسطى ١٤٣
الإمبريالية الإيطالية ٢٢٩	الأحاييش ١٧٧
الأمراء الشهابيون ٣٦، ٥٠	الأحزاب ٢٠٩
أمراء غسان ١٣٧	إخوان الصفا ٨
الأمم الأوربية ١٤٣	أدباء لبنان ١١٨
أمم الشرق ١٤٦، ١٧٥	الأرثوذكس ٥٢، ٥٧، ٧٦
الأمم الغربية ١٤٣، ١٤٤، ١٤٦، ١٧٢	الأرمن ٤٠، ٤١، ١٦٥
الأمم المتوحشة ١٤٦	الإسلام ٦١، ١٦١، ١٧٥، ١٧٦، ١٧٧، ١٧٨، ١٨١،
الأمويون ١٥٩، ١٩٢، ٢٠٨، ٢١٣	١٨٢، ١٨٤، ١٨٧، ١٨٨، ١٨٩، ١٩٠، ١٩٢،
الأمّة العربية ٨، ٣٩، ١٠٨، ١٤٨، ١٤٩، ٢٠٧، ٢٠٨،	١٩٤، ١٩٥، ١٩٦، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠٢، ٢٠٣،
٢٢١	٢٥٠، ٢٤٣، ٢٢٣، ٢١٧، ٢١٣، ٢٠٧

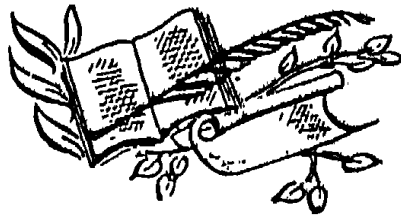
بنو العباس ١١٨ ، ١٦٢	الانكشارية ٣٧
بنو عدي ١٦٦	الإنكليز ٢٣ ، ٣٦ ، ٩٥ ، ١٠٨ ، ١٠٩
بنو قارن ١٩٤	أهالي البندقية ٣٣
بنو ليث ١٧٧	أهل الذمة ٢١٢
بنو المصطلق ١٧٧	الأوريون ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٨ ، ٤٢ ، ٥٨ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ١٠٣ ،
بنو منقذ ١٢٢	١٨٧ ، ١٩٦ ، ٢٠٦
بنو المهون بن خزيمه ١٧٧	الأوس ١٨٢ ، ١٨٥
البهائية ١٦١	(ب)
البيانية ١٦٦	بابك - دين ١٦٣
البيزنطيون ١٩٧	البابكيون ١٦٤ ، ١٩٨
(ت)	البابكية ١٣١ ، ١٩٦ ، ١٩٩
التابعون ١٢٥	البابليون ١٤٣
التجار الإيطاليون ٣٢	البايية - طائفة ١٦١
الترك ١٣٩ ، ١٤٦ ، ١٩٠ ، ٢٠٨	الباطنية ١٦٤ ، ١٦٥
التعصب القومي ٢٠٨	البحارة الغربيون ٦٥
التوحيد ١٩٠	البدو ٢٧
تيم ١٦٦	البرامكة ١٩٢ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ، ٢٢٣
(ث)	البربر ١٧٣
ثمود ١٦٦	البرتغاليون ٦٦
(ج)	البروتستانت ٣٤ ، ٥٢
الجمعيات الإسلامية المسيحية ٥٨	البعثة الصهيونية العالمية ٦٤
الجيش البريطاني ٦٣	بنات محمد ﷺ ١٥٨
الجيش الرابع في الشام ٦٢	بنو إسرائيل ٦٧
الجيش العثماني ١١٥	بنو أمية ١١٧ ، ١٣٨ ، ١٦٦ ، ١٧٥ ، ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٨ ،
الجيش العثماني الرابع ٦٢	١٩٠ ، ١٩٢ ، ٢٠٨ ، ٢١٢ ، ٢٢٣
(ح)	بنو تغلب ١١٧
الحاميات الرومانية ١٤٠	بنو تيم ١٦٦
الحجاج الروس ٦٧	بنو زيان ١٦٠
الحركات التقدمية الاشتراكية ١٣١	بنو ساسان ١٥٣
	بنو عباد ١٦٠

- الحركات الفكرية في الإسلام ٢٢٢ ، ٢٢١
- الحركة الإسلامية ١٨٨
- الحركة الإسماعيلية ٢٠١
- حركة بابك ١٥١ ، ١٥٣
- الحركة البابكية ١٩٥ ، ١٩٦
- الحركة الشيوعية ١٣٩
- الحركة الصهيونية ٦٣ ، ٦٤ ، ١١٥
- الحركة العربية ٦١
- الحركة الفكرية ١٤٥
- الحركة الوطنية في مصر ١٢٣
- الحكومة البريطانية ٦٤
- (خ)
- الخرمية (الخرميون) ١٣١ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٩٦
- الخرز ٢٣٤
- الخرزج ١٨٢ ، ١٨٥
- الخطابية ١٦٦
- الخلافة العربية الإسلامية ٢٢٧
- خلفاء بغداد ٢٠١
- خلفاء بني أمية ١٩٠ ، ١٩٢
- الخلفاء الراشدين ١٧٥
- الخلفاء العباسيين ١١٧
- الخوارج ٢٥٩
- (د)
- الدروز (الدرزية) ٥٠ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٧
- دروز حوران ٥٣
- الدعوة القرمطية ١٦٧
- الدين المسيحي ٨٧ ، ٩٠
- (ر)
- الرافضة ١٦٥ ، ١٦٦
- رجال السياسة والعلم والأدب ١١
- الرهبان الأرثوذكس ١٠
- الروس ٦٧ ، ٧٦ ، ٨٦ ، ١٠٢ ، ١١٧ ، ١٣٦
- الروم ١٦٥ ، ١٩٧
- الروم الأرثوذكس ٨٦ ، ٨٧ ، ٩٠ ، ٩٥
- الروم البيزنطيون ١٨٩ ، ١٩١
- (ز)
- زرادشت - دين ١٦٤
- الزنج ٨ ، ١٣١ ، ١٣٣
- الزندقة ١٦٠
- الزيدية ١٦٦
- (س)
- السبائية ١٦٥ ، ١٦٦ ، ٢١٢ ، ٢١٤
- السريان ١٩٠
- السفانيون ١٥٩
- السلطين العثمانيين ٢٣
- السلطات العثمانية ١١٠ ، ١١٥
- السلفية ١٦٩
- السوريون ٤٤
- (ش)
- شاهات خوارزم ٢٣٢ ، ٢٣٣
- الشرك ١٩٠
- شركة الهند الشرقية ٦٨
- شعب البحر ١٤١
- الشعب السوفييتي ٢٣٨
- الشعب الفلسطيني ١٠٧ ، ١٠٨
- الشعب اليهودي ٤٠
- الشعوب الآرية ١٤٤
- الشعوب الإسلامية ٥١ ، ١٤٦ ، ٢٦٠

- العباسيون ١٢٣، ٢٠٨، ٢١٣
 عبيد إفريقية ١٧٧
 العثمانيون ١١، ٢٧، ٤٦، ٤٧، ٥٠، ٥٧، ٦٦، ١٠٤
 العجم ١٦٧، ١٧٣
 عدى ١٦٦
 العرب ٧، ٩، ١٠، ١١، ١٤، ١٩، ٣٨، ٦١، ٦٥، ٧٧،
 ٧٨، ٩٠، ١٠٣، ١٠٧، ١١٢، ١١٣، ١١٩، ١٢٠،
 ١٢٢، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٦، ١٣٦، ١٣٧،
 ١٣٨، ١٤٠، ١٤٤، ١٦٧، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٥،
 ١٧٦، ١٧٧، ١٨٠، ١٨٢، ١٨٨، ١٨٩، ١٩٥،
 ١٩٦، ١٩٧، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٢،
 ٢١٥، ٢٢٣، ٢٤٣، ٢٦٠، ٢٦٢، ٢٦٤
 العرب الأرثوذكس ٧٦
 عرب بلاد الشام ٢٤
 عرب فلسطين ٢٤، ١١٠
 العرب الفلسطينيين ١٤، ١٥
 العرب المسلمون ٤٢، ١٦١، ١٨٨، ١٨٩، ١٩٦
 العرب الوثنيون ١٧٧
 عصبة الأمم ١٩، ٦٤
 العصبة القومية ٢٠٢
- (غ)
- الغساسنة ١٤٠
 غسان - قبيلة ٨٣
 الغلاة ٦٥
- (ف)
- الفاطميون ١٦٠
 الفرس ١٧١، ١٩٠، ١٩٥، ١٩٦، ١٩٧
 الفرق الباطنية ١٩٩، ٢٠٣
 الفرنجية ٤٠
- شعوب البحر = أديفيزين ٢٣١
 شعوب الشرق الأوسط ٩٣
 الشعوب الشرقية ١٤٣
 شعوب القفقاس ٢٣٢
 الشعوب المسيحية ٤١
 الشعوب اليهودية ٤١
 الشعوبية ١٦٧، ٢٠٨
 شهود يهوه ٦٧
 الشيبانية ١٤١
 الشيوعيون ١٤٦، ٢٢٨
 الشيعة ١٦٦
- (ص)
- الصحابة ١٢٥، ١٤٠، ١٦٦، ١٨٢
 الصعاليك ١٢، ١٨٠، ١٨١
 صعاليك العرب ١٨٠
 صعاليك مكة ١٨٦
 الصليبيون ١١٣
 الصهاينة ١٠٦
 الصهيونيون ٦١
 الصهيونية ٦١، ١٠٧، ١٠٨
- (ط)
- الطائفة الأرثوذكسية ١٢، ١٠٩
 الطائفة الوطنية الأرثوذكسية ١٢
 الطلاب العرب ٧٧
 الطوائف المسيحية ٥١، ٨٦
 الطوائف اليهودية ٦٣
- (ع)
- العالم الإسلامي ٧٩
 عبادة غير الله ١٩٠

اللاهوت ١٣، ١٤	الفرنسيون ٣٣، ٣٥، ٣٧، ٥٤، ٥٥
اللجنة الاستشارية الإسلامية المسيحية ٦٤	فقهاء الشافعية ١١٥
(م)	الفكر الأوروبي ١٧٤
الماركسية ٨، ١٠، ١٤، ٩١، ١٣٥	الفلسطينيون ٧٨
الماركسيون ١٣٤	(ق)
المارونية ٥٦	قبائل الترك ٣٢
المتطوعة الألبان ٣٧	القبائل العربية ١٤٠، ١٤١، ١٨٨، ٢١٨
المتفق - قبائل ٢٠٤	القبط ٢٠٩
المجوسية ١٩٢	القديسون في الإسلام ١٣٩
المخابرات الحكومية ١٠٧	القرامطة ٨، ١٣١، ١٣٣، ١٥١، ١٥٥، ١٦٧، ١٦٨
المخابرات الصهيونية ١٠٧	١٧٠، ١٩٥، ١٩٦، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٢، ٢٠٣
المذهب الأرثوذكسي ٩٠	٢٠٤، ٢٠٥، ٢٥٩، ٢٦٢
المرجئة ١٥٣، ١٦٢	قرامطة البحرين ١٦٠
المروانيون ١٥٩	قريش ١٤٧، ١٧٧، ١٨٥، ١٨٦، ١٨٧، ٢١٧، ٢١٨
المزديكيون ١٦٤	القرشيون ٢١٨
المزديكية ١٦٤	القفقاسيون ٢٣٤
المزيدية ١٤١	القناصل الأوروبيون ٢٨
المستشرقون ١٠، ١٠٣، ١١٩، ١٥٢، ١٥٦، ١٥٧،	القوات البريطانية ٦٣
١٥٨، ١٥٩، ١٦١، ١٩٠، ٢٠٨، ٢١٣، ٢١٧،	القوميون ٨
٢٢١، ٢٢٢، ٢٣٤، ٢٣٨، ٢٦٣	القومية العربية ٢٨
المستشرقون الألمان ١٥٩	(ك)
المستشرقون الروس ١٠٢، ١١٧	الكتاب الروس ١٢٤
المسلمون ٩، ٤٦، ٥١، ٥٢، ٥٤، ٥٥، ٥٧، ٧٣،	الكرج - الكرجيون ٩٠
٧٦، ١٢٥، ١٣٦، ١٤٩، ١٦٠، ١٦١، ١٦٤،	كنعان ١٣٩
١٧٨، ١٨٤، ١٨٥، ١٨٦، ١٨٧، ١٨٩، ١٩١،	الكنيسة الكاثوليكية ٨٦
١٩٥، ١٩٦، ٢٠٠، ٢٠٢، ٢٠٩، ٢١١، ٢١٣،	الكيان الصهيوني ١٢٤
٢٢٠، ٢٢٣	(ل)
مسيحيو بلاد الشام ٥٧	اللاتين ٥٢
المسيحيون ٤٠، ٥٠، ٥٣، ٥٤، ٥٦، ٥٧، ٥٨، ٧٣،	اللاجئون الفلسطينيون ١٢٤
١٠٤، ١٣٧	

النصارى ٥١، ٥٢	المسيحيون الأرثوذكس ٨٦
النصارى الكاثوليك ٣٤	المسيحيون الكاثوليك ٨٦
النصرانية ١١٩، ٢١٨	المسيحية ٢٨، ٤٠، ٨٧، ٢٦٣
(هـ)	المصريون ٢٧، ٣٩، ٤٠، ٤٥
الهذليون ١٥٧	المصلح العربي ١٧٨
(و)	المعتزلة ٩١، ١٣٦
الوثنية ١٧٥، ١٨١، ١٨٥، ١٩٠	المغاربة ٥٤
الوثنية العربية ١٥٧	المغول ١٤٦، ٢٠٨
الوطنيون ٦٢	المغيرية ١٦٦
وعد بلفور ٦٤	المكيون ١٨٤، ١٨٥
الوكالة اليهودية ٦٤	الملل ١٦٢، ١٦٥، ١٦٦
الولايات العثمانية ٥٠	الماليك ٢٧، ٦٦
الوهابية ٢٨	المنصورية ١٦٦
(ي)	المنظمات الصهيونية ٦٣
اليسوعيون ١١٨	منظمة التحرير الفلسطينية ١٥
اليهود ٣٤، ٦١، ٦٢، ٦٧، ٦٨، ٧٣، ١٠٦، ١١٣،	الموارنة ٥٠، ٥١، ٥٢، ٥٣، ٥٧
٢١٣، ٢٥٨	الموالي ٢٠٨
اليهود الألمان ٦٣	الموحدون ١٦٠
يهود الدوغة ٦١	مؤرخو الغرب ١٤٢، ١٤٤، ١٧٢
اليهودية ٢٨، ٤٠	(ن)
اليونانيون ٤٠، ٤١، ٩٠	النازية ٢٢٨
	النحل ١٦٢، ١٦٥، ١٦٦



فهرس الصور والمصورات

٥	الأستاذ الدكتور بندلي صليبا الجوزي
١٦	وسام القدس ، نصري الجوزي ، شارع باسم بندلي الجوزي
٢٩	التقسيمات الإدارية في صدر الإسلام
٢٩	التقسيمات الإدارية في العهد العثماني في ضمن حدود فلسطين
٣٠	ولاية الشام سنة ١٨٨٠ م
٣١	التقسيمات الإدارية لفلسطين في عهد الانتداب
٤٣	حروب إبراهيم باشا في سورية والأناضول
٥٤	رخصة حمل السلاح التي أصدرها الأمير عبد القادر الجزائري
٥٩	الأماكن الهامة في أحداث سنة ١٨٦٠ م
٧٠	معمل زجاج في الخليل ، ومصنع صابون في نابلس
٧١	صانع الأواني الفخارية ، صانع الأواني النحاسية
٧٢	التلغراف في بلاد الشام
٨٤	كنيسة المسكوبية (القدس) وبطركية الروم الأرثوذكس
٨٥	بطركية الروم الأرثوذكس ، مقهى شعبي في فلسطين
٨٨ و ٨٩	دير كفتين
٩٢	الأستاذ بندلي في شبابه ، ومع كراتشكوفسكي
٩٤	الاتحاد السوفييتي
٩٩	قلعة القدس سنة ١٨٣٩ م
١٠٠	يوم عمل ، وجانب من مقهى شعبي

- ١٠١ بندلي وزوجه وأولادهما بندلي الجوزي في جامعة قازان
- ١١٤ بندلي والنشاشيبي والخالدي والسكايني
- ٢١٠ نموذج من خط الأستاذ بندلي
- ٢٤٠ المقر الحكومي وأكاديمية العلوم في باكو
- ٢٤١ محطة القطارات والمتحف في باكو
- ٢٤٢ البروفيسور ضياء الدين والأستاذ سارا بالاي عاشور بيبي
- ٢٤٣ نموذج خط الأستاذ نصري الجوزي
- ٢٤٤ معبد النار في أتشكا قرب باكو
- ٢٤٥ متعبد في معبد النار
- ٢٤٦ معبد النار
- ٢٤٧ نموذج آخر من خط الأستاذ بندلي
- ٢٤٨-٢٤٩ كلية الاستشراق لجامعة أذربيجان الحكومية (دفعة) : ١٩٢٥-١٩٢٩ م

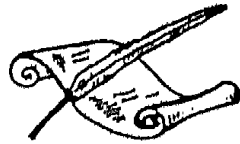


المحتوى

٧	مقدمة
١٧	☆ بندلي الجوزي (عصره)
١٩	فلسطين لمحة جغرافية
٢٤	موجز تاريخ فلسطين في القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين سياسياً واقتصادياً واجتماعياً
٣٢	فلسطين في مطلع القرن التاسع عشر
٣٥	حملة نابليون على سورية
٣٧	حملة إبراهيم باشا على سورية
٤٢	سياسة إبراهيم باشا في سورية
٤٦	الحرب السورية الثانية ١٨٣٩ م
٤٨	معاهدة لندن الأولى
٥٠	بلاد الشام ١٨٤٠ - ١٨٦٠ م
٦٠	الدولة العثمانية أواخر القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين اجتماعياً
٧٣	
٨١	☆ بندلي الجوزي (حياته)
٨٦	سبب تسمية بندلي ، ومعنى هذا الاسم
٨٦	رحلته في طلب العلم
٩٥	أسرة بندلي الجوزي
٩٨	رحلاته إلى فلسطين
١٠٩	أصدقاء بندلي الأعلام

١٢٩	☆ بندلي الجوزي (آثاره)
١٣١	بندلي الجوزي والتفسير الاقتصادي للتاريخ
١٣٦	آثار بندلي الجوزي
١٤٢	من آراء بندلي الجوزي المتميزة
١٥١	مصادر (من تاريخ الحركات الفكرية في الإسلام) وتقدها
١٥٦	أهم المستشرقين الذين اعتمدوا الأستاذ بندلي
١٦٢	الأستاذ بندلي وأمانة النقل من المصادر ودقته
١٧٢	من تاريخ الحركات الفكرية في الإسلام - دراسة ونقد
١٧٥	أسس الإسلام الاقتصادية
١٨٨	الإمبراطورية العربية والأمم المغلوبة
١٩٤	حركة بابك وتعاليمه الاشتراكية
٢٠١	الإسماعيلية
٢٠٢	القرامطة
	خاتمة :
٢٠٧	الجزية والخراج في أوائل الإسلام
٢١١	الجزية والخراج
٢١٢	حنين العرب إلى بني أمية
٢١٣	السُفياني
٢١٤	أمير أموي من سلالة مسيحية
٢١٥	الأمومة عند العرب
٢١٥	القرآن والبحر
٢١٧	من المصيب ؟
٢١٨	مسيمة الكذاب
٢٢٠	الأستاذ بندلي ماله وما عليه

٢٢٥	☆ الملحق
٢٢٧	البروفيسور ضياء الدين موسى بونيا توف الباكووي
٢٥٠	أهم سلع التصدير من ميناء يافا
٢٥١	عدد السفن القادمة إلى يافا
٢٥٢	تصاعد الصادرات الرئيسية من يافا
٢٥٣	قيمة أهم ثلاث سلع من سلع التصدير
٢٥٤	سعر الاستهلاك في القدس
٢٥٥	التطور السكاني لمدن فلسطين ١٨٠٠ - ١٩٢٢ م
٢٥٦	تطور سكان فلسطين بين ١٨٥٠ - ١٩١٩ م
٢٥٧	عدد السكان التقديري لمنطقة القدس
٢٥٨	تطور سكان القدس بين: ١٨٤٠ - ١٨٩٠ م
٢٥٩	المصادر والمراجع
٢٦٥	مسرّد الآيات القرآنية الكريمة
٢٦٨	مسرّد الأحاديث النبوية الشريفة
٢٦٩	مسرّد الأعلام
٢٨٠	مسرّد الأماكن
٢٩٤	مسرّد الأقوام والشعوب والقبائل والجماعات
٣٠٠	المحتوى



ضُلبَ هذا الكتاب ، وأفكاره الرئيسيّة كانت أطروحة نلت عليها « الدكتوراه في التاريخ الإسلامي » ، من أكاديميّة العلوم في جمهوريّة أذربيجان ، ولقد قُدّمت وعمّمت تحت عنوان : « تاريخ الإسلام والمقاطعات الشّرقيّة للخلافة الإسلاميّة في مؤلّفات بَنَدلي الجوزي » ، والنّسخة العربيّة هذه نسخة معدّلة عن الأطروحة كما قُدّمت لتتناسب مع سلسلة : (في الميزان) .

في هذا الكتاب ما للأستاذ بَنَدلي الجوزي وما عليه ، خصوصاً إذا علمنا أنّه من أوائل الذين فسّروا تاريخنا الإسلامي تفسيراً مادياً - ماركسيّاً ، وعلى الرّغم من ذلك ، فهو يمتاز بثقافة واسعة ، وشخصيّة مطبّعة ، ولا يحمل خلفية الاستشراق الموظّف لخدمة التبشير ، مع أمانة في الإحالة إلى المصادر ، ودقّة في النّقل ، إلى جانب دفاعه عن أمّته العربيّة ، وحنينه إلى وطنه ، ودعوته إلى الوحدة العربيّة لجمع شمل طاقاتها .

وعلى الرّغم من كلّ ما سبق ، لجأ بَنَدلي إلى التّمريض والتّضعيف في مواطن كثيرة ، مع الدّعوى بلا دليل ، والجزم في أمور لم تثبّت ، وتفسيره لبعض الآيات الكريمة بالمعنى الذي يراه ، وهذا بُعدٌ عن الموضوعيّة ، وعن روح الحوار العلميّة ، التي عهدناها عند الأستاذ الدكتور بَنَدلي الجوزي .

To: www.al-mostafa.com